نافذة على قضايا الإسلام

تأليف
العلامة الشيخ إبراهيم الأميني

ترجمة
كمال السيد

نافذة على قضايا الإسلام

ان اعظم ما في الاسلام شموليته واستيعابه للانسان بكل ما ينطوي عليه من هموم وآمال وتساؤلات عن الكون والمصير.

وفي عالمنا اليوم حيث الانسانية تتحرك لا شعورياً نحو الفكر الذي يجسّد طموحاتها واحلامها، ويصغي الىٰ همومها ومشكلاتها، يكون من الضروري ان نتعرّف الاسلام، ان نتأمل صورته ولو مصغرة.

وهذا الكتاب محاولة في هذا الطريق...

انه اجابة عن سؤال ما هو الاسلام...

وبعبارة أخرىٰ، انه الاسلام باختصار.

مؤسسة انصاريان للطباعة والنشر
جمهورية ايران الإسلامية
قم – شارع الشهداء – فرع ٢٢
ص.ب ١٨٧
هاتف: ٧٧٤١٧٤٤ (٢٥١) (٩٨) فاكس: ٧٧٤٢٦٤٧
البريد الالكتروني: ansarian@noornet.net
www.ansariyan.org & www.ansariayn.net

نافذة على

قضايا الإسلام

تأليف

العلاّمة ابراهيم الأميني

ترجمة

كمال السيّد

اميني، ابراهيم، ١٩٣٥-
نافذة على قضايا الاسلام/ تأليف ابراهيم الأميني؛ ترجمة كمال السيد.- قم: انصاريان، ١٣٨٤ = ١٤٢٦ق.
[٣٨١]ص.

ISBN: 964-438-577-2

عنوان اصلي: آشنائي با مسائل كلي اسلام.
كتابنامه: ص.٣٧٩-٣٨١. همچنين بصورت زيرنويس.
١. اسلام — بررسي و شناخت. الف. سيد، كمال، مترجم. ب. عنوان.
BP١١/الف٨آ٤٠٤٣
٢٩٧

نافذة على قضايا الإسلام

تأليف: العلامة ابراهيم الأميني
ترجمة: كمال السيد
الناشر: مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر- قم
الطبعة الاولى ١٣٧٤-١٤١٦ — ١٩٩٦
الطبعة الثانية ١٣٨٤-١٤٢٦ - ٢٠٠٥
المطبعة: ثامن الأئمة(ع) - قم
الكمية: ٢٠٠٠ نسخة
عدد الصفحات: ٣٨٤ص
حجم الغلاف: كبير
رقم الإيداع الدولي(ISBN): ٢-٥٧٧-٤٣٨-٩٦٤

جميع حقوق الطبع محفوظة ومسجلة للناشر

مؤسسة انصاريان للطباعة والنشر
جمهورية ايران الإسلامية
قم - شارع الشهداء — فرع ٢٢
ص.ب ١٨٧
هاتف: ٧٧٤١٧٤٤ (٢٥١) (٩٨) فاكس: ٧٧٤٢٦٤٧
البريد الالكتروني: ansarian@noornet.net
www.ansariyan.org & www.ansariyan.net

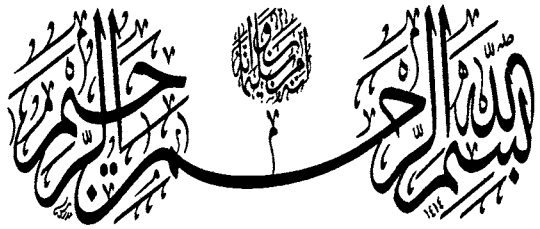
بسم الله الرحمن الرحيم

محتويات الكتاب

مقدمة المترجم ١٥

القسم الاوّل: رسول الاسلام ودلائل نبوّته ١٧

نبوّة سيدنا محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) ١٩

سيدنا محمّد وبشارات الانبياء ٢٥

الإعـجـاز **٣١**

القرآن معجزة خالدة **٣٥**

▣ الاول: في اسلوبه الجديد ٣٩

▣ الثاني: في ترتيب مواضيعه ٤٠

▣ قوّة البيان ٤١

▣ اعجاز القرآن في انسجامه ٤٣

▣ القرآن معجزة في الإخبار عن الغيب ٤٧

القسم الثاني: سيّدنا محمد خاتم الانبياء ٥٣

سيدنا محمّد خاتم الانبياء ٥٥

احكام ثابتة وحياة مُتغيرة ٦١

لماذا توقّف بعث الانبياء؟ ٦٧

سيدنا محمد قبل البعثة ٧١

دين سيدنا محمّد (ص) قبل البعثة ٧٥
القسم الثالث: بعثة سيدنا محمد ونزول القرآن ٨١
بعثة النبي ٨٣
نزول القرآن ٨٩
▣ نوع الورق المستخدم ٩٢
جمع القرآن ٩٥
▣ جمع القرآن على يد علي بن أبي طالب (ع) ٩٨
قبس من أخلاق سيدنا محمد ١٠٣
اخلاق سيدنا محمد مع أهله ١٠٦
▣ حياته (صلى الله عليه وآله وسلم) ١٠٧
▣ عبادته (صلى الله عليه وآله وسلم) ١٠٨
القسم الرابع: الإسلام والإيمان ١١٠
الاسلام والايمان ١١٣
الايمان ١١٥
الكفر ١٢٠
▣ منكر الضرورات ١٢٢
▣ احكام الكفر ١٢٣
النفاق ١٢٥
▣ ظهور المنافقين ١٢٥
▣ مؤامرات المنافقين ١٢٦
المسلمون أمّة واحدة ١٣٣
الواجبات والحقوق المتبادلة ١٤١
خصائص ومسؤوليات الامّة الاسلامية ١٤٥
القسم الخامس: الإنسان ومسؤولياته ١٤٩
الإنسان في ضوء الإسلام ١٥١

الإنسان والاختيار ١٥٧
الانسان والواجب ١٦٣
مسؤوليات الانسان ١٦٧
▣ مسؤولية الانسان امام الله والرسول ١٦٧
▣ مسؤولية الانسان امام نفسه ١٦٨
▣ مسؤولية الانسان أمام الآخرين ١٦٩
القسم السادس: الواجبات والاحكام ومصادرهما ١٧١
احكام و تكاليف الاسلام ١٧٣
▣ الاحكام التعبّدية والتوصّلية ١٧٤
▣ الاحكام التكليفية والوضعية ١٧٤
▣ التعييني والتخييري ١٧٦
▣ العيني والكفائي ١٧٦
▣ المحرمات **١٧٧**
▣ النجاسات والمطهرات **١٧٧**
▣ احكام الاسرة **١٧٨**
▣ المعاملات ١٧٨
▣ احكام الاكل والشرب ١٧٩
▣ الولاية والحكم ١٧٩
القرآن المصدر الاول للشريعة الاسلامية ١٨١
سنة النبي المصدر الثاني ١٨٧
▣ علم الحديث ١٨٩
▣ المتواتر ١٩٠
▣ خبر الواحد ١٩٠
احاديث اهل البيت؛ المصدر الثالث ١٩٣
حملة علم الرسول ١٩٩

▣ علي جامع العلوم ٢٠٢
▣ التدوين ٢٠٣
العقل؛ المصدر الرابع ٢٠٧
▣ مجالات العقل ٢٠٩
الاجتهاد والتقليد ٢١٣
القسم السابع: اصول وفروع الدين ٢٢١
▣ اصول الدين والعقائد ٢٢٣
▣ دور العقائد في اسعاد الانسان ٢٢٤
▣ طرق المعرفة ٢٢٥
الحواس الخمس ٢٢٥
العقل ٢٢٦
تزكية النفس وصفاء الباطن ٢٢٧
اخبار الانبياء والائمة المعصومين ٢٢٨
تلقين الآباء ٢٢٩
الاخلاق في الاسلام ٢٣١
طرق الاخلاق ٢٣٧
ـ طريق الانبياء ٢٣٧
ـ الطريق العلمي ٢٣٨
ـ فلسفة الاخلاق ٢٤١
▣ الاخلاق في ضوء الاسلام ٢٤١
▣ المجال الاخلاقي ٢٤٣
العبادة في الاسلام ٢٤٥
الصلاة ٢٤٩
▣ اقسام الصلاة ٢٥٢
الصيام ٢٥٥

▣ فلسفة الصوم ٢٥٨
الحج ٢٦١
▣ رحلة للروح ٢٦١
▣ مؤتمر عالمي ٢٦٤
▣ الوحدة ٢٦٦
الدعاء ٢٦٩
▣ سؤال وجواب ٢٧١
▣ سؤال آخر ٢٧٣
الجهاد والدفاع ٢٧٥
▣ الجهاد الابتدائي ٢٧٧
▣ الجهاد الدفاعي ٢٧٨
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ٢٨١
▣ مراحل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ٢٨٤
اوضاع المسلمين في العالم ومسؤوليتنا ٢٨٧
الزكاة في الاسلام ٢٩٧
▣ مستحقو الزكاة ٢٩٩
▣ مصارف الزكاة ٣٠١
الخمس في الاسلام ٣٠٣
▣ مصرف الخمس ٣٠٥
القسم الثامن: حقوق المرأة في الاسلام ٣٠٧
منزلة المرأة في الاسلام ٣٠٩
المرأة والحرية ٣١٥
المرأة والحجاب ٣٢١
▣ آية اخرىٰ في الحجاب ٣٢٣
▣ آية اخرىٰ ٣٢٤

▣ المحارم ٣٢٥
حدود الحجاب ٣٢٧
فلسفة الحجاب ٣٣١
الزواج وفوائده ٣٣٧
الحقوق والواجبات المتبادلة بين الزوجين ٣٤٣
▣ الواجبات المشتركة ٣٤٤
ـ حسن المعاشرة ٣٤٤
ـ التزيّن ٣٤٥
ـ الارضاء الجنسي ٣٤٦
ـ تربية الابناء ٣٤٦
▣ واجبات خاصّة؛ وظائف الرجل ٣٤٧
ـ مسؤولية الاسرة ٣٤٧
ـ الاحترام والمداراة ٣٤٨
ـ الانفاق ٣٤٨
▣ واجبات المرأة تجاه زوجها ٣٤٩
فلسفة المهر ٣٥١
النفقة وفلسفتها ٣٥٧
▣ اسئلة اخرىٰ ٣٥٨
▣ اشكال ٣٥٨
ميراث المرأة في الاسلام ٣٦١
الاسلام وتعدد الزوجات ٣٦٥
▣ شروط التعدد ٣٦٧
الطلاق في الاسلام ٣٦٩
▣ فلسفة تشريع الطلاق ٣٧٥

مقدمة المترجم

يشغل الاسلام اليوم جغرافياً مساحة مترامية من المعمورة، كما يمتلك عمقاً تاريخياً يمتد الىٰ اكثر من الف واربعمئة عام؛ وما تزال تجربته الحضارية مثالاً في صياغة الانسان وتجسيداً حيّاً لخلافته في الارض.

وما تزال تلك الحقبة المضيئة التي عاشها المسلمون خلال انطلاقة الاسلام الاولىٰ مشتعلة في الاذهان؛ ليكون حلم استعادتها من جديد هاجسَ المسلمين في كل مكان.

ولعل تاريخ الانتكاسات التي عاشتها الشعوب الاسلامية عبر القرون، تعود في اغلب الحالات الىٰ ابتعاد المسلمين عن روح الاسلام وحقائقه الكبرىٰ. حتىٰ يمكن القول ان تاريخ الثورات الاسلامية يمثل الضمير الذي يحاول بعث الارادة في أوصال الامة من جديد.

وان استمرار الروح الاسلامية فعالة في النفوس، نفاذة في الاذهان يعود الىٰ ما ينطوي عليه هذا الدين العظيم من ينابيع تتدفق املاً وفكراً وحياة.

ان اعظم ما في الاسلام شموليته واستيعابه للانسان بكل ما ينطوي عليه من هموم وآمال وتساؤلات عن الكون والمصير.

وفي عالمنا اليوم حيث الانسانية تتحرك لا شعورياً نحو الفكر الذي يجسّد طموحاتها واحلامها، ويصغي الىٰ همومها ومشكلاتها، يكون من الضروري ان نتعرّف الاسلام، ان نتأمل صورته ولو مصغرة.

وهذا الكتاب محاولة في هذا الطريق...

انه اجابة عن سؤال ما هو الاسلام...

وبعبارة أخرىٰ، انه الاسلام باختصار.

كمال السيد

مقدمة المؤلف

يبقىٰ انتصار الثورة الاسلامية في ايران واحدة من معجزات التاريخ. ذلك ان انتصار شعب أعزل لا يملك سلاحاً سوىٰ إيمانه العميق، هو حادث استثنائي، شدّ اليه انظار العالم بأسره. ولقد أدرك الجميع ان انبعاث الفكر الاسلامي يمكن ان يعبئ الجماهير في صفوف متراصّة ومواجهة قوى الشيطان والطاغوت، وأن يحقق انتصاره الساحق علىٰ الاستكبار العالمي.

وقد أحدث هذا الانفجار المهيب تحوّلا هائلاً في الذهنية الايرانية، خاصّة لدى الشباب المثقف الذي وجد نفسه منشدّاً الىٰ علماء الدين والحوزة الاسلامية، يحدوهم الشوق في استكشاف الاسلام بكل نواحيه المتعددة، في العقيدة والسياسة والاخلاق والاقتصاد وحتىٰ في الفن.

ويالها من لحظات تاريخية عذبة، وقد بدأ زمن الصحوة الاسلامية.. زمن اليقظة، فاذا العيون تنفتح علىٰ النور الجديد، لتكون ايران مركز اشعاع للعالم الاسلامي بأسره.

لقد ولّىٰ زمن الغفلة والرقاد، وهبّ المسلمون يبحثون عن هويتهم التي أضاعوها من أمد طويل.

وها نحن نشهد اليوم نور الاسلام يداعب عيون البشرية؛ لأنه يستمدّ

مصداقيته من الفطرة الانسانية.

فها هي قوافل الشباب تتحرك باتجاه شمس الاسلام لتبعث حضارته من جديد، في فترة بالغة الحساسية. وإنّها لنعمة كبرىٰ من الله أن يحقق وعده، و«هو الذي ارسل رسوله بالهدىٰ ودين الحق ليظهره علىٰ الدين كلّه».

ولقد نجم عن هذه الصحوة الدينية اهتمام واسع بالاسلام، من المسلمين ومن غيرهم، وأضحت قيمه العليا محطّ إعجاب الجميع.

ومن هنا فانّ من الواجب اليوم ـ والعالم يمرّ في منعطف حساس ـ استكشاف وطرح الاسلام بلغة معاصرة، وفي كافة الأصعدة. ومثل هكذا تحرّك ثقافي عميق ينبغي أن يتمّ علىٰ ثلاثة محاور:

ـ إعداد سلسلة مضغوطة ومبسطة للأطفال تنسجم مع روح وذوق المخاطب؛ مهمتها تعريف الاسلام بحقائقه الكبرىٰ.

ـ إعداد سلسلة للناشئين والشباب مبسطة ايضاً تأخذ بنظر الاعتبار تطلعاتهم في هذه المقاطع من العمر.

ـ إعداد بحوث عميقة في المسائل المختلفة، كالعقائد والعبادات والفقه والاخلاق والسياسة والاجتماع والاقتصاد وشؤون الحكم لتكون في متناول الطبقة المثقفة.

علىٰ أني اشهد انتاجاً في المحور الثالث مشجعاً، ولكنه ما يزال في الطريق، وما يزال البحث في مسائل عديدة ضرورياً للغاية.

آمل من المتخصّصين المبادرة في ذلك وسدّ تلك الثغرات في المكتبة الاسلامية.

والكتاب الذي بين ايديكم اعزاءنا الشباب هو خطوة في الطريق، من اجل اعداد سلسلة تضم مختلف المسائل والقضايا الاسلامية العامّة، وقد روعيت فيه

النقاط الآتية:

□ ان مواضيع الكتاب تنهض علىٰ اساس من الادلة العقلية والآيات القرآنية والأحاديث الشريفة.

□ إهمال المواضيع الضعيفة والتي لا تستند علىٰ اساس ما.

□ البساطة في العرض.

□ يضم المسائل الضرورية التي يتوجب علىٰ المسلم الإلمام بها.

□ منظم كمنهج دراسي، حيث وضعت في آخر كل درس مجموعة اسئلة تعين علىٰ حفظ المواضيع المهمّة، وبالتالي يكون مناسباً للتدريس والاختبار.

□ اجتناب التفصيل في مسائل الامامة والحكومة؛ لان ذلك يحتاج الىٰ كتب مستقلة.

□ الكتاب يدور في اطار النبوّة وفي محور المسائل والقضايا الاسلامية.

□ نُظِّم الكتب علىٰ نحو يمكن ترجمته الىٰ لغات أخرىٰ.

ويمكن القول ان الكتاب يدور في المحاور التالية:

ـ نبوّة سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وادلّتها

ـ خاتمية النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)

ـ البعثة ونزول القرآن

ـ الاسلام والايمان ومقومات كل منهما

ـ الانسان والمسؤولية

ـ الواجبات والاحكام ومصادر ذلك

ـ اصول وفروع الدين

ـ حقوق المرأة في الاسلام

صيف ١٤١٦ ابراهيم الاميني

القسم الاوّل

رسول الاسلام ودلائل نبوّته

نبوّة سيدنا محمّد (ص)

ان التصديق والايمان برسالة الأنبياء يمكن ان يتمّ عن احدى الطرق التالية:

▣ من خلال التأمل في سيرة وأخلاق من يدّعي النبوّة.

▣ دراسة ما جاء به من عقائد وشرائع، والتي تشكل بمجموعها دينه الذي يبشر به.

▣ ماقام به من معجزات يعجز الانسان عن القيام بها.

والبحث في تاريخ صدر الاسلام وفي الفترة التي أعلن فيها سيدنا محمد انه رسول الله يقودنا الىٰ ان ايمان المسلمين بنبوّته لم ينجم عن طريق واحد كالمعجزة مثلاً؛ فليس كل المسلمين طلبوا من رسول الله عملاً خارقاً للمألوف لكي يصدّقوا به.

وغالباً ما جاء ايمانهم من طمأنينة في القلب كان لشخصيته ـ صلى الله عليه وآله ـ الاثر العميق فيها. ومن هنا نجد طريقان آمن من خلالهما المسلمون:

الطريق الاوّل: شخصية الرسول الانسانية وأخلاقة السامية ومسيرته المحمودة، فقد عُرف سيّدنا محمد منذ صباه بأمانته وصدقه واستقامته، ولهذا آمن بعضهم متأثرين بخلُقه الرفيع وأنّه لايقول الا حقاً.

لم يذكر له أحد من الذين عرفوه خطأً في قول أو فعل، وكان رحيماً

بالمقهورين والمظلومين، اضافة الىٰ ماضيه الناصع نصاعة الثلوج في القمم.

ويأتي ايمان «خديجة» به ليعزز من مصداقيته. فهذه المرأة الرشيدة أعلم الناس بمحمد، فهي زوجته وقد أمضت معه مدّة خمسة عشر عاماً لم ترَ منه غير خلق رفيع، وصدق فريد، وكمال انساني لا نظير له؛ ولهذا تراها أول من آمنت به ايماناً عميقاً بلغ أعلىٰ مراتب التضحية والصبر والفداء، بل أنها اندفعت لتعزز ثقته بنفسه وبنصر الله له.

ويحدّثنا التاريخ عن رسول الله منذ ان كان يتعبد في غار حراء ويتفكّر في خلق الكون والانسان والحياة حتىٰ لحظة اللقاء بجبريل الذي بشّره بأنه رسول الله الىٰ العالمين، فقد أسرع رسول الله في العودة الىٰ منزله ليحدّث زوجته بذلك.

يقول (صلى الله عليه وآله وسلم): فأتيت خديجة، فقلت: لقد أشفقت علىٰ نفسي، وأخبرتها خبري، فقالت: أبشر فوالله لا يخزيك الله ابداً، إنّك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتؤدي الامانة، وتحمل الكلّ، وتقري الضيف، وتعين علىٰ نوائب الدهر[1].

ولمّا هبط جبريل بالآية الكريمة: «وأنذر عشيرتك الاقربين» انطلق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نحو جبل الصفا، وهناك هتف بأعلىٰ صوته: يا صباحاه! فاجتمعوا اليه، وتساءلوا عمّا دعاهم فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): يا بني عبد المطلب، يا بني عبد مناف، أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج بسفح الجبل أكنتم مصدّقي؟ قالوا: نعم، ما جرّبنا عليك كذباً، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد[2] قولوا لا اله الّا الله تفلحوا.

ومن هنا نجد علي بن ابي طالب أول من آمن برسالة محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) من الرجال. فلقد عاش معه فترة جعلته يثق بصدقه وأمانته، كما

---

(١) الكامل في التاريخ، ج ١ ص ٤٧٨. (٢) انساب الاشراف، ج ١، ص ١٢٠.

نجد أبابكر ايضاً يندفع الىٰ الايمان بنبوّة سيدنا محمد لأنه عاشره مدّة وتعرّف علىٰ أخلاقه الرفيعه في صدقه وأمانته واستقامته[١].

وكان ايمان جلّة المسلمين قد جاء عن هذا الطريق، اذ لم يجرّبوا له كذباً في أي وقت.

هذا وسنبحث فيما بعد في شخصية الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وفي أخلاقه وخصاله الفريدة.

الطريق الثاني: واذا كان الايمان بالرسالة يأتي تأثراً بشخصية الرسول نفسه، فان طريقاً آخر يؤدي الىٰ ذات النتيجة، وذلك عندما يتأمل الانسان في الرسالة نفسها، بكل مضامينها العقائدية والاخلاقية، فاذا وجدتْ لها أصداء في النفس الانسانية اندفع الانسان اليها وانجذب لها وأدرك أنها الحق وأن حاملها رسول من رب العالمين.

وبعكس ذلك؛ لو كانت عقائد هذا الدين أوهاماً وأباطيل لا تقدم **حقاً ولا** تدفع باطلاً، عاجزة عن حل المشكلات الاخلاقية والمسائل الاجتماعية، **فان** ذلك يدلّ دلالة واضحة علىٰ كذب مدّعيه وباطل ما يقول به. والتاريخ **الاسلامي** يقدّم لنا شواهد كثيرة عن عدد كبير من المسلمين آمنوا بالرسول لما رأوا ما بين يديه من الحق وان ما جاء به هو من الله. والّا كيف يتسنىٰ لانسان امّي لم يتلقّ تدريساً، وفي محيط وثني غارق في الفساد والجهل.. كيف يتسنىٰ له أن يبتكر كل هذه الافكار الرفيعة. وهذه امثلة:

عن عمرو بن عبسة قال: اتيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في أول ما بعث وهو بمكة وهو حينئذ مستخفٍ، فقلت: ما أنت؟ قال: أنا نبي الله. فقلت: وما النبي؟. قال: رسول الله. قلت: الله أرسلك؟ قال: نعم. قلت: بِمَ

---

(١) السيرة النبويّة لأبي الفداء، ج ١، ص ٤٣٣.

أرسلك؟. قال: بأن تعبد الله وحـده لا شـريك له وتكسـر الاصـنام، وتـوصل الارحام. قال: قلت: نِعم ما ارسلك به[١].

ولقى خالد بن الوليد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: يا محمد إلام تدعو؟ قال: ادعوك الىٰ الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، وتخلع ما انت عليه من عبادة حجر لا يسمع، ولا يضر ولا يبصر ولا ينفع ولا يدري من عبده ممن لا يعبده.

قال خالد: فاني اشهد أن لا إله الّا الله واشهد انك رسول الله[٢].

وفي قصّة النجاشي مع المهاجرين في الحبشة ما يؤيد ذلك.

لنصغِ الىٰ ما يقوله ابن الاثير في كتابه:

لما رأت قريش ان المهاجرين قد اطمأنوا بالحبشة وأمنوا، وأن النجاشي قد أحسن صحبتهم، ائتمروا بينهم، فبعثوا عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي اميّة ومعهما هدية اليه والىٰ اعيان أصحابه، فسارا حتى وصلا الحبشة، فـحملا الى النجاشي هديته وإلى اصحابه هداياهم وقالا لهم: ان ناساً من سفهائنا فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دين الملك وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم، وقد ارسلنا أشراف قومهم إلى الملك ليردّهم إليهم، فإذا كلّمنا الملك فيهم فأشيروا عليه بأن يرسلهم معنا من غير أن يكلّمهم، وخـافا إن يسـمع النـجاشي كـلام المسلمين ان لا يسلّمهم. فوعدهما أصحاب النجاشي المساعدة على ما يريدان.

ثم إنّهما حضرا عند النجاشي فأعلماه ما قد قالاه، فأشار أصحابه بتسليم المسلمين إليهما. فغضب من ذلك وقال: لا والله لا أسلّم قوماً جاوروني ونزلوا بلادي واختاروني على من سواي حتى أدعوهم وأسألهم عما يقول هذان، فإن

---

(١) السيرة النبوية لأبي الفداء، ج ١، ص ٤٤٢.
(٢) المصدر السابق، ص ٢٥٤.

كانا صادقين سلّمتهم إليهما، وإن كانوا على غير ما يذكر هذان منعتُهم وأحسنت جوارهم. ثم أرسل النجاشي إلى أصحاب النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فدعاهم فحضروا، وقد أجمعوا على صدقه فيما ساءه وسرّه، وكان المتكلّم عنهم جعفر بن أبي طالب. فقال لهم النجاشي: ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا دين أحد من الملل؟ فقال جعفر: أيّها الملك كنّا أهل جاهليّة نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونُسيء الجوار ويأكل القويُّ منّا الضعيف، حتى بعث الله إلينا رسولاً منّا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فدعانا لتوحيد الله وأن لا نُشرك به شيئاً ونخلع ما كنا نعبد من الأصنام، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانه وصلة الرحم وحسن الجوار والكفّ عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم، وأمرنا بالصلاة والصيام. وعدّد عليه أمور الإسلام، قال: فآمنّا به وصدّقناه وحرّمنا ما حرّم علينا وحلّلنا ما أحلّ لنا، فتعدّى علينا **قومنا فعذّبونا** وفتنونا عن ديننا ليردّونا إلى عبادة الأوثان، فلمّا قهرونا وظلمونا **وحالوا بيننا** وبين ديننا خرجنا إلى بلادك واخترناك على مَنْ سواك ورجونا أن **لا نُظْلَمَ** عندك أيّها الملك.

فقال النجاشي: هل معك ممّا جاء به عن الله شيء؟ قال: نعم، فقرأ عليه سطراً من كهيعص، فبكى النجاشي وأساقفته، وقال النجاشي: إنّ هذا والذي جاء به عيسى يخرج من مشكاة واحدة، انطلقا، والله لا أسلّمهم إليكما أبداً!

فلمّا خرجا من عنده قال عمرو بن العاص: والله لآتينّه غداً بما يبيد خضراءهم. فقال له عبد الله بن أبي أميّة، وكان أتقى الرجلين: لا تفعل فإنّ لهم أرحاماً.

فلمّا كان الغد قال للنجاشي: إنّ هؤلاء يقولون في عيسى بن مريم قولاً

عظيماً. فأرسل النجاشي فسألهم عن قولهم في المسيح. فقال جعفر: نقول فيه الذي جاءنا به نبيّنا: هو عبده ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول. فأخذ النجاشي عوداً من الأرض وقال: ما عدا عيسى ما قلتَ هذا العودَ. فنخرت بطارقته، فقال: وإن نخرتم. وقال للمسلمين: اذهبوا فأنتم آمنون، ما أُحبّ أنّ لي جبلاً من ذهب وأنّني آذيتُ رجلاً منكم. وردّ هدية قريش وقال: ما أخذ الله الرشوة مني حتى آخذها منكم. ولا أطاع الناس فيّ حتى أطيعهم فيه. وأقام المسلمون بخير دار[1].

ومن هنا فان البحث في ذات العقائد والشرايع والتأمل بما جاء من الوحي كان طريقاً مضيئاً لمن أراد معرفة الحقيقة. ولقد اعتنق المسلمون الاسلام من خلال معرفة شخصية النبي أو التأمل في ما جاء به.

ومن الضروري الاشارة الى ان الذين آمنوا بنبوّة رسول الله سواء من خلال **الطريق الاول** أو الثاني وأطمأنوا لايمانهم، كان ذلك عليهم حجة وإنه لا يكون **حجّة على** غيرهم. فهناك من لا يقنعه هٰذان الطريقان لأنّهما لا يرتفعان الى مرتبة الادلّة القاطعة بل هما شواهد على صدق النبي فقط.

الاسئلة

١ ـ لماذا آمن الذين كانوا يعرفون سيدنا محمداً بنبوّته؟

٢ ـ ماذا قالت خديجة بعد ان اخبرها سيدنا محمد برسالته؟

٣ ـ ماذا قال رسول الله لقريش علىٰ جبل الصفا؟ وبماذا استدلّ علىٰ نبوّته؟

٤ ـ ماذا قال جعفر بن ابي طالب في حضرة النجاشي وهو يعرّف الاسلام؟

٥ ـ ما هي الاسباب التي دفعتهم للايمان واعتناق الاسلام؟

---

(١) الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٧٩.

سيدنا محمّد وبشارات الانبياء

الطريق الثالث الذي يقود الىٰ الحقيقة في معرفة النبي هو بشارات ما سبقه من الانبياء الذين ثبتت نبوّتهم بالادلّة والبراهين القاطعة.

لقد بشر الانبياء بظهور سيّدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهذه امثلة مما ورد في القرآن الكريم:

ـ «ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون علىٰ الذين كفروا فلّما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله علىٰ الكافرين»[1].

ـ «الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وإنّ فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون»[2].

ـ «الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحلّ لهم الطيبات ويحرّم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والاغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزّروه ونصروه واتّبعوا النور الذي أُنزل معه اولئك هم المفلحون»[3].

---

(١) البقرة، الآية ٨٩.
(٢) البقرة، الآية ١٤٦.
(٣) الاعراف، الآية ١٥٧.

ـ «واذ قال عيسى بن مريم يا بني اسرائيل اني رسول الله إليكم مصدّقاً لما بين يديّ من التوراة ومبشّراً برسول يأتي من بعدي اسمه احمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين»[١].

وتؤكد هذه الآيات حقيقة هي ان سكان الجزيرة العربية من اليهود والنصارىٰ كانوا ينتظرون ظهور نبي جديد يحمي رسالات السماء، وقد بلغ من دقتهم في معرفة علامات النبي الجديد أنهم يعرفونه كما لو يعرفون ابناءهم، بل وكانوا يعرفون ان أسمه احمد.

ومن هنا يتبين ان عيسىٰ وموسىٰ عليهما السلام والانبياء جميعاً كانوا يبشرون بظهور سيدنا محمد وكانوا يشيرون الىٰ علاماته وصفاته في التوراة والانجيل. ولقد بلغ ايمان النصارىٰ واليهود بظهور النبي الجديد حدّاً جعلهم يهدّدون به المشركين.

وقد ورد في كتب السير: عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن رجال من قومه قالوا: ان مما دعانا الىٰ الاسلام مع رحمة الله تعالىٰ وهداه لنا لما كنا نسمع من رجال يهود (و) كنا أهل شرك اصحاب أوثان، وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس لنا، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور، فاذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا (قد) تقارب زمان نبي يبعث الآن نقتلكم معه قتل عاد و إرم. فكنّا كثيراً ما نسمع ذلك منهم. فلما بعث الله رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) أجبناه حين دعانا الىٰ الله تعالىٰ وعرّفنا ما كانوا يتوعّدوننا به، فبادرناهم اليه فآمنا وكفروا به، وفيهم نزل هؤلاء الآيات من البقرة»[٢].

وقال البلاذري: ان صفية بنت عبد المطلب قالت لابي لهب: أي أخي، أحسن بك خذلان ابن اخيك واسلامه. فوالله مازال العلماء يخبرون انه يخرج من

---

(١) الصف، الآية ٦.

(٢) سيرة ابن هشام، ج ١، ص ٢٢٥.

ضئضئ عبد المطلب نبي فهو هو[١].

كما زخرت كتب التاريخ بعلماء من اهل الكتاب رأوا سيدنا محمداً قبل بعثته وبشّروا غيرهم بنبوته وأنه هو النبي الموعود.

يقول أبو الفداء في ذكر رحلة سيدنا محمد مع عمّه أبي طالب الىٰ الشام ولقائهم ببحيرىٰ وانه رأىٰ رسول الله (صلى الله عليه وآله) في الركب.. جعل يلحظه لحظاً شديداً وينظر الىٰ اشياء من جسده قد كان يجدها عنده في صفته. وقال: ارجع بابن اخيك الىٰ بلده، فانه كائن لابن اخيك هذا شأن عظيم[٢].

«وكان بمرّ الظهان راهب من الرهبان يدعى (عيصا) من أهل الشام وكان متنفّراً بالعاص بن وائل، وكان قد آتاه الله علماً كثيراً وجعل فيه منافع كثيرة لاهل مكة من طيب ورفق وعلم. وكان يلزم صومعة له ويدخل مكة في كل سنة فيلقى الناس ويقول: انه يوشك أن يولد فيكم مولود يا أهل مكة يدين له العرب ويملك العجم، هذا زمانه، ومن أدركه واتبعه أصاب حاجته، ومن أدركه فخالفه أخطأ حاجته، وبالله ما تركت أرض الخمر والخمير والأمن ولا حللت بأرض الجوع والبؤس والخوف الا في طلبه[٣].

عن محمد بن سلمة قال: لم يكن في بني عبد الاشهل الا يهودي واحد يقال له يوشع، فسمعته يقول، واني لغلام في إزار: قد أظلّكم خروج نبي يبعث من نحو هذا البيت، ثم اشار بيده الىٰ بيت الله ، فمن ادركه فليصدّقه. فبُعث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فأسلمنا، وهو بين أظهرنا لم يسلم حسداً وبغياً[٤].

---

(١) انساب الاشراف، ج ١، ص ١١٩.
(٢) السيرة النبوية لابي الفداء، ج ١، ص ٢٤٣ ـ ٢٤٥.
(٣) المصدر السابق، ص ٢٢٢.
(٤) السيرة النبوية لابي الفداء، ج ١، ص ٢٩٤.

«وحدّث عاصم بن عمر بن قتادة عن شيخ من بني قريظة قال: قال لي: هل تدري عمّ كان اسلام ثعلبة بن سعيه واسيد بن سعيه، وأسد بن عبيد نفر من بني هدل اخوة بني قريظة كانوا معهم في جاهليتهم ثم كانوا ساداتهم في الاسلام؟ قال: قلت لا، قال: فان رجلاً من اليهود من ارض الشام يقال له ابن الهيبان قدم علينا قبل الاسلام بسنين، فحلّ بين اظهرنا، لا والله ما رأينا رجلاً قط لا يصلي الخمس افضل منه...

«قال: ثم حضرته الوفاة عندنا، فلما عرف انه ميت قال: يا معشر يهود، ما ترونه أخرجني من أرض الخمر والخمير الىٰ ارض البؤس والجوع؟ قال: قلنا: أنت اعلم. قال: فإنما قدمت هذه البلدة أتوكّف خروج نبي قد اظلّ زمانه، هذه البلدة مهاجره، فكنت ارجو أن يبعث فأتبعه، وقد أظلّكم زمانه فلا تُسبقن اليه يامعشر يهود، فانه يبعث بسفك الدماء وسبي الذراري ممن خالفه، فلا يمنعنكم ذلك منه.

فلما بعث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وحاصر بني قريظة، قال هؤلاء الفتية، وكانوا شباباً احداثاً: يا بني قريظة والله انه للنبي الذي عهد اليكم فيه ابن الهيبان. قالوا: ليس به. قالوا: بلىٰ والله انه بصفته. فنزلوا فاسلموا فأحرزوا دماءهم وأموالهم وأهليهم[1]».

وفي كيفية اسلام سلمان وحديث عن أحد الرهبان:

«فكان يمشي ويلتفت الي ويقبل عليّ فيعظني ويخبرني أن لي ربّاً، وان بين يدي جنّة وناراً وحساباً.

وقال فيما يقول لي: يا سلمان ان الله سوف يبعث رسولاً اسمه احمد، يخرج من تهامة، يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، بين كتفيه خاتم النبوّة، وهذا زمانه

---

(١) السيرة النبوية لابي الفداء، ج ١، ص ٢٩٤.

الذي يخرج فيه قد تقارب، وأحسبني أدركه، فإن أدركتَه انت فصدّقه واتبعه، قلت وإن أمرني بترك دينك، وما انت عليه؟ قال: وان امرك. فإنّ الحق فيما يجيء به، ورضا الرحمٰن فيما قال[١].

عن عامر بن ربيعة قال: سمعت زيد بن عمرو بن نفيل يقول: انا انتظر نبياً من ولد اسماعيل ثم من بني عبد المطلب، ولا أراني أُدركه، وأنا أؤمن به وأصدّقه وأشهد أنه نبي، فإن طالت لك مدّة فرأيته فاقرأه مني السلام[٢].

وعن ابن اسحاق قال: وقد كانت خديجة بنت خويلد ذكرت لورقة بن نوفل بن أسد، وكان ابن عمها، ـ وكان نصرانياً قد تتبع الكتب وعلم من علم الناس ـ ما ذكر لها غلامها من قول الراهب وما كان يرىٰ منه، فقال ورقة: لئن كان هذا حقاً يا خديجة ان محمداً لنبي هذه الامّة. قد عرفت أنه كائن بهذه الامة نبي ينتظر، هذا زمانه[٣].

وهذه طائفة من الامثلة حول هذا الموضوع علىٰ اننا لا ندعي صحة كل اسانيد هذه الروايات بل ان بعضها مجروح يمكن الطعن فيه. علىٰ ان الآيات ومجموع الروايات يؤكد ان الناس، وخاصّة أهل الكتاب، كانوا ينتظرون بعثة نبي جديد في الجزيرة العربية وكانوا يعرفون تماماً علاماته.

ومن المحتمل أن يكون هناك طريقان لشيوع مثل هذه البشارات بين الناس آنذاك؛ الاول: الىٰ ما تناقله العلماء فيما بينهم جيلاً بعد آخر شفاهاً أو في كتب محرّرة، وبالتالي فإنه يعود الىٰ ما يبشر به الانبياء قومهم.

والطريق الآخر أن تكون هذه البشارات مسجّلة في الاصل في الكتب السماوية كالتوراة والانجيل وغيرهما.

---

(١) المصدر السابق، ص ٣٠٦.
(٢) السيرة النبوية لابي الفداء، ج ١، ص ١٥٩.
(٣) المصدر السابق، ص ٢٦٧.

وتفيد الآية التي اشرنا اليها[1] ان اليهود والنصارىٰ كانوا يحيطون احاطة تامّة بهذا الموضوع، وأن التاريخ لم يسجل ادنىٰ اعتراض منهم وهم يصغون الىٰ ما أخبر به القرآن حول هذه الحقيقة.

وقد حدث العكس؛ اذ بادر جمع منهم الىٰ اعتناق الاسلام بمجرد أن وقعت أعينهم علىٰ سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

ومن المؤسف أن نرىٰ عناداً ومكابرة في ذلك، خاصّة لدىٰ اليهود الذين أصرّوا علىٰ أن النبي الموعود يجب أن يكون من بني اسرائيل، وأنّ محمداً ليس من بني اسرائيل. وقد لعب علماؤهم وأحبارهم دوراً في التشويش علىٰ هذه الحقيقة بين الناس، تدفعهم في ذلك مصالحهم الشخصية في الثراء والحكم والنفوذ.

ان التحقيق في موضوع البشارات في الانجيل والتوراة، والمقارنة بين الاناجيل المتعددة وانتخاب أقربها الىٰ الصحّة وعدم التحريف، يحتاج الىٰ بحوث مطولة وتأليف كتاب ضخم في ذلك، لذا يمكن لمن يريد التعمق في هذا الموضوع مراجعة كتب البشارات.

الاسئلة

١ ـ احفظ آيات الدرس ودقق في تفسيرها.

٢ ـ ماذا كان ينتظر الناس في زمن نزول القرآن؟

٣ ـ ما هو منشأ هذا الانتظار؟

٤ ـ ماذا كان يقول اهل‌الكتاب عندما كانوا يتعرضون لأذىٰ المشركين؟

٥ ـ ما هو السبب في ايمان ثعلبة وجمع آخر من‌المشركين بنبوّة سيدنا محمد؟

٦ ـ لماذا رفض غالبية أهل الكتاب اعتناق الاسلام؟

---

(١)الآية ١٥٧ في سورة الأعراف.

الإعـجـاز

الطريق الرابع في معرفة النبي الحق هو المعجزة أو الاتـيان بـعمل خـارق يعجز عن القيام به الانسان العادي.

ومن هنا فان الانبياء والرسل، وهم علىٰ اتصال بالوحي والسماء، كـانوا يثبتون دعواهم ونبوّاتهم بـالمعجزات التـي لا يـمكن أن تـتم دون مشـيئة الله وإرادته. وقد أتىٰ سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بـالمعجزات، كـما اشار القرآن الكريم الىٰ العديد من معاجز الانبياء، فكيف يمكنه أن يـقرّ بـتلك المعجزات ولا يقوم بمثلها!

وتزخر كتب التاريخ بحوادث عديدة من هذا القبيل.

ذكر البلاذري: أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان حين أراد الله كرامته وابتداءه بالنبوة، إذا خرج لحاجته أبعد حتى لا يـرى بـيتاً ويـفضي إلى الشعاب والاودية. فلا يمر بشجرة الا قالت: «السلام عليك يا رسول الله» فيلتفت عن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى احداً[1].

وعن امير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال:

«ولقد كنت معه ـ صلّى الله عليه وآله ـ لمّا أتاه الملأ من قريش، فقالوا له:

---

(١) انساب الاشراف، ج ١، ص ١٠٤.

يا محمد، إنك قد ادعيت عظيماً لم يدّعه آباؤك ولا أحد من بيتك، ونحن نسألك أمراً إن أنت أجبتنا إليه وأريتناه، علمنا أنك نبي ورسول، وإن لم تفعل علمنا أنك ساحر كذاب. فقال صلّى الله عليه وآله: «وما تسألون؟» قالوا: تدعو لنا هذه الشجرة حتى تنقلع بعروقها وتقف بين يديك، فقال صلّى الله عليه وآله: «إن الله علىٰ كل شيء قدير. فإن فعل الله لكم ذلك، أتؤمنون وتشهدون بالحق؟» قالوا: نعم، قال: «فإني سأريكم ما تطلبون، وإني لأعلم انكم لا تفيئون إلىٰ خير، وإنّ فيكم من يطرح في القليب، ومن يحزب الاحزاب». ثم قال صلّى الله عليه وآله: «يا أيتها الشجرة إن كنتِ تؤمنين بالله واليوم الآخر، وتعلمين أني رسول الله، فانقلعي بعروقك حتى تقفي بين يدي بإذن الله». فوالذي بعثه بالحق لانقلعت بعروقها، وجاءت ولها دوي شديد، وقصف كقصف أجنحة الطير، حتى وقفت بين يدي رسول الله صلّى الله عليه وآله مرفرفة، وألقت بغصنها الاعلىٰ على رسول الله صلى الله عليه وآله، وببعض أغصانها على منكبي، وكنت عن يمينه صلّى الله عليه وآله، فلما نظر القوم إلى ذلك قالوا ـ علوا واستكباراً ـ : فمرها فليأتك نصفها ويبقىٰ نصفها، فأمرها بذلك، فأقبل إليه نصفها كأعجب إقبال وأشدّه دوياً، فكادت تلتفّ برسول الله صلى الله عليه وآله، فقالوا ـ كفراً وعتوا ـ: فمر هذا النصف فليرجع إلى نصفه كما كان، فأمره صلى الله عليه وآله فرجع؛ فقلت أنا: لا إله إلا الله ؛ إني أول مؤمن بك يا رسول الله ، وأول من أقرّ بأن الشجرة فعلت ما فعلت بأمر الله تعالىٰ تصديقاً بنبوتك، وإجلالا لكلمتك. فقال القوم كلهم: بل ساحر كذاب، عجيب السحر خفيف فيه، وهل يصدقك في أمرك إلا مثل هذا! (يعنونني)[1].

وكما هو واضح فان قصة الشجرة هذه قد أوردها علي (عليه السلام) وهو

---

(١) نهج البلاغة الخطبة ١٩٢.

أحد الشهود فيها، ويبدو أن ما رواه ورقة بن نوفل هو نفس هذه القصّة.

لقد سجّلت كتب التاريخ والحديث المئات من معجزات الرسول الكريم، وهو ما يؤكد أن المعجزة كانت ركناً مهماً في نبوّة محمد (صلى الله عليه وآله).

علىٰ أننا لا ندعي أن كل ما ورد من روايات واخبار يمثل الحقيقة. فهناك من القصص ما يستوجب الطعن والتجريح والتضعيف.

والمهم أن نعرف أن بين هذا الكمّ الهائل من الروايات توجد اخبار صحيحة تؤكد بما لا يقبل الترديد عنصر المعجزة لدىٰ نبينا الكريمفي اثبات رسالته وصدقه.

والمعجزات التي نسبت الىٰ سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) لا تقل عما نسب الىٰ غيره من الرسل والانبياء كموسىٰ وعيسىٰ عليهما السلام، والتي ثبتت بها نبوتهما.

ويفيد القرآن وكتب التاريخ الىٰ اتهامات صريحة لسيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) تنعته بالسحر والكذب، وهذا ما يشير الىٰ أن النبي (صلى الله عليه وآله) قد قام بأعمال غير عادية دفعتهم لاتهامه بالسحر والشعوذة مكابرة.

الجدير ذكره هنا ان النبي لم يكن يأتي المعجزة كعمل خارق في كل الظروف أو استجابة لهذا أو ذاك من المشركين، بل كان يقوم بذلك في اللحظات الحساسة التي تستوجب ذلك؛ حتىٰ لا تبقىٰ لمشرك حجة في تكذيبه.

انه رسول من الله الىٰ العالمين ليوقظ الناس من غفلتهم ويقودهم باتجاه النور.ومن الطبيعي أن يقوم النبي بأعمال خارقة حتىٰ يفيقوا الىٰ رشدهم ويعلموا أنه الحق من ربّهم.

والأهم من هذا كلّه، بالرغم من تعدد معجزات سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله) فإن القرآن الكريم يبقى المعجزة الخالدة علىٰ مرّ العصور. ومع ذلك فاننا نجد بعض المشركين يكابرون؛ لانهم لا ينشدون الحقيقة ولا يخضعون للحق.

تأمل في هذه الآية الكريمة التي تصور الطريقة التي كان يفكّر بها المشركون:

«قل لئن اجتمعت الانس والجن علىٰ أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا. ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل فأبى اكثر الناس الا كفورا. وقالوا لن نؤمن لك حتىٰ تفجر لنا من الارض ينبوعا. أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا. او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا. أو يكون لك بيت من زخرف او ترقىٰ في السماء ولن نؤمن لرقيك حتىٰ تنزل علينا كتاباً نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت الا بشراً رسولا»[1].

وهنا نرىٰ تأكيداً واضحاً علىٰ أن القرآن بذاته هو معجزة خالدة لا يمكن للبشر ولا للجنّ أن يأتوا بمثله، حتىٰ لو تكاتفوا من أجل ذلك؛ ولهذا نجد المشركين يمعنون في المكابرة والعناد فيتجاهلون القرآن ويطلبون اشياء أخرىٰ يشمّ منها رائحة العناد لا غير. والا فما معنىٰ أن يطلب هؤلاء من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يأتي «بالله والملائكة قبيلا».

ومن اجل هذا بين لهم النبي انه ليس الاّ «بشراً رسولا».

الاسئلة

١ ـ ما هي المعجزة؟

٢ ـ لماذا يقوم الانبياء بالمعجزات؟

٣ ـ لماذا يتوجب علىٰ النبي أن تكون له معجزة؟

٤ ـ اشرح المعجزة التي شاهدها علي.

٥ ـ ماذا قالت قريش حينها؟ وماذا قال علي؟

٦ ـ هل يجب علىٰ النبي الاستجابة لكل من يطالبه بمعجزة؟

٧ ـ ماذا قال سيدنا محمد للمعاندين؟ ولماذا؟

---

(١) الاسراء، الآيات ٨٨ ـ ٩٣.

القرآن معجزة خالدة

يمكن القول ان القرآن هو معجزة نبي الاسلام الكبرىٰ، وفي طـليعة الادلة القاطعة علىٰ رسالته. وهو يمثل هذا المكان المرموق لما يلي:

ـ خلوده عبر العصور وعلىٰ مرّ التاريخ الانساني، بينما تـبقىٰ المـعجزات الاخرىٰ محدودة الزمان.

ـ وهو معجزة لا يحدّها مكان ايضاً فهو ما يزال متحدّياً البشرية في كل بقعة من الارض؛ في حين كانت المعجزات الأخرىٰ محدودة في مكانها وظرفها.

ـ انه ليس معجزة فحسب، **بل هو نظام للحياة**، وشريعة للانسان؛ بينما تفتقد سائر المعجزات الاخرىٰ هذا الجانب الحياتي.

ومن هنا فالقرآن ليس كتاباً عادياً. انه كلام الله ومعجزة رسوله التي يعجز عن مثلها الآخرون.

وهذا ما نجده واضحاً في الآيات التالية:

ـ «قل لئن اجتمعت الانس والجن علىٰ أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا»[1].

ـ «أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم

---

(١) الاسراء، الآية ٨٨.

من دون الله ان كنتم صادقين. فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أُنزل بعلم الله وان لا اله الا هو فهل انتم مسلمون»[١].

ـ «وان كنتم في ريب مما نزّلنا علىٰ عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين. فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أُعدّت للكافرين»[٢].

وفي هذه الآيات نرىٰ تحدّياً للبشر جميعاً علىٰ أن يأتوا بمثل هذا الكتاب. وبالرغم من حرص المشركين يومذاك وسعْيهم ليل نهار في قهر سيدنا محمد وإلحاق الهزيمة به، فانهم ظلوا عاجزين امام القرآن، فلم يستطيعوا أبداً أن يأتوا بسورة واحدة في عصر بلغ العرب فيه الذروة في البلاغة والفصاحة والبيان.

ولم يسجل التاريخ أية محاولة من المشركين في ضرب الاسلام من الصميم عن هذا الطريق.

ولا ينحصر التحدّي الالهي في عصر الرسول، وهو ليس موجهاً للعرب وحدهم، فالقرآن يمثل تحدّياً للبشرية بأسرها في كل زمان ومكان، ومن هنا فانه معجزة كل العصور.

ولقد خلب القرآن وقت نزوله الألباب، وأدهش العرب بقوّة بيانه وحلاوة منطقه وعذوبة ألفاظه، فكان آية كبرىٰ في البلاغة والفصاحة والبيان.

حتىٰ اننا نجد رؤوس المعاندين من أهل الجاهلية والشرك والذين وقفوا في وجه الدعوة الاسلامية.. نجدهم يندهشون لدىٰ سماعهم آيات القرآن، فاذا نفوسهم وقلوبهم تصغي الىٰ حلاوة في اللفظ وسحر في البيان لم يعهدوه من قبل.

«ان الوليد بن المغيرة جاء الىٰ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقرأ عليه القرآن فكأنه رقّ له، فبلغ ذلك أباجهل، فأتاه فقال يا عم ان قومك يريدون

---

(١) هود، الآية (١٣ ـ ١٤).

(٢) البقرة، الآية (٢٣ ـ ٢٤).

ان يجمعوا لك مالاً. قال: لم؟ قال: ليعطوكه، فإنك اتيت محمداً لتعرض ما قبله!

قال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالاً.

قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك انك منكر له.

قال: وماذا أقول فيه؟ فوالله ما منكم رجل أعرف بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه ولا بقصيده مني، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، ووالله ان لِقوله الذي يقوله حلاوة، وان عليه لطلاوة، وانه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وانه ليعلو ولا يُعْلىٰ، وانه ليحطم ما تحته.

قال: لا يرضىٰ عنك قومك حتىٰ تقول فيه.

قال: قف عني حتىٰ افكر فيه.

فلما فكر قال: إن هذا الا سحر يؤثر[1].

وعن جابر بن عبد الله قال: اجتمع (نفر) من قريش يوماً فقالوا: انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر، فليأت هذا الرجل الذي فرّق جماعتنا وشتّت امرنا وعاب ديننا فليكلمه ولينظر ماذا يردّ عليه.

فقالوا: ما نعلم أحداً غير عتبة بن ربيعة. فقالوا: أنت يا أبا الوليد.

فأتاه عتبة فقال: يا محمد أنت خير أم عبدالله؟ فسكت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). فقال: أنت خير أم عبد المطلب؟ فسكت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

قال: فإن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة التي عبت، وإن كنت تزعم انك خير منهم فتكلّم حتىٰ نسمع قولك، إنا والله ما رأينا سخلة قط أشأم علىٰ قومه منك، فرّقْتَ جماعتنا، وشتتت أمرنا، وعبت ديننا وفضحتنا في العرب، حتىٰ لقد طار فيهم أن في قريش ساحراً، وأن في قريش كاهناً، والله ما

---

(١) البداية والنهاية، ج ٣، ص ٧٨.

ننتظر الا مثل صيحة الحبلىٰ أن يقوم بعضنا الىٰ بعض بالسيوف حتىٰ نتفانىٰ، ايها الرجل ان كان انما بك الحاجة جمعنا لك حتىٰ تكون اغنىٰ قريش رجلاً، وان كان انما بك الباءة فاختر أي نساء قريش شئت فلنزوجنّك عشراً.

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): فرغت؟ قال: نعم.

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «بسم الله الرحمن الرحيم حم. تنزيل من الرحمٰن الرحيم. كتابٌ فصِّلت آياته قرآنا عربياً لقوم يعلمون». الىٰ ان بلغ: «فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود».

فقال عتبة: حسبك، ما عندك غير هذا؟ قال: لا.

فرجع الىٰ قريش. فقالوا: ماوراءك؟ قال: ما تركتُ شيئاً أرىٰ انكم تكلّمونه الا كلمته. قالوا: فهل أجابك؟ فقال: نعم. ثم قال: لا والذي نصبها بنيّة ما فهمت شيئاً مما قال، غير أنه أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود.

قالوا: ويلك، يكلمك الرجل بالعربية ولا تدري ما قال؟!

قال: لا والله ما فهمت شيئاً مما قال غير ذكر الصاعقة[1].

وفي رواية أخرىٰ قال: لقد سمعت من هذا الرجل كلاماً ما سمعت أذناي كلاماً مثله[2].

وفي أخرىٰ أنه قال: اني والله قد سمعت قولاً ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر ولا الكهانة. يا معشر قريش اطيعوني واجعلوها بي، خلّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وان يظهر علىٰ العرب فملكه ملككم وعزّه عزّكم وكنتم اسعد الناس به. قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه[3].

---

(١) البداية والنهاية، ج ٣، ص ٨٠.
(٢) المصدر السابق، ص ٨٢.
(٣) المصدر السابق.

القرآن معجزة في الاسلوب

قلنا فيما مضىٰ ان القرآن معجزة وأنه يختلف تماماً عن كلام البشر. وقد أقرّ بهذه الحقيقة الاعداءُ والاصدقاء علىٰ حدٍّ سواء، وقد ذكر العلماء والمفسرون وجوهاً عديدة في اعجازه؛ نشير الىٰ بعضها:

الاول: في اسلوبه الجديد

جاء القرآن بقالب جديد في التعبير والتأليف وتنظيم الآيات والسور، **وهو** في هذا فريد بين الكتب.

فالقرآن ليس شعراً، لان الشعر بحر وقافية وأوهام،والقرآن ليس فيه من هذا شيء.

القرآن ليس شعراً ولكن فيه ما يشبه الشعر من حيث الانسجام والنسق، وآياته لا قافيه فيها، ولكنها تنتهي احياناً بحرف واحد يجعلها جذابه ورائعة في الاسلوب. وليس فيها من أوزان الشعر ولكنها تنساب بايقاع جميل أخّاذ.

القرآن جاء منثوراً ولكنه يختلف عن النثر كلّه في جانبين:

الاول: انه في القمة من الفصاحة والبلاغة وانتخاب المفردات، وهو يصور المعاني في أسمىٰ قالب ويصوغها في اجمل تعبير، تنساب كلماته وتتناغم حروفه بشكل مؤثر ورائع.

وبالرغم من أن سيدنا محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) كان أفصح العرب فإن كلامه لا يتضمن بأي شكل حلاوة القرآن وبيانه، كما نجد نهج البلاغة لمؤسس البلاغة علي بن أبي طالب (عليه السلام) والذي تربىٰ في أحضان الوحي وكان حافظاً للقرآن وكاتباً للوحي، لا يمتلك، هو الآخر، سحر القرآن وجاذبيته. وعندما نقرأ في نهج البلاغة خطباً بليغة ثم تصادفنا آية يستشهد بها أمير المؤمنين فاننا نحس ببريقها كنجم متألق في السماء.

الثاني: في ترتيب مواضيعه

ان مواضيع القرآن منظمة ومرتبة باسلوب خاص لا نجد له نظيراً في الكتب الاخرىٰ. فهذا الكتاب السماوي يحفل بمواضيع ومسائل متعددة ومختلفة، عن القيامة، المعاد والحساب والجنة والجحيم، والنبوّة والوحي، وقصص الانبياء **والرسل**، وعبادة الله، وفي خلق السماء والارض والانسان والحيوان والنبات، **وفي البحر** والرياح والمطر، وفي الشريعة والقانون، ومسائل الحلال والحرام، **وفي العبادات** والمعاملات، وفي الزواج والطلاق، وفي القصاص والديات، وفي الموعظة والارشاد وعشرات المسائل الاخرىٰ.

وهذه المواضيع، وعشرات مثلها، مطروحة بعناوين مختلفة، ومن زوايا متعددة، تبحث بشكل اجمالي أو مفصل، متصل ومستقل. فاذا انتهيت من موضوع دخلت في آخر، فهو كتب معددة في كتاب واحد ذي هدف واحد.

ومع تناثر موضوعات القرآن هنا وهناك، الّا انها ترتبط بصلة يحسّها المرء في أعماقه، كعقد من اللآلئ منتظمة في تناسق جميل. فمع التنوع في مواضيع القرآن وتعدّدها، الا انها تنتظم في نسق مؤثر رائع لا تجده في كتاب آخر.

والخلاصة: ان القرآن كتاب فريد في اسلوبه وبيانه، فلا يشبه كتب العقائد والاخلاق، والشرائع، والقصص، والعلوم الطبيعية والانسانية، ولا كتب الادب

والتاريخ؛ غير أنه وثيق الصلة بكل تلك الموضوعات، فهي تنساب فيه علىٰ نسقٍ وإيقاع ونحو هدف منشود.

فالهدف منه: معرفة النفس الانسانية والكون ومعرفة الخالق، والمصير بعد الموت، ودعوة الانسان الىٰ عبادة الله، وتهذيب النفس، وحسن الخلق، والقربىٰ من الخالق سبحانه وتعالىٰ.

قوّة البيان

يعرض القرآن الكريم مفاهيمه العالية في بيان قوي مؤثر ينفذ في اعماق النفس حتىٰ ليشعر المرء أن ما يسمعه يتجسد امام عينيه. ومن هنا نجد تهديداته تحمل معها النذر، وبشائره تحمل الأمل.

والتأمل في الآيات وتدبّرها يسمو بالنفس الانسانية الىٰ عوالم نورانية فتهبها الصفاء والطمأنينة والسلام، فاذا كل ما يسمعه عن عالم الغيب حقائق كبرىٰ يقف امامها مشدوهاً. واننا لنجد هذه الظاهرة حتىٰ لدى المعاندين، وقد مرّ الحديث عن عتبة وكيف وقف عاجزاً وهو يصغي الىٰ: «حم. تنزيل من الرحمن الرحيم»، حتىٰ اذا وصل الىٰ: «فان اعرضوا انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود» عندها هتف عتبة مأخوذاً: حسبك يا محمد. ولما عاد الىٰ قومه قال: ما فهمت مما قال غير انه أنذركم بصاعقة مثل صاعقة عاد وثمود، وهذا يشير الىٰ مدىٰ تأثير البيان القرآني في نفسه.

وقد دفعت هذه الظاهرة زعماء الشرك من قريش الىٰ النهي عن الاصغاء لآيات القرآن والابتعاد عن سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

يذكر ابن الاثير: كان الطفيل بن عمرو يحدث انه قدم مكة ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بها، فمشىٰ اليه رجال من قريش. وكان الطفيل شريفاً شاعراً لبيباً، فقالوا: يا طفيل انك قدمت بلادنا وهذا الرجل بين اظهرنا قد

عضل بنا وفرق جماعتنا وانما قوله كالسحر يفرق بين الرجل وبين ابيه وبين الرجل وبين اخيه وبنيه وبين زوجه وانما نخشىٰ عليك وعلىٰ قومك فلا تكلمه ولا تسمع منه. قال: فوالله ما زالوا بي حتى اجمعت ان لا اسمع منه شيئاً ولا اكلمه حتى حشوت اذني كرسفاً فرقاً ان يبلغني من قوله وأنا أريد أن لا اسمعه.

قال: فدنوت الىٰ المسجد فاذا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قائم يصلي عند الكعبة. قال: فقمت قريباً منه فأبىٰ الله الا ان يسمعني قوله، فسمعت كلاماً حسناً. قال: فقلت في نفسي واثكل امي والله اني لرجل شاعر لبيب ما يخفىٰ عليّ الحسن من القبيح، فما يمنعني ان اسمع هذا الرجل ما يقول، ان كان الذي يأتي به حسنا قبلته، وان كان قبيحاً تركته.

قال: فمكثت حتى انصرف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الىٰ بيته فاتبعته حتىٰ اذا دخل بيته دخلت عليه فقلت يا محمد ان قومك قالوا لي كذا وكذا ثم ان الله ابىٰ الا ان اسمع قولك فسمعت قولاً حسناً، فأعرِض علي أمرك.

قال: فعرض علي الاسلام وتلا علي القرآن، فأسلمت[1].

الاسئلة

١ ـ هل القرآن شعر؟ لماذا؟

٢ ـ بماذا يختلف القرآن عن النثر؟

٣ ـ ما هي مزايا النثر في القرآن الكريم؟

٤ ـ في أي شكل جاء ترتيب المواضيع في القرآن الكريم؟

٥ ـ ما هي بواعث التأثير في آيات القرآن؟

٦ ـ لماذا نهىٰ زعماء الشرك الناس عن الاستماع الىٰ سيدنا محمد (ص)؟

٧ ـ ماذا قال عتبة لقريش؟

٨ ـ ماذا كان رأي الطفيل في القرآن؟

---

(١) اسد الغابة، ج ٣، ص ٥٤.

اعجاز القرآن في انسجامه

من اوجه الاعجاز في القرآن الكريم انسجامه وانتفاء الاختلاف فيه، وقد اشار القرآن الىٰ هذا الجانب في قوله: «أفلا يتدبّرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً»[1].

وهذه اشارة الىٰ ان كلام البشر عرضة للاختلاف للطبيعة البشرية المتقلّبة والمتغيرة، في حين نجد القرآن متوحداً في انسجام تامّ خالٍ من اي اختلاف.

فالكتب البشرية معرضة الىٰ نوعين من الاختلاف.

الاول: في اسلوب التأليف وصياغة الجمل والعبارات والمستوىٰ البلاغي فيها. ففي أي كتاب بشري كثيراً ما نجد المنحنى البياني للاسلوب والتعبير في صعود مستمر، ذلك أن المؤلف يبدأ في مستوىٰ ثم يتحرك باتجاه التكامل، فكلما تقدم في الكتاب ازدادت مهارته في الاداء وبلاغته في التعبير.

وهناك الىٰ جانب هذا التغيّر تبدلٌ مستمر في الحالة النفسية التي تتأثر هي الاخرىٰ سلباً وايجاباً بما يحيطها من حوادث وظروف.

فالانسان عرضة للتغيّرات المستمرة، فهو في حال الصحة غيره في حال المرض، وهو في حال الفرح غيره في حال الحزن، وهو في حال النجاح

---

(١) النساء، الآية ٨٢.

يختلف في حال الهزيمة، وهو علىٰ امتداد الفترة التي يستغرقها التأليف عرضة لهذه التغيرات الطارئة التي تؤثر في مزاجه ونظرته الىٰ الاشياء.

فلو دققت النظر في كتاب ما لوجدت فيه فصولاً اجمل من أخرىٰ، ولوجدت فيه اسلوباً رائعاً في التعبير ثم سرعان ما يتعثر أو العكس، واذن فهو يعكس بشكل ما التغيرات النفسية التي طرأت علىٰ نفسية ومزاج الكاتب خلال التأليف.

اما القرآن الكريم فهو الكتاب الوحيد الذي لا يعتوره مثل هذا التغيير، فآخره يشبه أوله، وبدايته تشبه نهايته، رغم نزوله علىٰ امتداد فترة طويلة بلغت ثلاثاً وعشرين سنة، وفي اماكن متعددة، وفي ظروف متقلّبة وعاصفة، ومع كل هذا يبقىٰ القرآن الكريم في ذات الايقاع الذي يتحرك فيه، فهو نفسه يوم كان الرسول وحيداً وهو نفسه والمسلمون يعانون اشد انواع العذاب والتنكيل، وهو نفسه قبل الهجرة وبعدها، وهو ذاته في الحرب والسلام، في الازمات وفي الرخاء. ذلك أنه صادر عن الذات الاحدية المقدّسة التي لا يطرأ عليها التغيير أو التأثير.

الثاني: اما النوع الآخر من الاختلاف فهو ما نجد من التناقض أو التضارب في موضوعاته وأفكاره.

فلو أن شخصاً ما ليس له حظ من التعليم ألّف كتاباً علىٰ مدىٰ ثلاثة وعشرين عاماً من إملائه علىٰ الآخرين لا ينحصر بموضوع معين بل بمواضيع متعددة، فانه لابد وان يعثر المرء خلال ذلك علىٰ تناقضات لا حصر لها ابداً.

فمن الممكن جداً أن يؤلف كاتب ما موضوعاً ما ثم ينساه بعد مدّة، ثم تبدو له بعد ذلك فكرة تتناقض مع ما أبداه في الماضي. وقد يعتقد بأمر ثم بعد سنين ينتبه الىٰ خطأ فيصحح عقيدته، أو يطرح افكاراً ما ثم لا نجد انسجاماً فيما بينها.

لقد كان سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أمّيّا ما كان يعرف القراءة والكتابة، وهذا ما اشار اليه القرآن في قوله تعالىٰ:

«وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطّه بيمينك اذا لارتاب المبطلون»[1].

وهناك آية تشير صراحة الىٰ امّية سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، في قوله تعالىٰ: «الذين يتبعون الرسول الامّي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل...»[2].

ولقد نزل القرآن الكريم آياتٍ وسوراً متناثرة علىٰ امتداد (٢٣) سنة.

ولم يكن سيدنا محمد يكتب ذلك بيمينه بل كان له كتبة للوحي كان يملي عليهم الآيات، ولم يسجل التاريخ أن سيدنا محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) استدرك فيما أملاه علىٰ أحد من الآيات، فاعاد رأيه فيها. ومع كل هذا فاننا لا نجد ادنىٰ اختلاف أو تناقض في ذلك.

ان القرآن الكريم يزخر بعشرات المواضيع المختلفة في المجالات الاجتماعية والحقوقية والعبادية والاخلاقية، وهو في كل ذلك منسجم في تركيبهويدلّ دلالة قاطعة أنه من الله سبحانه.

وفي كماله وتكامله يحكي عن كمال مصدره وهو الحق تبارك وتعالىٰ.

والخلاصة: ان القرآن يشتمل علىٰ مواضيع متعدّدة ومسائل مختلفة، وكلها تنتظم في اسلوب خاص وانسجام تام، فلا يشذ عنه شيء وليس فيه اختلاف ولا تناقض، وفي ذلك لا يمكن ان يكون كلاماً بشرياً بل كلام الله سبحانه نزل وحياً علىٰ قلب رسوله الاكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) وانه معجزته التي لا يمكن لبشر ان يأتي بمثلها.

---

(١) العنكبوت، الآية ٤٨.

(٢) الاعراف، الآية ١٥٧.

الاسئلة

١ ـ لماذا نجد اختلافاً في الكتاب الذي يستغرق وقتا طويلاً في تأليفه؟

٢ ـ بيّن نوع الاختلاف في الاسلوب والصياغة.

٣ ـ بيّن نوع الاختلاف في الحالة النفسية.

٤ ـ اشرح الاختلاف في وجود تناقض الموضوعات.

٥ ـ لماذا لا نجد اختلافاً في القرآن الكريم؟

٦ ـ لماذا نؤمن بأن القرآن كلام الله ومعجزة رسوله؟

٧ ـ كيف نستدل من خلال القرآن علىٰ صدق سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)؟

القرآن معجزة في الإخبار عن الغيب

اخبر القرآن ببعض الحوادث قبل وقوعها ثم تحققت بعد مدّة، وهذه إحدىٰ المعجزات، ذلك ان الإخبار عن الغيب لا يتيسر للانسان العادي، ومثال ذلك هذه الآية الكريمة: «الم. غلبت الروم. في أدنىٰ الارض وهم من بعد غَلبهم سيغلبون. في بضع سنين لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون. بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم. وعدالله لا يخلف الله وعده»[1].

وتفيد هذه الآية الكريمة الىٰ انتصار سوف يحققه الروم بعد هزيمتهم في الحرب مع الفرس، ويبدو أن المسلمين كانوا يشعرون بالمرارة جرّاء هزيمة الروم علىٰ عكس المشركين، وكان الجميع يترقب أنباء المعارك الضارية التي وقعت في أطراف الحجاز. وتمرّ الاعوام واذا بالروم يُلحِقون هزيمة ساحقة بأعدائهم. وعمّت الفرحة المسلمين، فالروم كانوا أهل كتاب ومن هنا كان تعاطف المسلمين معهم.

ولأهمية هذه الحادثة في التاريخ نشير وباختصار الى تينك الدولتين العظميين اللتين كانتا تحكمان مساحات شاسعة من الارض.

تفيد المصادر التاريخية بوجود امبراطورتين كبيرتين في قارة اسيا

---

(١) الروم الآيات (١ ـ ٦).

مجاورتين لارض الحجاز،الاولىٰ: امبراطورية فارس التي تشمل ايـران حـالياً ومـقاطعات واقـاليم أخـرىٰ فـي العـراق وبـعض الدول المـجاورة الاخـرىٰ، وامبراطورية الروم الممتدة من تركيا الىٰ مصر والشام. وكانت حـالة التـنافس سائدة فيما بينهما حول الاستيلاء علىٰ الارض في هذا الجانب أو ذاك. وبسبب تلك السياسة التوسعية نشبت عدّة حروب كان يشنّها الطرف الذي يشعر بالقدرة اكثر من منافسه؛ للاستيلاء علىٰ ممتلكاته وأراضيه.

ولم يكن الحجاز الذي يجاور الدولتين معاً في مأمن من ذلك الصراع، ولقد نهضت في أطراف الحجاز امارات عربية كانت تابعة حسب موقعها الىٰ احـدىٰ الدولتين. ففي الحيرة قرب الكوفة مثلاً نهضت امارة اللـخميين وكـانت تـتمتع بحماية الساسانيين وحكمواحتىٰ عام ٦٠٢ومجيء«خسرو پرويز» الذي انـهىٰ حكمهم وضم اراضيهم الىٰ الحكم الساساني نهائياً[١].

ولما أرادت «حمير» في جنوب الحجاز الاستقلالَ عن السلطة الساسانية، جهزت الاخيرة جيشاً جرّاراً ألحق، وبـعد صـراع مـرير، الهـزيمة بـ(حـمير) وأصبحت ولايةً عاديةً من ولايات فارس عام (٥٩٨) م[٢].

وكان الروم في الجانب الآخر يتحسسون من التوسع الفارسي في جـنوب الحجاز؛ لوجود طائفة من المسيحيين هناك، فيعتبرون انفسهم مسـؤولين عـن اخوانهم في العقيدة والدين. لهذا كان سكان الحجاز يتأثرون بالصراع الدائر بين الدولتين، فاذا انتصر الساسانيون وجدتَ نصارى الحجاز في حزن عميق، بينما يحتفل المشركون ابتهاجاً بانتصار فارس. فالمجوسية وعبادة النار أقـرب الىٰ عبادة الاوثان والاصنام من غيرها.

---

(١) تاريخ ايران من السلوكيين حتىٰ الدولة الساسانية، ج ٣، ص ٢٦٣.
(٢) تاريخ ايران، دراسة جامعة كامبريج، ج ٣، ص ٢٥٦.

وفي عام ٦١٠ م بُعث سيدنا محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) بالرسالة في مكة المكرمة، وقد كانت الاعوام من ٦٠٢ ـ ٦١٠ م فترة سيئة للامبراطورية البزنطية، فقد عمّت البلاد اضطرابات واسعة، وبدت الحكومة عاجزة تماماً، فانتهز خسرو پرويز، ملك الفرس آنذاك، الفرصة وبدأ يوجه ضرباته المدمّرة لخصمه اللدود، فنظّم حملات عسكرية بدأت مع عام ٦١٠ م حتىٰ عام ٦١٩ م. وحقق المهاجمون انتصارات ساحقة في عدّة جبهات، ففي الاعوام ٦٠٥ الىٰ ٦١٣ م احتل الفرس مدن عديد؛ من بينها: دارا، آمد، اوديسا، نصيراپوليس، حلب، آپايا ودمشق.

وقد أغرت هذه الانتصارات الفرس فأعلن ملكهم «پرويز» حرباً شاملة ضد المسيحية، وأيدته في ذلك جموعٌ غفيرة من اليهود، فزحف باتجاه (اورشليم) واحتلها عام ٦١٤ م بعد أن راح ضحية المعارك ٩٠,٠٠٠ مسيحي، وتعرضت المدينة للنهب والسلب وأُحرقت الكنائس؛ بما في ذلك كنيسة القيامة، واستولى الفرس علىٰ غنائم هائلة؛ في طليعتها: الصليب الذي يعتقد النصارىٰ بأنّه صليب السيّد المسيح (عليه السلام) حيث نُقل الىٰ ايران.

وقد دفع هذا الانتصار الساحق بـ (خسرو پرويز) الىٰ ان يكتب الىٰ هرقل امبراطور الروم رسالة تنمّ عن غرور كبير؛ جاء فيها:

«من خسرو پرويز كبير الآلهة ومالك الارض، الىٰ عبده الحقير الأحمق هرقل. انك تزعم ان ربّك سيدافع عنك. فأين هو حتىٰ ينقذ اورشليم من قبضتي؟!»

وفي عام ٦١٦ م جهز كسرى الفرس جيشاً جراراً باتجاه الاسكندرية واحتل مصر حتىٰ عام ٦١٩ م، كما جهز جيشاً آخر نحو آسيا الصغرىٰ واحتل (خالكدون) عام ٦١٧ م.

وقد ادهشت هذه الانتصارات المتلاحقة العالم آنذاك. وكان لابدّ أن تـثير هذه الانتصارات ردود فعل متضاربة في الحجاز.

فقد ابدىٰ المشركون ابتهاجهم بذلك، فيما انطوىٰ المسيحيون علىٰ انفسهم حزناً وكمداً، وشعور بالخطر يدوّي في أعماقهم، ذلك ان المعارك قد وصل لهيبها الىٰ (اذرعات) في اطراف الحجاز؛ أو بتعبير القرآن في (ادنى الارض). وقد يغري ذلك الفرس باحتلال الحجاز كلّها والقضاء علىٰ النصرانية نهائياً.

وقد شارك المسلمون النصارىٰ حزنهم لشعورهم بانهم أهل كتاب يعبدون الله ويدينون برسالة المسيح عيسى بن مريم.

وفي هذه الظروف الحساسة، هبط الوحي يبشر المسلمين بانتصارٍ سيحرزه الروم عمّا قريب، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله .

يقول ابن الاثير: وفي هذه الحادثة أنزل الله تعالىٰ: «الم. غلبت الروم. في أدنىٰ الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون». يعني بأدنـىٰ الارض (أذرعـات) وهي ادنىٰ ارض الروم الىٰ العرب، وكانت الروم قد هزمت بها في بعض حروبها، وكان النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) والمسلمون قد ساءهم ظفر الفرس أوّلاً؛ لأن الروم أهل كتاب. وفرح الكفار لان المجوس اميون مثلهم. فلما نزلت هذه الآيات راهن أبوبكر الصديق أُبي بن خلف علىٰ ان الظفر يكون للروم الىٰ تسع سنين، والرهن مائة بعير، فغلبه ابوبكر ولم يكن الرهن ذلك الوقت حراماً، فلمّا ظفرت الروم أتى الخبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم الحديبية[1].

وقد عاش المسلمون أملاً الهياً بانتصار الروم بعد سنين وكانوا يعدّون الأيام انتظاراً لتحقق الوعد الالهي.

ونجد في التأريخ ان هرقل الأول امبراطور الروم قد شعر بـالحزن المـرير

---

(١) الكامل في التاريخ، ص ٤٧٩.

جرّاء هذه الهزيمة وبادر الىٰ اجراء اصلاحات اساسية في تنظيم جيوشه، وعباً قوّاته من جديد لاستعادة الاراضي المحتلة.

في عام ٦٢٢ م زحفت الجيوش بحراً صوب ارمينيا وهاجمت القوات الفارسية من الخلف. وأعقب ذلك بسنة احتلال جيوش الروم آذربايجان، وحوّلت مسقط رأس زرادشت الىٰ أنقاض وأطفأت النار (الخالدة) واستعادت الصليب المقدس وأعادته الىٰ بيت المقدس[1].

لقد كانت هزيمة الروم في اذرعات في عام ٦١٣ م، وكانت بداية انتصاراتهم عام ٦٢٢ م. واذن تكون الفاصلة الزمنية بين الهزيمة والنصر تسع سنين أي كما حدّدته الآية الكريمة بـ (بضع سنين). وهكذا تم وعد الله. وكان ذلك النبأ معجزة الهية ودليلاً علىٰ صدق رسالة سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)[2]

الاسئلة

١ ـ اشرح قصة انتصار الروم علىٰ الفرس.

٢ ـ علىٰ ماذا تدلّ النبوءة القرآنية؟

---

(١) تاريخ ايران من السلوكيين حتىٰ الساسانيين، ج ٣، ص ٢٦٦.

(٢) اتفق المؤرخون كالطبري وابن الاثير وأبو الفداء، وكذا المفسرون، ان الوعد الالهي قد تحقق في أقل من عشر سنين. ولكن مع الاسف لا نجد تاريخاً دقيقاً في ذلك. فالمصادر الاسلامية تشير الىٰ ان انتصار الروم كان في غزوة بدر الكبرىٰ أي السنة الثانية للهجرة وبعضها يحدد التاريخ في «الحديبية» السنة السادسة للهجرة، وكلاهما لا ينسجم مع مفاد الآية، ذلك أن هزيمة الروم كانت عام ٦١٣ م في السنة الثالثة للبعثة المباركة ويفصلها عن معركة بدر ١٣ سنة ومع الحديبية ١٦ سنة، في حين تشير الآية الكريمة الىٰ ان النصر يتم في بضع سنين أي اقل من عشر سنين. وعلىٰ هذا فان كلّا من التاريخين لا ينسجم مع الآية الكريمة.
في حين تشير المصادر الايرانية القديمة الىٰ تاريخ ينطبق تماماً مع الآية، وعليه يكون تاريخ انتصار الروم في السنة الثالثة عشر للبعثة تقريباً.

القسم الثاني

سيّدنا محمد خاتم الانبياء

الادلّة

سيدنا محمّد خاتم الانبياء

سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله) هو آخر الانبياء وخاتم الرسل. فلم ولن يبعث بعده أحد، وقد بشّر نبينا (صلى الله عليه وآله) وفي أوائل بعثته بـذلك، وكان هذا الموضوع أمراً بديهياً في المحيط الاسلامي، ولم يكن محتاجاً الىٰ اثبات.

وقد وردت خاتمية سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في القـرآن الكريم وفي الاحاديث الشريفة. قال تعالىٰ في محكم كتابه:

« ماكان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين **وكان الله** بكل شيء عليما»[1].

وسواء قرأت «خاتم» بكسر التاء أم بفتحها، فانها تفيد في كلا الحالين أن سيدنا محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) هو آخر الانبياء، يؤيد ذلك مـوقف المسلمين في صدر الكلام وفهمهم للآية الكريمة.

وهناك آيات عديدة تدلّ جميعاً علىٰ خاتمية سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) للنبوّات.

واضافة الىٰ ذلك ما ورد من الاحاديث الشريفة؛ وهذه امثلة:

عن سعد بن أبيوقاص عن أبيه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله

---

(١) الاحزاب، الآية ٤٠.

وسلم) لعلي (عليه السلام):

«انت مني بمنزلة هارون من موسىٰ الاّ انه لا نبي بعدي»[١].

وقد أوردت كتب الاحاديث لدىٰ الشيعة والسنة هذا الحديث، وهو يدلّ دلالة واضحة علىٰ أن سيدنا محمداً (صلى الله عليه وآله) هو خاتم الانبياء.

وعن أبي هريرة انه قال: قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «ارسلت الىٰ الناس كافّة وبي ختم النبيّون»[٢].

وعن أبي امامة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «ايها الناس لا نبي بعدي ولا أمّة بعدكم، الا فاعبدوا ربّكم وصلّوا خمسكم وصوموا شهركم وحجّوا بيتكم وادّوا زكاة اموالكم، طيّبت بها نفوسكم، وأطيعوا ولاة امركم تدخلوا جنّة ربّكم[٣]».

وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال: «أرسله علىٰ حين فترة من الرسل وتنازع من الألسن فقضىٰ به الرسل وختم به الوحي»[٤].

وهذه الاحاديث تفيد بخاتمية سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وأنه آخر الانبياء وان الله لم ولن يبعث نبياً بعده.

وقد ذكرنا سابقاً بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان قد بشّر في مطلع دعوته بانه رسول الله وخاتم النبيين، فمن صدّق دعوته صدّق ضمناً خاتميته.

وهنا سؤال: ما هي العلّة في ختم النبوّة؟ فاذا كان الناس بحاجة الىٰ هداية السماء، فهذه الحاجة قائمة في كل العصور. واذا أمكن انتفاء هذه الحاجة في بعثة سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فهذا وارد ايضاً في زمن غيره من

---

١ صحيح مسلم، ج ٤، ص ١٨٧٠.
(٢) الطبقات الكبرىٰ، ج ١، ص ١٩٢.
(٣) الوسائل، ج ١، ص ١٥.
(٤) نهج البلاغة الخطبة ١٢٩.

الرسل، فلم‌لم يختم الانبياء باحدهم؟ وللاجابة نشير الىٰ ما يلي:

▣ ان الاديان جميعاً تشترك في مسار واحد هو الايمان بالله الواحد الأحد والايمان بيوم البعث بعد الموت، والايمان بالوحي، وما ينجم عن كل ذلك من شرائع اخلاقية وعبادية واجتماعية.

وهكذا نجد ان كل النبوّات في التاريخ كانت تدعو الىٰ ذلك.

▣ بالرغم من اشتراك الاديان في هـذه الاصـول والاسس ولكـنها ليست جميعاً في مستوى واحد من العمق في دائرة التشريع، فهناك تناسب وانسـجام بين الشريعة وظروفها زمانياً ومكانياً في نـوع القـوانـين، ومسـتوى العـبادات وطريقة الاداء، وهناك ايضاً التدرج الذي ينمو مع تقدم البشرية علىٰ مرّ الزمان وتعاقب العصور. فلم تكن البشرية بالأمس في مستوىٰ رشدها ونضجها العقلي كما هي عليه اليوم.

فالبشرية في تقدم ورشد مستمر وهي تمضي قدماً في طريق التكامل. ومن هنا فان الشرائع السماوية تتناغم ومستوى النضج العقلى للبشرية.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): نحن معاشر الانبياء امـرنا ان نكلم الناس علىٰ قدر عقولهم[1].

فالانبياء عبر التاريخ كانوا آباء عطوفين وعلىٰ مستوىً رفيع من الكـمال الانساني؛ أهّلهم لأن يأخذوا بيد الانسانية صوب الكمال المنشود.

وهذا المسار التكاملي للبشرية انما حصل نتيجة لحركة الانبياء علىٰ امتداد التاريخ وتنوع التجارب، حتىٰ اذا بعث سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) كانت الانسانية قد وصلت الىٰ اعلىٰ مستوىً من النضج والرشد والاستعداد أهّلها لتقبّل أسمى المعارف الالهية.

---

(١) تحف العقول، ص ٣٦.

ومن هنا فقد منّ الله سبحانه علىٰ البشرية بأكمل واتمّ الرسالات والشرائع وكان القرآن الكريم يمثل قمّة التعاليم الدينية والاحكام السماوية، ولم يكن ذلك محدوداً بعصر النزول وانما يشمل كل العصور والازمنة، فالقرآن والسنة الشريفة هما اسمىٰ ميراث ديني أنعم الله به علىٰ المسلمين.

▣ ان سيدنا محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) ومن اجل استمرار الشريعة الالهية حفظاً وتبليغاً، قد عيّن وبأمر من الله ائمة من عترته وأهل بيته ليكونوا مراجع للدين وقرناء للقرآن وهم يمثّلون امتداداً لسيرته في الحجة والعصمة.

▣ فتْح ابواب الاجتهاد واستنباط الاحكام الشرعية من القرآن والسنة الشريفة واحاديث المعصومين من الائمة وتوظيف العقل في ذلك.

فللفقهاء والعلماء ـ وعلاوة علىٰ القرآن الكريم واضافة الىٰ الميراث الضخم من الاحاديث الشريفة ـ أن يجتهدوا في البحث والتنقيب من اجل اكتشاف الاحكام الشرعية في المسائل المستحدثة والمتجددة عبر العصور مستفيدين مما ذكرناه من المصادر الاساسية.

▣ ان البشرية في عصر سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله) قد وصلت اعلىٰ مستوى لها في الرشد النضج والقابلية علىٰ إدراك آخر وأسمىٰ الرسالات الالهية وان يكونوا أمناء ومبلّغين، فحفظوا القرآن من التحريف ونقلوا للاجيال مئات الآلاف من الاحاديث الشريفة عن النبي صلى الله عليه وآله والائمة من أهل بيته عليهم السلام. وسوف يبقىٰ هذا اكبر كنز للبشرية تتناقله جيلاً بعد جيل.

واذن فالقرآن يمثل أسمىٰ وأعلىٰ وأكمل الكتب السماوية. وهو ينطوي علىٰ امتن الشرائع الالهية.

ان الله، ومن اجل استمرار الرسالة تبليغاً وامانة، قد عين ائمة معصومين، هم استمرار لحركة الانبياء، فهم حفظة القرآن وامتداد السنة الشريفة؛ ومن هنا تنتفي

الحاجة الىٰ بعث نبي جديد. وهذا ما اراده الله سبحانه، فختم الانـبياء بـمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

الاسئلة

١ ـ ماذا تعني خاتمية الانبياء؟

٢ ـ اذكر آية تدلّ علىٰ خاتمية سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله) للانبياء.

٣ ـ كيف تدلّ علىٰ ذلك؟

٤ ـ اذكر حديث المنزلة. وكيف يدلّ علىٰ ختم النبوّات؟

٥ ـ كيف عرّف سيدنا محمد نفسه في مطلع الدعوة الاسلامية؟

٦ ـ ما هو موقف المسلمين من سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)؟

٧ ـ لم اصبح سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) خاتماً للانبياء؟

٨ ـ ما هي الحكمة في ختم النبوّة؟

٩ ـ لماذا لم يختم الله النبوّات بأحد رسله السابقين؟

احكام ثابتة وحياة متغيرة

بحثنا في مامضىٰ نبوّة سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وانه آخر الانبياء، وان الله سبحانه لم ولن يبعث من بعده رسولاً، وناقشنا أدلة ذلك.

ولعلّ هناك من يسأل فيقول: كيف يمكن لأحكام ثابته ان تتكيف مع حياة متغيرة، أليس هناك من مشاكل تصادف تطبيق هذه الاحكام مع تغير الظروف وتبدّل أساليب الحياة؟ ثم هناك ما يستجدّ من المسائل وهي لم تكن موجودة في مامضىٰ، فكيف يمكن الجمع بين الاحكام الثابتة والحياة المتغيّرة؟ فأحكام الاسلام التي نزلت قبل ١٤٠٠ سنة تتلاءم مع بساطة الحياة في الجزيرة العربية آنذاك، وهي لا تنسجم مع الحياة المعقدة اليوم، فالبشرية تعيش حضارة كبرىٰ وتمدناً واسعاً ورقياً سامياً، وهي في تطور مستمر، وفي كل يوم تتعقد الحياة اكثر فاكثر، وستكون في المستقبل اكثر تعقيداً مما هي عليه اليوم، واذا كان الناس بحاجة الىٰ شرائع سماوية فمن الافضل ان يبعث الله رسولاً جديداً برسالة جديدة تلائم روح العصر، ومادامت الحياة الانسانية في تغيّر فان الاحكام يجب أن تتجدد.

وللاجابة عن هذه التساؤلات نقول:

ان الحاجات الحياتية للانسان علىٰ شكلين: حاجات ثابتة، واخرىٰ

متغيّرة. فالحاجات الثابتة موجودة في أصل الخلقة البشرية؛ حيث الغرائز والدوافع والقابليات. ومنذ أن خُلق الانسان كانت هذه الحاجات جزءاً من فطرته التي جُبل عليها.

فالناس جميعاً يحتاجون الغذاء والكساء والسكن، وهي حاجات طبيعية يشترك فيها انسان اليوم وانسان الكهوف في غابر الزمان؛ انسان هذه البقعة من الارض أو تلك المنطقة من العالم؛ واذا كان هناك اختلاف فهو في الشكل والمستوىٰ تبعاً للظروف البيئية أو الثقافية.

ومن هنا نجمت الحاجة الىٰ العمل والنشاط والاختراع، وحدثت بسبب الحاجات الاجتماعية أشكال من التبادل التجاري كالبيع والشراء والايجار والخ... من اشكال الانشطة التجارية.

ولما كانت الحياة الاجتماعية ضرورة حياتية اصيلة، كان القانون ضرورياً لحفظ النظام والحقوق والواجبات، ومنع العدوان علىٰ الآخرين، وكان البحث عن القانون الأكمل والأفضل هو هاجس المجتمعات البشرية في الحياة.

ومن هنا نشأت قوانين العمل، وحقوق العامل وربّ العمل، والملكية وحدودها، والبيع والشراء، والقضاء والمحاكم والحدود والديات والقصاص وغيرها.

ولأن الغريزة الجنسية وإشباعها حاجة بشرية تشترك فيها الانسانية جميعاً منذ القدم، فقد نشأت قوانين الزواج والطلاق وقواعد الحياة الزوجية، وحقوق الزوجين المتبادلة، وما يتعلق بالاطفال والذرّية.

وعلىٰ هذا فان الشريعة الاسلامية السمحاء، ولأنها جاءت لتلبي الحاجات الانسانية والغرائز البشرية، فهي تستمد ثباتها من ثبات ذات الحاجات الانسانية، وهي بهذا تنسجم مع البشرية في كل زمان ومكان، ولا علاقة لهذا الجانب

بخاتمية سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

وليس هناك من ينكر بالطبع تغيّر اشكال الحياة واساليب العيش مع مرور الزمن، وما يصاحب التقدّم العلمي والرشد الفكري من تغيّر واستحداث في المسائل الجديدة لدى الفرد والمجتمع؛ والتي تتطلب حلاً أو استجابة مقنعة.

ومن هنا فان الاسلام لم يغفل هذه الدائرة المتغيّرة في الحياة الانسانية، ففتح الطريق أمام الانسان في:

▣ الاجتهاد واعتماد الميراث الاسلامي في القرآن والسنة كقواعد وأصول لاستنباط واكتشاف الاجوبة الشرعية عن المسائل المستجدة في الحياة.

فالمجتهد فرد مختص تتوفر فيه الشروط التي تؤهله لاكتشاف حكم ما لمسألة مستجدة. وبهذا تواكب الشريعةُ الاسلامية التقدمَ البشري في كافة مراحله.

وعلى المجتهد أن يكون محيطاً باحوال زمانه، مواكباً لتقدم العلوم في عصره وما يتطلبه رقي بلاده لكي يكون في مقدوره اعتماد ما يحيط به من قواعد واصول في اكتشاف الحكم الشرعي وتلبية حاجات المجتمع الاسلامي، وهو في هذا يثبت للعالم بان شريعة الاسلام حيّة وانها لكل زمان ومكان بل وانها تسعد الانسان في الدنيا والآخرة.

▣ صلاحيات الحاكم الشرعي: لقد ثبت بما لا يقبل الشك ان الحكومة هي في صميم الشريعة الاسلامية، وان القسم الاعظم من الاحكام والتعاليم الدينية تتعلق بآداب المجتمع وشؤون السياسة والحكم، وأن تنفيذ ذلك يتطلب وجود مسؤول متديّن له زمام القيادة والادارة.

وان وظيفة من بيده مقاليد الامور أن يقود الامة الاسلامية في ضوء ما تقرّره الشريعة الاسلامية، وهو مسؤول عن تنفيذ كل القوانين والشرائع

الاسلامية، ومنع الظلم والعدوان والمفاسد الاخلاقية والاجتماعية، وتطبيق العدالة الالهية.

وبالرغم من ان قسماً من التعاليم الاسلامية يتضمن تشريعاً كاملاً يمكن من خلاله تحقيق الهدف المنشود، غير ان الحاكم الشرعي قد يواجَه احياناً بحوادث مفاجئة ومشكلات غير متوقعة، وفي هذه الحالة يتعين من أجل حلّها ومعالجتها وجود صلاحيات خاصّة للحاكم الشرعي.

فالحاكم الاسلامي مخوّل بتشريع قوانين من شأنها الحفاظ علىٰ مصلحة البلاد مع الاخذ بنظر الاعتبار عدم تصادمها مع الاصول والمباني الاساسية للدين الاسلامي. وتشريعات الحاكم الشرعي تتخذ حينئذ صفة القوانين الحكومية.

ولقد كان سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) يمتلك مثل هذه الصلاحيات في قيادة المسلمين ثم خلفه في ذلك الائمة المعصومون من بعده. وفي هذه الحالة يتوجب علىٰ المسلمين كافة طاعة ولي الامر.

قال تعالىٰ: «يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله والرسول واولي الامر منكم»[1].

وفي ضوء ما تفيده الاحاديث الكثيرة فان الفقهاء يتحملون المسؤولية في قيادة الامة الاسلامية في زمان غيبة المعصوم، وفي هذه الحالة فان الفقيه المؤهل لهذه المسؤولية ينبغي ان يكون عادلاً مدبّراً ومديراً وسياسياً، حيث يتم انتخابه من خلال مجلس للخبراء، منتخب من قبل الشعب. وبالطبع فان تلك الصلاحيات التي يتمتع بها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والائمة (عليهم السلام) سوف تنتقل اليه ويكتسب صفته ولياً لأمر المسلمين.

وعلىٰ هذا فان الحكومة الاسلامية سوف لن تواجها أزمة ما تجعلها عاجزة

---

(١) النساء، الآية ٥٩.

تشريعياً.

فالمشكلات يمكن حلّها من خلال اجتهاد الفقهاء الذي يثري الحقل التشريعي مع مرور الزمان وكذلك من خلال توظيف صلاحيات الحاكم الشرعي.

ومن هنا يتبين ان الشريعة الاسلامية شريعة حيّة خالدة فاعلة في كل زمان ومكان، وأنها لا تسعد البشرية في الحياة الدنيا فحسب بل وفي الآخرة أيضاً.

الاسئلة

١ ـ اذكر استدلالاً حول خاتمية سيدنا محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم).

٢ ـ ما هي مصادر التشريع الاسلامي؟

٣ ـ ما هي الجوانب الثابتة في حياة الانسان؟

٤ ـ ما هي الجوانب المتغيّرة في الحياة الانسانية؟

٥ ـ ماذا يعني الاجتهاد؟ وكيف يمكن تلبية حاجات الانسان المستجدة من خلاله؟

٦ ـ ماهو الطريق الآخر الذي يمكن من خلاله معالجة المشكلات، غير الاجتهاد؟

٧ ـ من هو المسؤول عن الامة الاسلامية في غياب المعصوم؟

٨ ـ ما هي مقومات ولي امر المسلمين؟

٩ ـ كيف يتم انتخابه؟

١٠ ـ ما هي صلاحياته؟

لماذا توقّف بعث الانبياء؟

لعلّ هناك من يسأل فيقول: اذا لم تكن هناك من ضرورة لبعث نبي جديد كمشرّع فان ضرورته كمبلغ للشريعة ما تزال قائمة. فلقد كان الانبياء طائفتين: اولو العزم من الرسل وهم حملة الرسالات الكبرىٰ، فيما كان بقية الانبياء مجرّد مبلّغين لهذه الرسالات، وكان لهم دور فاعل في تثبيتها ودعوة الناس الىٰ هداها، أفلا يكون ارسال نبي جديد مبلغاً لرسالة سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) مفيداً ومؤثراً؟

وفي الجواب عن هذا السؤال نقول: ان ارسال الانبياء وبعث الرسل انما يكون لاتمام الحجة علىٰ البشر، وفي مواقع الضرورة فقط، ولم تكن هذه الضرورة قائمة بعد بعثة سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)؛ ذلك أن البشرية في عهد البعثة كانت قد وصلت مستوىً من الرشد الفكري جعلها مؤهّلة لحفظ ميراث الرسالة مع الشعور بمسؤولية ابلاغها لأنها أكمل الرسالات.

يقول القرآن الكريم: «اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون. اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا»[1].

---

(١) المائدة، الآية ٣.

ولقد اسند الاسلام مسؤولية حفظ الشريعة وإبلاغها الىٰ ثلاث جهات:

▣ الامام المعصوم: إذ يعتقد الشيعة ان سيدنا محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) أوصىٰ في ذلك الىٰ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) فهو امام واجب الطاعة مسؤول عن حفظ الشريعة وتبليغها.

ولقد نهض الامام علي (عليه السلام) بمسؤوليته تلك ما استطاع الىٰ ذلك سبيلا. فلما استشهد في المحراب أوصىٰ لابنه الحسن بن علي (عليهما السلام). ونهض الامام الحسين (عليه السلام) بهذه المسؤولية بعد أخيه الحسن. وتوارث الامامة بعده اولاده واحفاده حتىٰ وفاة الحسن العسكري سنة ٢٥٥ هـ.

ومن خلال سعي وجهاد هؤلاء الائمة المعصومين انتقل الينا ميراث ضخم يتضمن مئات الآلاف من الاحاديث في جميع فنون الاسلام. ولقد نهض الائمة من أهل البيت بمسؤوليتهم وأدوا واجبهم في ابلاغ الرسالة وحفظها. وتخرّج علىٰ أيديهم عشرات بل مئات العلماء والفقهاء الذين كان لهم دور في استمرار الشريعة الاسلامية.

وعندما توفي الامام الحسن العسكري (عليه السلام) وهو الامام الحادي عشر عهد بالامامة من بعده الىٰ ابنه محمد المهدي (عجل الله فرجه) الذي اضطر، وبسبب الظروف العصيبة، الىٰ الاختفاء عن الانظار حتىٰ يأذن الله سبحانه بظهوره، يوم تصل الانسانية الىٰ مرحلة من الاستعداد للثورة العالمية ضد الظلم والانحراف، والالتفاف حول الامام من اجل تنفيذ العدالة العامة وتطهير الارض من الشرور.

▣ الفقهاء والعلماء: لقد ظهر في عصر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والائمة من بعده علماءُ بارزون تعلموا الدين وفقهوا شريعة الاسلام، وكان سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) والائمة من أهل البيت (عليهم السلام) يحثون

علىٰ ذلك من اجل ابلاغ الرسالة.

وهناك احاديث كثيرة في هذا المضمار؛ منها: ما ورد عن أبي عبد الله جعفر الصادق (عليه السلام) قوله: «ان العلماء ورثة الانبياء، وذاك ان الانبياء لم يورثوا درهما ولا ديناراً، وانما أورثوا احاديث من احاديثهم. فمن اخذ بشيء منها فقد اخذ حظاً وافراً. فانظروا علمكم هذا عمّن تأخذونه، فان فينا اهل البيت في كل خلف عدولاً ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين[1]».

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «علماء امتي كأنبياء بني اسرائيل»[2].

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أيضاً قال: «رحم الله خلفائي فقيل: يا رسول الله من خلفاؤك؟ قال: الذين يحيون سنتي ويعلمونها عباد الله»[3].

وعنه (صلى الله عليه وآله وسلم) أيضاً قال: «ان مثل العلماء **في الارض** مثل النجوم في السماء يهتدىٰ بها في ظلمات البرّ والبحر. فاذا **طمست أوشك أن** تضلّ الهداة[4]».

وعن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «اذا كان يوم القيامة وزّن مداد العلماء بدماء الشهداء فيرجح مداد العلماء علىٰ دماء الشهداء[5]».

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ايضاً قال: «من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيي به الاسلام كان بينه وبين الانبياء درجة واحدة[6]».

---

(١) الكافي، ج ١، ص ٣٢.
(٢) بحار الانوار، ج ٢، ص ٢٢.
(٣) بحار الانوار، ج ٢، ص ٢٥.
(٤) بحار الانوار، ج ٢، ص ٢٥.
(٥) بحار الانوار، ج ٢، ص ١٦.
(٦) بحار الانوار، ج ١، ص ١٨٤.

ويفيد مجموع هذه الاحاديث وغيرها أن الاسلام يعدّ الفقهاء امناء للرسل ومبلّغين للرسالة.

▣ العقل البشري: ان اسمىٰ غايات الانبياء هو هداية العقل الانساني نحو الكمال. ولقد بذل الانبياء في ذلك جهوداً جبّارة حتى وصل الىٰ ما وصل اليه في زمن البعثة الشريفة لسيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكانت آخر الخطىٰ في هذا الطريق ماقام به سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) من عمل في تنوير العقول وهداية القلوب نحو نور الله، وكان الاسلام دين العقل فقد أولت الشريعة العقل اهمية كبيرة وجعلته من مصادر التشريع وتمييز الحق من الباطل والغث من السمين.

وقد زخر القرآن الكريم بمئات الآيات التي تدعو الىٰ التفكر والتأمل؛ ومن هنا عرّف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والائمة الطاهرون العقل حجة شرعية **في معرفة الحق** وألزموا المسلمين باتباعه.

ونستنتج من كل ما تقدم انه لاحاجة لبعث الانبياء تشريعاً وتبليغاً وأن سيدنا محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) هو خاتم الانبياء وسيد المرسلين.

الاسئلة

١ ـ لماذا انقُطع الوحي بعد سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)؟

٢ ـ ما هي اهمية الامامة في انتفاء الحاجة الىٰ بعث الانبياء؟

٣ ـ ما هي مسؤولية الفقهاء والعلماء؟

٤ ـ ما هو دورهم في غياب النبي؟

٥ ـ ما هو هدف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والائمة المعصومين من وراء حث الناس علىٰ إعمال العقل والفكر؟

٦ ـ متىٰ يعدّ العقل حجة شرعية؟

سيدنا محمد (ص) قبل البعثة

ولد سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في مدينة مكّة المكرّمة في ١٧ ربيع الاول سنة ٥٧٠ م [١].

أبوه عبد الله، وأمّه آمنة. توفي أبوه فدفن في يثرب، وكان سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ما يزال جنيناً في بطن أمّه، فتكفله جدّه عبد المطلب، وكان به رؤوفاً حتىٰ قدّمه علىٰ سائر أولاده، وكثيراً ماكان **يقول: ان** لابني هذا شأناً عظيما[٢].

وعندما بلغ سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الخامسة من عمره توفيت أمه آمنه، ثم توفي جدّه وكافله عبد المطلب، وكان عمره آنذاك تسعة أعوام، فتكفله عمه أبوطالب، وكان له بمثابة الأب الرحيم.

وعندما بلغ سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الخامسة والعشرين تزوج من خديجة بنت خويلد، وكانت سيدة شريفة في قومها وثريّة، فأنجبت له ولدين ماتا في صغرهما وأربع بنات هن: زينب، رقية، أم كلثوم، وفاطمة.

وتفيد كتب التاريخ ان سيدنا محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) قد بزّ

---

(١) تاريخ التمدّن / فيل دورانت، ج ٤ القسم الاول، ص ١٩٧.
(٢) مناقب ابن شهراشوب، ج ١، ص ٣٥.

أقرانه وأترابه في صباه وشبابه في منطقه وحديثه ومواقفه.

يقول عمّه أبوطالب: لقد كنت كثيراً ما اسمع منه اذا ذهب من الليل كلاماً يعجبني، وكنا لا نسمي على الطعام ولا على الشراب حتىٰ سمعته يقول «بسم الله الاحد» ثم يأكل، فاذا فرغ من طعامه قال: «الحمد لله كثيراً»، فتعجبت منه وكنت ربما اتيته غفلة فأرىٰ من لدن رأسه نوراً ممدوداً قد بلغ السماء، ثم لم أر منه كذبة قط ولا جاهلية قط، ولا رأيته يضحك في موضع الضحك ولا مع الصبيان في لعب ولا التفتَ اليهم وكان الوحدة احب اليه والتواضع[١].

وعن ابن عباس قال: كان بنو أبي طالب يصبحون رمصا عمصاً ويصبح رسولالله (صلى الله عليه وآله وسلم) صقيلاً دهيناً.

وكان أبوطالب يقرّب الىٰ الصبيان صفحتهم أول البكرة، فيجلسون وينتهبون، ويكف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يده فلا ينتهب معهم. **فلما رأىٰ** ذلك عمّه عزل له طعامه علىٰ حدة[٢].

وكتب ابو الفداء في سيرته:

وشبّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مع أبي طالب يكلؤه الله ويحفظه ويحوطه من أمور الجاهلية ومعائبها لما يريد من كرامته، حتىٰ بلغ أن كان رجلاً افضل قومه مروءة، وأحسنهم خلقاً وأكرمهم مخالطة، وأحسنهم جواراً، وأعظمهم حلماً وأمانة، وأصدقهم حديثاً وأبعدهم من الفحش والاذىٰ.وما رؤي ملاحياً ولا مماریاً أحداً، حتىٰ سماه قومه الأمين لما جمع الله فيه من الامور الصالحة[٣].

«كان عليه الصلاة والسلام اذا جاءه الوحي يحمّر وجهه...

---

(١) مناقب ابن شهراشوب، ج ١، ص ٣٧.
(٢) السيرة النبوية لابي الفداء، ج ١، ص ٢٤٢.
(٣) السيرة النبوية، ج ١، ص ٢٤٩.

فقال: زمّلوني زمّلوني، فلما ذهب عنه الروع قال لخديجة: «مالي؟ أيّ شيء عرض لي؟!» وأخبرها ما كان من الامر ثم قال: «لقد خشيت على نفسي» وذلك لأنه شاهد أمراً لم يعهده قبل ذلك، ولا كان في خلده؛ ولهذا قالت خديجة: ابشر، كلا والله لا يخزيك الله أبدا... انك لتصل الرحم وتصدق الحديث».

وكان مشهوراً صلوات الله وسلامه عليه عند الموافق والمفارق...«وتحمل الكلّ» و «تكسب المعدوم»[1].

وعن الربيع بن خثيم قال: كان يتحاكم الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في الجاهلية قبل الاسلام. وقال النضر بن الحارث لقريش قد كان محمد فيكم غلاما حدثا ارضاكم فيكم واصدقكم حديثا واعظمكم امانة حتى اذا رأيتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر، ما والله ما هو بساحر[2].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) عيون الاثر، ج ١، ص ٣٣٤.

الاسئلة

١ ـ متىٰ ولد سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)؟

٢ ـ ماذا قال ابوطالب عن سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في صباه؟

٣ ـ بماذا وصف ابن عباس سيدنا محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم)؟

٤ ـ ماذا قال النضر بن الحارث عن سيدنا محمد قبل البعثة؟

٥ ـ ماهو الهدف من وراء حلف الفضول؟

٦ ـ ما هو رأي سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بحلف الفضول؟

دين سيدنا محمّد (ص) قبل البعثة

ربّ سائل يسأل هل كان سيدنا محمد يتبع ديناً ما قبل بعثته واذا كان كذلك فما هو هذا الدين؟

وهنا ينبغي الاشارة الىٰ ان المصادر التاريخية ومع بالغ الاسف لم تتعرض الىٰ هذه المسألة بشكل واضح وصريح، باستثناء بعض الشواهد هنا وهناك. ومن قبيل المثال ما ذكره أبو الفداء: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يخرج الىٰ حراء في كل عام شهراً من السنة يتنسّك فيه، وكان من نسك قريش في الجاهلية، يطعم من جاء من المساكين حتىٰ اذا انصرف من مجاورته لم يدخل بيته حتىٰ يطوف بالكعبة[1].

وعن غياث بن ابراهيم عن الامام جعفر الصادق (عليه السلام) قال: لم يحج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد قدومه المدينة الّا واحدة وقد حج بمكة مع قومه حجات[2].

وجاء في البحار ان سيدنا محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يصلّي لله وهو ابن اربع سنين[3].

---

(١) السيرة النبوية، ج ١، ص ٣٩٠.
(٢) الوسائل، ج ٨، ص ٨٨.
(٣) بحار الانوار، ج ١٥، ص ٣٦١.

وعن أبي طالب ان سيدنا محمداًاذا تناول طعامه قال: «بسم الله» فاذا انتهىٰ قال: الحمد لله[١].

ويستفاد من كل هذه الروايات ان سيدنا كانت له سنن وطقوس قبل البعثة يؤديها تعبداً لله، فهو يعتكف في غار حراء شهراً من كل عام، ويحج بيت الله فيطوف الكعبة، ويبتدئ الطعام ببسم الله ويختمه بالحمد لله، وهذه المراسم تدلّ علىٰ تديّنه صلى الله عليه وآله.

وفي بحث عصمة الانبياء دلائل قاطعة علىٰ طهرهم من كل شرك أو كفر او ارتكاب أثم أو معصية حتىٰ قبل بعثتهم، واذن فان سيدنا محمداكان متديّناً قبل بعثته لأن الكفر والعصمة لا يجتمعان.

اضافة الىٰ ما اشار اليه القرآن في قوله تعالىٰ: «والنجم اذا هوىٰ. ما ضل صاحبكم وما غوىٰ»[٢].

ومن هنا فلا يمكن التشكيك في هذا الجانب أبداً، والسؤال هنا أي الاديان كان يتبع سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ وهنا احتمالان:

▣ ان سيدنا محمداً كان يتبع شريعة موسىٰ أو عيسىٰ عليهما السلام، ذلك أن اليهودية والنصرانية كانتا سائدتين ولأن الايمان بهما واجب قبل البعثة فان سيدنا محمداً لابدّ وأن يتبع إحداهما.

وهذا الاحتمال مستبعد لأن سيدنا محمداً لو كان يهودياً أو نصرانياً لاشترك في طقوسهما ولعاشر اتباعهما وهو أمر لم يكن اليهود ليسكتون عليه بعد البعثة المباركة اضافة الىٰ ان ما كان يؤديه من مراسم عبادية كالطواف والتعبد في غار حراء لا يشير الىٰ اليهودية أو النصرانية من قريب أو بعيد.

▣ ان سيدنا محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) كان علىٰ دين ابراهيم

---

(١) مناقب ابن شهراشوب، ج ١، ص ٣٧. (٢) النجم، الآية ٢.

الخليل (عليه السلام) وهو الحنيفية والتوحيد، وهي الديانة التي عرفها أهل الحجاز قديماً منذ أن جاء ابراهيم (عليه السلام) بابنه اسماعيل وزوجه «هاجر» الىٰ هذه الارض، ثم بناء الكعبة بيت الله الحرام. وقد ظل دين ابراهيم مدّة طويلة الدين الرسمي في شبه الجزيرة العربية. حتىٰ اندرست طقوسه مع مرور الزمن ولم يبق منه سوىٰ بعض المراسم من قبيل الوقوف في عرفات والمشعر ومنىٰ وتقديم الاضاحي والطواف حول البيت العتيق ورمي الجمرات والسعي بين الصفا والمروة وبعض المراسم الاخرىٰ.

وأعقب ذلك ظهور الوثنية والشرك في العقائد العربية مع ولائهم لابراهيم الخليل (عليه السلام)، وكانوا يعدّون انفسهم من اتباعه.

وبالطبع لم تكن ظاهرة الشرك لتحظىٰ بقبول الجميع، فقد كان هناك من يستهجنها ويدرك انها انحراف وضلال عن دين ابراهيم. وهناك شواهد تاريخية كثيرة علىٰ ذلك؛ منها ما أورده ابن هشام في سيرته:

«قال ابن اسحاق: واجتمعت قريش يوماً في عيد لهم عند صنم من اصنامهم، كانوا يعظّمونه وينحرون له ويعكفون عنده ويديرون به، وكان ذلك عيداً لهم في كل سنة يوماً، فخلص منهم اربعة نفر نجيّاً، ثم قال بعضهم لبعض: تصادقوا وليكتم بعضكم علىٰ بعض. قالوا: أجل. وهم ورقة بن نوفل بن أسد وعبد الله بن جحش وعثمان بن الحوريث وزيد بن عمرو بن نفيل، فقال بعضهم لبعض: تعلموا، والله ما قومكم علىٰ شيء. لقد اخطأوا دين ابراهيم، ما حجر نطيف به، لا يسمع ولا يُبصر، ولا يضرّ ولا ينفع. يا قوم التمسوا لأنفسكم (ديناً)، فانكم والله ما انتم علىٰ شيء. فتفرقوا في البلدان يلتمسون الحنيفية دين ابراهيم»[1].

---

(١) سيرة ابن هشام، ج ١، ص ٢٣٧.

«واما زيد بن عمرو بن نفيل فوقف فلم يدخل في يهودية ولا نصرانية، وفارق دين قومه، فاعتزل الأوثان والميتة والدم والذبائح التي تذبح علىٰ الأوثان، ونهىٰ عن قتل الموؤدة، وقال أعبد ربّ ابراهيم، وبادىٰ قومه بعيب ما هم فيه»[١].

وهناك احاديث عديدة تؤكد علىٰ ان اجداد سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) كانوا من اتباع ابراهيم الخليل (عليه السلام).

فعن الاصبغ بن نباته قال: سمعت امير المؤمنين (عليه السلام) يقول: والله ما عبد أبي ولا جدّي عبد المطلب ولا هاشم ولا عبد مناف صنماً قط. قيل: فما كانوا يعبدون؟ قال: كانوا يصلّون الىٰ البيت علىٰ دين ابراهيم متمسكين به»[٢].

ومن هنا فان سيدنا محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) كان قبل بعثته حنيفياً موحّداً لله وعلىٰ دين ابراهيم وكان يستهجن عبادة الاوثان، يصلّي لله ويحج البيت الحرام، وكان يتهجد لله معتكفاً في غار حراء، وكانت سيرته مثالاً في الاخلاق الكريمة، بعيداً عن كل الموبقات والمعاصي.

وهناك اشارات الىٰ ان الله سبحانه كان يرعاه منذ صباه ويسدّده في الطريق القويم.

عن امير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال: وقد قرن الله به (صلّى الله عليه وآله) من لدن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته، يسلك به طريق المكارم ومحاسن اخلاق العالم، ليله ونهاره[٣].

كما أورد العلامة المجلسي (رض) عن بعض اصحاب الامام الباقر انه سأل الامام (عليه السلام) عن قوله تعالىٰ: «الاّ من ارتضىٰ من رسول فانه يسلك من

---

(١) المصدر السابق، ص ٢٣٩.
(٢) بحار الانوار، ج ١٥، ص ١٤٤.
(٣) نهج البلاغة الخطبة ١٩٤.

بين يديه ومن خلفه رصدا» فقال (عليه السلام): «يوكّل الله تعالىٰ بأنبيائه ملائكة يحصون اعمالهم ويؤدّون اليهم تبليغهم الرسالة، ووكّل بمحمد ملكاً عظيماً منذ فصل عن الرضاع يرشده، يرشده الىٰ الخيرات، ومكارم الاخلاق، ويصدّه عن الشرّ ومساوئ الأخلاق، وهو الذي كان يناديه: السلام عليك يا محمد يا رسول الله وهو شاب لم يبلغ درجة الرسالة بعد، فيظن ان ذلك من الحجر والارض، فيتأمل فلا يرىٰ شيئاً»[1].

الاسئلة

١ ـ كيف تستدلّ علىٰ تديّن سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) قبل بعثته؟

٢ ـ هل كان محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) تابعاً لموسىٰ (عليه السلام) أو عيسىٰ (عليه السلام) ولِماذا؟

٣ ـ اي دين كان سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) يتبع؟ وما هو الدليل على ذلك؟

---

(١) بحار الانوار، ج ١٥، ص ٣٦١.

القسم الثالث

بعثة سيدنا محمد

(صلى الله عليه وآله وسلم)

ونزول القرآن

بعثة النبي (ص)

بُعث سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في ٢٧[١] رجب سنة ٦١٠ للميلاد، وكان في الاربعين من عمره يومذاك. وتذكر بعض المصادر التاريخية أنه كان يرىٰ آثاراً وعلامات وأطيافاً ويسمع أصواتاً تناديه: يا رسول الله.

يذكر البلاذري أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان حين أراد الله كرامته وابتداءه بالنبوة، إذا خرج لحاجته أبعد حتى لا يرى بيتاً ويفضي إلى الشعاب والاودية فلا يمر بشجرة الا قالت: «السلام عليك يا رسول الله» فيلتفت عن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى احداً[٢].

وربما سمع سيدنا محمد من يناديه: يا رسول الله فيلتفت اليه ويقول: من أنت؟ فيجيب: أنا جبريل أرسلني الله اليك ليتخذك رسولاً، فكان سيدنا محمد يكتم ذلك ولا يقول لأحد[٣].

وربّما حدّث بذلك زوجته خديجة فتقول له: ارجو ان يكون ذلك[٤].

---

(١) بحار الانوار، ج ١٨، ص ١٨٩، ويذكر البعض تواريخ أخرىٰ للبعثة في ١٨ أو ٢٠ رمضان.
(٢) انساب الاشراف، ج ١، ص ١٠٤.
(٣) بحار الانوار، ج ١٨، ص ١٨٤.
(٤) المصدر السابق، ص ١٩٤.

يقول البلاذري:

أول ما بدئ به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من النبوة حين اراد الله كرامته ورحمة العباد به، الرؤيا الصادقة، لا يرىٰ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) رؤيا في نومه الا جاءت كفلق الصبح. وحبب الله تعالى اليه الخلوة فلم يكن شيء احبّ اليه من أن يخلو وحده[١].

«وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يخرج الىٰ حراء في كل عام شهراً من السنة يتنسّك فيه»[٢].

«يطعم من جاءه من المساكين حتىٰ اذا نصرف من حراء لم يدخل بيته حتىٰ يطوف بالكعبة سبعاً أو ماشاء الله من ذلك»[٣].

وحراء جبل رفيع في الشمال من مكة المكرمة ويشرف علىٰ منىٰ، وكان علىٰ مبعدة اميال عن المدينة. اما في الوقت الحاضر فقد أُنشئت المنازل علىٰ سفحه. وعلىٰ مقربة من قمّته يوجد غار يتسع لثلاثة اشخاص، ويحمل اسم حراء، وهو اسم الجبل الذي اتخذ اسماً آخر هو جبل النور.

وكان هذا الغار مكاناً انتخبه سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) للتأمل والعبادة حتىٰ هبط عليه جبرئيل.

ولقد امضىٰ سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) شهوراً طويلة في هذا الجبل المفعم بالصفاء وطوىٰ فيه لياليَ وايام يتأمل فيها العالم والكون، ويفكر في مصير الانسان، يمضي ساعات من الفكر والتأمل والنجوى مع خالق الكون والحياة، ويجيل البصر في ملكوت السماء الزاخر بالنجوم والاسرار. يتأمل في مكنون الخلق من بحار متلاطمة الامواج واشجار مثقلةبالثمار ودواب الارض،

---

(١) انساب الاشراف، ج ١، ص ١٠٥.
(٢) سيرة ابن هشام، ج ١، ص ٢٥١.
(٣) المصدر السابق، ص ٢٥٣.

فيهوي ساجداً لخالق الانسان وواهب الحياة.

يفكر في ضلال الانسان، كيف يتخذ من الحجارة الهة يعبدها من دون الله .

ويفكر بهذا الظلم الذي ينزله القوي بالضعيف. فالاقوياء اثرياء يكنزون الذهب والفضة، والفقراء جياع عراة مظلومون.

وهكذا يمضي سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) لياليه وايامه. حتىٰ اذا انطوىٰ شهر الاعتكاف انقلب الىٰ منزله، وقلبه مفعم بالصفاء، طافح بالمحبّة والرحمة.

حتىٰ اذا بلغ الاربعين وحان وقت ذهابه الىٰ الجبل، كانت السماء تعدّ لرحلته هذه حادثة عجيبة، وكان سيدنا محمد علىٰ ميعاد مع جبريل.

كان شهر رجب في بدايته، وسيدنا محمد غارق في تأملاته وعبادته، والغار يموج بالسكينة والصمت والهدوء، وقلب محمد يتدفق بالنور والحبّ لله خالق السماء.

وتنطوي الليالي والايام حتىٰ اذا أطل اليوم السابع والعشرون **من رجب** حانت لحظة الاتصال... اتصال السماء بالارض، وكان سيدنا محمد **غارقاً في الفكر**[1].

عن الامام علي الهادي (عليه السلام): ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لما ترك التجارة الىٰ الشام، وتصدّق بكل ما رزقه الله تعالىٰ من تلك التجارات كان يغدو كل يوم الىٰ حراء يصعده وينظر من قلله الىٰ آثار رحمة الله ، والىٰ أنواع عجائب رحمته، وبدائع حكمته، وينظر الىٰ اكناف السماء، واقطار الارض والبحار والمفاوز والفيافي فيعتَبر بتلك الآثار، ويتذكر بتلك الآيات،

---

(١) لقد أورد المؤرخون روايات عديدة حول بعثة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بعضها لاينسجم وشخصية سيدنا محمد؛ لذا نعتمد ما أورده أهل البيت (عليهم السلام).

ويعبد الله حق عبادته، فلمّا استكمل اربعين سنة ونظر الله عز وجل الىٰ قلبه فوجده افضل القلوب وأجلّها وأطوعها وأخشعها وأخضعها، أذِن لأبواب السماء ففُتحت ومحمد ينظر اليها، وأذن للملائكة فنزلوا ومحمد ينظر اليهم، وأمر بالرحمة فأُنزلت عليه من لدن ساق العرش الىٰ رأس محمد وغرّته، ونظر الىٰ جبرئيل الروح الامين المطوّق بالنور طاووس الملائكة هبط واخذ بضعه وهّزه وقال: يا محمد، اقرأ. فقال: وما أقرأ؟. قال: يا محمد «اقرأ باسم ربّك الذي خلق. خلق الانسان من علق. اقرأ وربّك الاكرم. الذي علّم بالقلم. علّم الانسان ما لم يعلم». ثم أوحىٰ اليه ما أوحىٰ اليه ربّه عز وجل ثم صعد الىٰ العلو ونزل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) من الجبل، وقد غشيه من تعظيم جلال الله، وورد عليه من كبير شأنه ما ركبه من الحمّىٰ والنافض. يقول وقد اشتدّ عليه ما يخافه من تكذيب قريش في خبره ونسبتهم ايّاه الىٰ الجنون، وأنه يعتريه شيطان، **وكان من أول** أمره اعقل خلق الله ، وأكرم برایاه، وابغض الاشياء اليه الشيطان **وافعال المجانين** وأقوالهم، فاراد الله عز وجل أن يشرح صدره ويشجع قلبه، فأنطق الجبال والصخور والمدر، وكلما وصل الىٰ شيء منها ناداه: السلام عليك يا محمد، السلام عليك يا رسول الله، أبشر فان الله عز وجل قد فضّلك وجمّلك وزيّنك وأكرمك فوق الخلائق اجمعين من الاولين والآخرين، لا يحزنك ان تقول قريش انك مجنون، وعن الدين مفتون فان الفاضل من فضّله ربّ العالمين، والكريم من كرّمه خالق الخلق اجمعين، فلا يضيقنّ صدرك من تكذيب قريش وعتاة العرب لك. فسوف يبلغك ربّك اقصىٰ منتهىٰ الكرامات، ويرفعك الىٰ ارفع الدرجات[1].

وهكذا عاد سيدنا محمد الىٰ منزله وقلبه يطفح بنور الله ورسالة رب

---

(١) بحار الانوار، ج ١٨، ص ٢٠٥.

العالمين.

ورأته زوجته ووجهه يشعّ نوراً عجيباً فقالت متعجبة: ماهذا النور؟ فقال سيدنا محمد انه نور النبوّة، قولى لا اله الا الله ، محمد رسول الله .

فلم يكن من خديجة التي تعرف صدق زوجها العظيم الا ان تهتف بخشوع: اشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله[1].

عن السري عن ابي عبد الله جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) قال: «أول ما نزل علىٰ رسول الله (صلّى الله عليه وآله): «بسم الله الرحمن الرحيم. اقرأ باسم ربك الذي خلق»، وآخره: «اذا جاء نصر الله والفتح»[2].

---

(١) مناقب آل أبي طالب، ج ١، ص ٤٦. (٢) الكافي، ج ٢، ص ٢٦٨.

الاسئلة

١ ـ حاول أن تشرح استعداد سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) للوحي والنبوة.

٢ ـ لماذا كان سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)يذهب الىٰ جبل حراء؟

٣ ـ ماذا كان يفعل هناك، اشرح ذلك.

٤ ـ اين ومتىٰ بُعث سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)؟

٥ ـ ماذا قال جبريل في أول بعثة سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)؟

٦ ـ كيف عاد سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الىٰ منزله؟

٧ ـ ماذا قالت خديجة لزوجها؟

٨ ـ ماذا كان يخشىٰ سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد نزول الوحي؟

٩ ـ اذكر أول سورة نزلت علىٰ سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

نزول القرآن

القرآن كتاب السماء وكلام الله ، في لسان عربي مبين أوحاه الله الىٰ رسوله سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهبط به جبريل. وقد استغرق الوحي الالهي مدّة ثلاثة وعشرين عاماً. ولكل سورة وآية مناسبة أو سبب للنزول، وكان سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله) يتلقىٰ الوحي في اقامة أو سفر في فترات الحرب او السلام. فربما جاء جبريل بآية واحدة أو آيات أو سورة تامّة؛ والقرآن مئة وأربع عشرة سورة، وجميع سوره تبدأ بـ(بسم الله الرحمن الرحيم) باستثناء سورة التوبة.

كل سورة تتألف من مجموعة آيات، فاذا كانت آياتها كثيرة كانت من السور الطوال، وإن كانت آياتها قليلة كانت من السور القصار. وبعض سور القرآن نزلت في مكّة وضواحيها فتسمىٰ (مكّية)، وبعضها في المدينة المنورة وأطرافها فتسمىٰ حينئذ (مدنية).

ولقد أولىٰ سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) عناية كبرىٰ في حفظ القرآن وصيانته من الخطأ والتحريف، فقام بما يلي:

▣ حفظ ما ينزل من الوحي فكان صلوات الله عليه يكرّر تلاوتها حتىٰ تنطبع في فؤاده، وكان لا ينسىٰ أو يسهو أو يغفل؛ لأن ذلك خلاف العصمة.

وقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالىٰ: «سنقرئك فلا تنسىٰ»[١].

وكان (صلى الله عليه وآله وسلم) يعيد قراءتها في خطبه ضمن مواعظه وارشادته للمسلمين أو في مناسبات معينة كالصلاة الواجبة والنافلة، وكان يتلو ما يتيسر له من القرآن كل يوم وليلة، يقرأه كما جاء به جبريل.

▣ كان سيدنا محمد، وكلما هبط الوحي بأي جديد، تلاه علىٰ اصحابه وأمرهم بحفظه والانتهال من فيض مكنونه، وكان المسلمون أسعد ما يكونون بنزول الوحي فيفرحون به ويصغون له بقلوب خاشعة فيحفظونه، وربّما راجع بعضهم سيدنا محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) فيتلو عليه ما يحفظ، ورسول الله يصحح له ما أخطأ في تلاوته.

وقد اشتهر من بين القرّاء آنذاك سبعة، ذكرهم السيوطي وهم: عثمان بن عفان، علي بن أبي طالب، أُبي بن كعب، زيد بن ثابت، عبد الله بن مسعود، أبو الدرداء وأبو موسىٰ الاشعري[٢].

ولأن سيدنا محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) قد حث المسلمين علىٰ حفظ القرآن فقد حفظه جمع كثير من اصحابه، ونبغ فيهم من حفظه كلّه؛ وهم طبقة القرّاء الذين يشكلون فريقاً كبيراً.

ففي وقعة اليمامة قُتل سبعون من القرّاء، وفي حادثة بئر مئونة في زمن النبي لقي سبعون ايضاً مصرعهم غدراً[٣].

غير أن بعض المؤرخين يقول أن القراء ليسوا بالضرورة حافظين لكل القرآن، وان الذين حفظوا القرآن كله في عهد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يتجاوز العشرة نفر وهم: علي و عثمان وابي بن كعب، ومعاذ بن جبل وابو

---

(١) الأعلىٰ، الآية ٦.
(٢) الاتقان في علوم القرآن، ج ١، ص ٩٦.
(٣) الاتقان في علوم القرآن، ص ٩٤.

الدرداء وزيد بن ثابت وابو زيد الانصاري وتميم الداري وعبادة بن ثابت وأبو ايوب الانصاري[١].

▣ كان لسيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) كتّاب للوحي يدوّنون ما نزل من القرآن، فاذا نزلت آية أو سورة أرسل وراء أحدهم ليدّونها ثم يأمره ان يقرأ ما كتب؛ حتىٰ لا يكتب خطأً أو يدوّن علىٰ غير ما انزله الله عز وجل، وكان يعلمهم مكانها في أية سورة وبعد أية آية[٢].

ويبلغ عدد من استكتبه رسول الله ٤٣ شخصاً ولم يكونوا جميعاً من كتّاب الوحي فبعضهم كان يكتب رسائله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقط، وبعضهم كان مقدّماً علىٰ غيره فاذا غاب المقدّمون استعان سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بغيرهم.

ويذكر الشيخ عبد الحي اربعة اشخاص هم كتاب الوحي الرسميين ـ اذا صح التعبير ـ وهم: عثمان وعلي، فان غابا فأبي بن كعب وزيد بن ثابت.

فاذا لم يكن من هؤلاء الاربعة أحد استعان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بمن يعرف الكتابة من الحاضرين؛ وهم معاوية، وجابر بن سعيد وأبان بن سعيد وعلاء الحضرمي وحنظلة بن ربيع[٣] اضافة الىٰ افراد آخرين كانوا يدوّنون الوحي في النسخة الخاصّة برسول الله، وربّما دوّنوا لانفسهم، وهم يدركون ان كل «بسم الله الرحمن الرحيم» هي بداية كل سورة جديدة، ثم يتتابع الوحي ونزول الآيات حتىٰ اذا نزلت «بسم الله الرحمن الرحيم» جديدة ادركوا ختم السورة السابقة وبداية السورة اللاحقة وهكذا، الا فيما ندر حيث يعين رسول الله لأصحابه موضع الآية أو الآيات الجديدة. ولكن القاعدة ان بسم الله الرحمن

---

(١) التراتيب الادارية، ج ١، ص ٧٦.
(٢) تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٤٣.
(٣) التراتيب الادارية، ج ١، ص ١١٤.

الرحيم بداية كل سورة وأن المسلمين يميزون بين انتهاء سورة وبداية أخرىٰ من خلال هذه الفواصل[١].

نوع الورق المستخدم

ان الكتابة والتدوين لابدّ وأن تتم باستخدام نوع من الورق أو القراطيس، ومن هنا ينبغي معرفة نوع الورق المستخدم آنذاك. وقد اشار القرآن الىٰ «القرطاس»

قال تعالىٰ: «ولو نزّلنا عليك القرآن كتاباً في قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين»[٢].

ومن هنا فان القرطاس كان نوعاً من الورق المستخدم في الكتابة وتدوين القرآن.

كما تفيد المصادر التاريخية بوجود نوع من الورق في عهد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقد كان الصينيون يصنعون نوعاً من الورق من النباتات، وفي الهند استُخدم الحرير الابيض في الكتابة، واستَخدم الايرانيون نوعاً من الجلد الرقيق ويدعىٰ بالأديم، كما استُخدم ألواح رقيقة من الصخر الابيض والنحاس والحديد ولحاء النخيل وكتف الغنم والجِمال وكذلك ألواح الخشب[٣].

وكان كتاب الوحي يستخدمون المواد التي سبق ذكرها في تدوين آيات القرآن الكريم، وكان سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) يحتفظ بها في مكان خاص، حتىٰ اجتمع لديه القرآن كاملاً قبل وفاته (صلى الله عليه وآله وسلم) ويقال أنه سلّم هذه النسخة الىٰ علي (عليه السلام) الذي كان احد كتّاب

---

(١) تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٣٤.
(٢) الانعام، الآية ٧.
(٣) التراتيب الادارية، ج ١، ص ١٢٢.

الوحي.

عن الامام الصادق (عليه السلام) قال: ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لعلي (عليه السلام): يا علي، القرآن خلف فراشي في المصحف والحرير والقراطيس، فخذوه، واجمعوه ولا تضيعوه كما ضيعت اليهود التوراة[1].

الاسئلة

١ ـ ماذا نعني بالسور المكّية؟

٢ ـ بماذا قام سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) من اجل حفظ القرآن؟

٣ ـ هل ينسىٰ سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أو يخطئ؟ ولماذا؟

٤ ـ لماذا يقرأ الصحابة علىٰ رسول الله ما حفظوه من القرآن؟

٥ ـ من هم حفظة القرآن؟

٦ ـ اذكر أسماء كتّاب الوحي.

٧ ـ كيف نميّز نهاية سورة معينة وبداية أخرىٰ؟

٨ ـ في أي شيء كان يدوَّن القرآن الكريم؟

٩ ـ ماذا فعل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بنسخة القرآن التي كانت لديه؟

---

(١) بحار الانوار، ج ٩٢، ص ٤٨.

جمع القرآن

كما ذكرنا سابقاً فان القرآن الكريم لم ينزل دفعة واحدة بل نـزل مـتفرقاً وعلىٰ مدىٰ ثلاثة وعشرين عاماً، وقد حرص المسلمون في صدر الاسلام علىٰ تدوينه فتعدد جمعه الىٰ ان وصل الينا في نسخته التي بين ايدينا اليوم. ويمكن الاشارة الىٰ عدّة محاولات لجمع القرآن الكريم؛ نذكر منها:

▣ ماقام به سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في تدوين القرآن علىٰ ألواح، وقد كان يشرف بصورة مباشرة علىٰ عملية التدوين بإملائه ثم يستقرئ الكاتب في ذلك. وكان (صلى الله عليه وآله وسلم) يعيّن محل كل آية ويفرز بين السور ويدعو كل سورة باسمها، وكان (صلوات الله عـليه) يأخـذ مـا دوّنـوه فيحفظه في مكان أمين.

ومن غير المعروف الطريقة التي كانت تتم فيها عملية جمع القرآن هذه، غير أن هناك بعض الاشارات التي تلقي الضوء علىٰ ملامح العمل بشكل عام.

فقد ذكر زيد بن ثابت بأنه كان يجمع القرآن بحضور رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)[1] ولم ينحصر جمع القرآن في نسخة وحيدة وهي التي كانت

---

(١) الاتقان، ج ١، ص ٧٦.

لدى سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بل كان هناك من يدوّن لنفسه نسخة. ومن هنا فقد تعدّدت نسخ القرآن التي ورد ذكرها في كتب التفسير والحديث؛ منها: مصحف علي، ومصحف ابن مسعود، ومصحف ابي بن كعب، ومصحف زيد.

وذكر ابن النديم الذين جمعوا القرآن في عهد النبي وهم كل من علي بن أبي طالب، سعد بن عبيد، أبو الدرداء، عويم بن زيد، معاذ بن جبل، أبو زيد، ثابت بن زيد، ابيّ بن كعب، عبيد بن معاوية، وثابت بن الضحّاك[1].

وكان لكل هؤلاء نسخته الخاصّة به، وهناك نقصان مهمان في هذه النسخ؛ أولهما: انها لم تكن مرتبة في كتاب، وثانيهما: التقديم والتأخير في السور[2].

وقد كان سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) يحث اصحابه علىٰ حفظ القرآن، وكان الصحابة يولون اهميّة فائقة لهذه المسألة حتىٰ نبغ عدد كبير من القرّاء وحفّاظ القرآن، وكان هؤلاء يتمتعون بالاحترام والاجلال من لدن سائر المسلمين، فكانوا يعلمون الناس القرآن تلاوة وتفسيراً، ثم اصبحوا فيما بعد أهم المصادر اثناء محاولات جمع القرآن بعد غياب النبي (صلى الله عليه وآله)، فكانوا مرجعاً للخلفاء في ذلك.

▣ وفي عهد الخليفة الاول أبي بكر الصديق جرت محاولة أخرىٰ لجمع القرآن، ذلك انه كان في عهد سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ألواحاً متفرقة وفي صدور الصحابة، ومن هنا ومن أجل الحفاظ عليه من الاضافة والحذف، خاصّة وأن بعض الصحابة الذين حفظوا القرآن قد استشهدوا كما حدث ذلك في وقعة (اليمامة).. ومن هنا فقد استشعر ابوبكر الصدّيق الخطر فأمر بجمع القرآن في صحيفة.

---

(١) الفهرست، ص ٤٧.

(٢) المصدر السابق، ص ٤٣ ـ ٤٨.

وذكر السيوطي: ان عمر بن الخطاب دخل علىٰ أبي بكر وقال له: ان أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) باليمامه يتهافتون تهافت الفراش في النار، واني اخشىٰ الا يشهدوا موطناً الا فعلوا ذلك حتىٰ يقتلوا وهم حملة القرآن، فيضيع القرآن وينسىٰ، فلو جمعته وكتبته؟ فنفر منها أبوبكر، ولما تراجعا أرسل ابوبكر الىٰ زيد بن ثابت[١]. وقال له: ان عمر دعاني الىٰ أمر فأبيت، وانت كاتب الوحي فان تكن معه اتبعتكما، فنفر زيد كذلك، وقال: نفعل ما لم يفعل رسول الله؟ فقال عمر: وما عليكما لو فعلتما ذلك؟ فشرح الله صدري لذلك ورأيت في ذلك ما رأىٰ عمر ثم تتبعت القرآن اجمعه من العسب (جريد النخل) واللخاف والاكتاف وقطع الاديم وصدور الرجال. وقد اختص أبو بكر زيداً بذلك لأنه من كتاب الوحي، وكان حافظاً للقرآن. وهذا الجمع هو ضم متفرّق القرآن من صحف لتكون هذه الصحف في مصحف.

وذكر السيوطي أيضاً: انه وعندما تم الاتفاق علىٰ جمع القرآن، قام عمر في المسلمين وقال: من تلقىٰ من رسول الله شيئاً من القرآن فليأت به، وقال ابوبكر لعمر وزيد: اقعدا علىٰ باب المسجد فمن جاءكما بشاهدين علىٰ شيء من كتاب الله فاكتباه[٢].

وبهذا يكون أبوبكر اول من جمع القرآن من الصحف والالواح والقراطيس لتكون في مصحف واحد، وقد تولىٰ زيد بن ثابت هذه المسؤولية[٣].

ولقد كان زيد بن ثابت أهلاً لذلك؛ لامانته وتقواه وفطنته، وهو اضافة الىٰ ذلك كان حافظاً للقرآن وكانت تلاوته وقراءته تتمتع بتأييد واقرار سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) كما كان كاتباً للوحي ولديه نسخة من القرآن منذ

---

(١) الاتقان، ج ١، ص ٧٦.
(٢) الاتقان، ج ١، ص ٧٧.
(٣) المصدر السابق.

عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

وبعد أن تم العمل سلّم أبوبكر المصحف الكامل الىٰ عمر الذي أودعه فيما بعد لدىٰ ابنته حفصة.

جمع القرآن علىٰ يد علي بن أبي طالب (ع):

تشير الدلائل التاريخية العديدة وبعض الاحاديث ان امير المؤمنين علي بن أبي طالب هو أول من بادر الىٰ جمع القرآن بعد رحيل سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وأن ذلك كان بأمر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

عن أبي بكر الحضرمي عن الامام الصادق (عليه السلام) قال: ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لعلي (عليه السلام): يا علي القرآن خلف فراشي في المصحف والحرير والقرطاس فخذوه واجمعوه ولا تضيعوه كما ضيعت اليهود التوراة، فانطلق علي (عليه السلام) فجمعه في ثوب اصفر، ثم ختم عليه في بيته وقال: لا ارتدي حتىٰ أجمعه. وان كان الرجل ليأتيه فيخرج اليه بغير رداء حتىٰ جمعه»[١].

وعن ابي رافع قال: ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال في مرضه الذي توفي فيه لعلي (عليه السلام): يا علي هذا كتاب الله خذه اليك فاجمعه. فجمعه علي في ثوب فمضىٰ الىٰ منزله. فلما قبض النبي (صلّى الله عليه وآله) حبس علي فالفاه كما انزل الله وكان به عالما[٢].

وعن عبد خير عن علي (عليه السلام) قال: لما قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أقسمت أو حلفت ان لا اضع ردائي علىٰ ظهري حتىٰ اجمع ما بين اللوحين. فما وضعت ردائي حتىٰ جمعت القرآن[٣].

---

(١) بحار الانوار، ج ٢، ص ٤٨.
(٢) مناقب ابن شهراشوب، ج ٢، ص ٤١.
(٣) المصدر السابق.

وعن ابن سيرين قال: قال علي: لما مات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) آليت أن لا آخذ علىٰ ردائي الا لصلاة جمعة حتىٰ اجمع القرآن فجمعته[١].

وذكر اليعقوبي في تاريخه: روىٰ بعضهم ان علي بن ابي طالب كان جمعه لما قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأتىٰ به علىٰ جمل فقال: هذا القرآن قد جمعته[٢].

ويستفاد من مجموع الاحاديث هذه ان سيدنا محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) وفي مرضه قبيل وفاته قد سلّم نسخته من القرآن الكريم الىٰ علي (عليه السلام) وأنه (صلّى الله عليه وآله) قد أمره بأن يجمعه، وأن علياً قد بادر الىٰ تنفيذ وصية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد أن فرغ من تجهيزه ودفنه وأنه سلّم ما جمعه الىٰ الخليفة الأول الذي رفض ذلك!

ومن غير المعروف تماماً ما تمتاز به النسخة التي جمعها علي (عليه السلام) وبماذا تختلف عن المصحف الذي بايدينا اليوم، غير أنه يمكن القول انه لا يوجد ادنىٰ اختلاف في عدد السور والآيات، فقد ثبت بما يقطع الشك أن القرآن الكريم مصون من كل تحريف، خال من اي حذف أو اضافة وأنه القرآن الذي هبط علىٰ صدر سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

فاذا كان هناك من اختلاف فهو:

ـ في ترتيب السور فقد رتّبها علي (عليه السلام) حسب النزول.

ـ في الآيات التي تتضمن ناسخاً ومنسوخاً؛ جاء الناسخ بعد المنسوخ.

ـ ان علياً ثبت الآيات علىٰ قراءة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

ـ ومن المحتمل احتواء نسخة علي (عليه السلام) علىٰ بعض التفاسير فيما

---

(١) الاتقان، ج ١، ص ٧٧.

(٢) تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٣٥.

يخص المحكم والمتشابه وفي اسباب النزول.

وفي النهاية نذكر ان شيعة اهل البيت.(عليهم السلام) يعتقدون بأن القرآن الموجود بين أيدي المسلمين هو نفسه الذي أوحاه الله الىٰ سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وأنه منزّه من كل تحريف، فهم يتلونه حق تلاوته ويعملون به مترسمين في ذلك خطىٰ أهل البيت (عليهم السلام).

▣ وفي عهد الخليفة عثمان بن عفان جرت ثالث وآخر عملية لجمع القرآن الكريم، وكانت بواعث ذلك أن حذيفة بن اليمان الذي كان يقاتل في جبهة ارمينية وآذربيجان دخل علىٰ عثمان وأخبره باختلاف المسلمين في قراءة القرآن.

تقول الرواية: ان حذيفة بن اليمان قدم علىٰ عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح ارمينية وآذربيجان فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة وقال لعثمان: يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الامّة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارىٰ[1].

هذا بالرغم من محاولة جمع القرآن التي تمت في عهد أبي بكر الذي سلّم النسخة تلك الىٰ عمر بن الخطاب وقد ظلّت عنده حتىٰ شعر بالموت فأودعها لدىٰ بنته حفصة. ومن هنا فان هذه النسخة قد ظلّت طيلة تلك السنين بعيدة عن أيدي المسلمين، وخلال ذلك راجت نسخ عديدة أخرىٰ من القرآن، تلك التي كانت لدىٰ كتّاب الوحي من الصحابة، فانتشرت في المدن والحواضر الاسلامية، وكانت كل نسخة تختلف عن الاخرىٰ في ترتيب السور والآيات وفي طريقة الاملاء، وكان كل فريق يدافع عن نسخته.

ومن هنا ابدىٰ حذيفة بن اليمان قلقه الشديد ونقل ذلك الىٰ عثمان الذي

١، جامع الاصول، ج ٣، ص ٥٧.

بادر الىٰ إقرار نسخة واحدة للقرآن الكريم.

ومرّة أخرىٰ دُعي زيد بن ثابت للنهوض بهذه المسؤولية.

وجعلت النسخة التي جمعت في عهد أبي بكر مرجعاً في التصحيح، وشكل عثمان فريقاً من الصحابة ليعضد حذيفة. وكان فريق العمل هذا يتألف من عبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث، وأوصاهم بضبط السور حروفاً وكلمات وتلفظاً، وأن تكون لغة قريش هي الاساس اذا حصل اختلاف في اللفظ[١].

وفي عام ٢٥ هـ. بدأ العمل، واتخذت نسخة أبي بكر اساساً في المقارنة مع النسخ الاخرىٰ. وكان سعيد بن العاص يملي لأنه أقرب الناس الىٰ لهجة سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكان زيد يكتب.

وخلال العمل برزت الحاجة الىٰ معاونة صحابة آخرين، فأصبح الفريق يتألف من اثني عشر صحابياً[٢]. وكان ابي بن كعب يشارك في املاء بعض الآيات فاذا حصل شك في بعضها استعانوا برأي من يشهد له اثنان من **الصحابة**. وربّما استعانوا بعلي (عليه السلام)[٣]. وفي كل ذلك كان عثمان يشرف **شخصياً** علىٰ سير العمل.

وهكذا تم العمل وخرجت نسخة كاملة واحدة دقيقة ومحققة، فأمر عثمان باستنساخها وبعث بها الىٰ المدن الاسلامية الكبرىٰ، كما أمر باتلاف جميع النسخ الاخرىٰ. وهكذا تحقق الوعد الالهي في قوله تعالىٰ:

«انّا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون»[٤]

«لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد»[٥].

---

١ جامع الاصول، ج ٢، ص ٥٠٤.
(٢) الاتقان، ج ١، ص ٧٩.
(٣) المصدر السابق.
(٤) الحجر، الآية ٩.
(٥) فصّلت، الآية ٤٢.

الاسئلة

١ ـ كيف جمع سيدنا محمد القرآن الكريم؟

٢ ـ من هم الذين تولّوا جمع القرآن في عهد النبي (صلى الله عليه وآله)؟

٣ ـ كيف تم جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر؟

٤ ـ من الذي تصدّىٰ لجمع القرآن في عهد أبي بكر؟ وكيف؟

٥ ـ بماذا أمر سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) علياً (عليه السلام)؟

٦ ـ من هو أول من اشتغل بجمع القرآن الكريم؟

٧ ـ لماذا فكر عثمان بجمع القرآن؟

٨ ـ ماذا فعل عثمان بعد اعداد النسخة الصحيحة من القرآن الكريم؟

قبس من أخلاق سيدنا محمد

(صلى الله عليه وآله وسلم)

بلغ سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) القمة في اخلاقه، فكان في الذروة من الكمال الانساني بما انطوىٰ عليه من الصفات الحميدة والخصال الكريمة، وبهر بذلك الذين عاشوا معه وعرفوه.

يقول ابو الدرداء: سألت عائشة عن خلق رسول الله (صلى الله **عليه وآله** وسلم) فقالت كان خلقه القرآن، يرضىٰ لرضاه ويسخط لسخطه[1].

وقد خلّد القرآن الكريم هذا الجانب الرفيع في شخصية الرسول في قوله تعالىٰ: «وإنّك لعلىٰ خلق عظيم»[2].

علىٰ اننا لا نستطيع ان نلمّ باخلاق سيدنا محمد في هذه الاوراق القليلة ولكننا نستضيء بقبس من اخلاقه الكريمة.

وصفه امير المؤمنين علي بن ابي طالب فقال: كان أجود الناس كفّاً، وأجرأ الناس صدراً وأصدق الناس لهجة، وأوفاهم ذمّة، وألينهم عريكة، وأكرمهم عشرة، ومن رآه بديهة هابة، ومن خالطه فعرفه أحبّه، ولم أر مثله قبله ولا

---

(١) البداية والنهاية، ج ٦، ص ٣٧.

(٢) القلم، الآية ٢.

بعده[١].

وعن انس بن مالك قال: كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أحسن الناس خلقاً وخلقاً، ما سئل شيئاً فقال: لا[٢].

وقالت فيه عائشة: لا فظّ ولا غليظ، ولا صخّاب في الاسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يغفر ويصفح[٣].

وأثبتت كتب التاريخ والسير خصالاً فريدة لسيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، فهو «يعود المرضىٰ في أقصىٰ المدينة، يجالس الفقراء ويؤاكل المساكين ويناولهم بيده، ويكرم اهل الفضل في اخلاقهم، ويتألف اهل الشرف بالبر لهم، يصل ذوي رحمه من غير أن يؤثرهم علىٰ غيرهم الّا بما أمر الله، ولا يجفو علىٰ أحد، يقبل معذرة المعتذر اليه، وكان أكثر الناس تبسما»[٤].

عن انس بن مالك قال: ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ادركه اعرابي **فأخذ بردائه** فجذبه جذبةً شديدة حتىٰ نظرت الىٰ صفحة عنق رسول الله (صلى **الله عليه وآله** وسلم) وقد أثرت بها حاشية الرداء ثم قال له: يا محمد مر لي من **مال الله** الذي عندك، فالتفت الله رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فضحك وأمر له بعطاء»[٥].

«وكان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يجلس القرفصاء وهي أن يقيم ساقيه ويستقبلهما ويشدّ يده بذراعه، وكان يجثو علىٰ ركبتيه وكان يثني رجلاً واحدة ويبسط عليها الاخرىٰ، ولم ير متربعاً قط، وكان يجثو علىٰ ركبتيه ولا يتكئ[٦].

عن ابن مسعود قال: أتىٰ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) رجل يكلمه

---

(١) بحار الانوار، ج ١٦، ص ٢٦٣.
(٢) عيون الاثر، ج ٢، ص ٣٢٩.
(٣) عيون الاثر، ج ٢، ص ٣٣١.
(٤) بحار الانوار، ج ١٦، ص ٢٢٨.
(٥) البداية والنهاية، ج ٦، ص ٤٣.
(٦) بحار الانوار، ج ١٦، ص ٢٤١.

فأرعد، فقال: هوّن عليك فلست بملك، انما انا ابن امرأة كانت تأكل القدّ»[١].

وعن أبي ذر قال: كان رسول الله يجلس بين ظهراني أصحابه فيجيء الغريب فلا يعرف ايّهم هو حتىٰ يسأل، فطلبنا الىٰ النبي أن يجعل مجلساً يعرفه الغريب اذا اتاه، فبنينا له دكاناً من طين وكان يجلس عليه، ونجلس بجانبيه[٢].

وعن انس بن مالك: ان رسول الله مرّ علىٰ صبيان فسلّم عليهم».

وعنه ايضاً: لم يكن شخص احبّ اليهم (الصحابة) من رسول الله، وكانوا اذا رأوه لم يقوموا اليه لما يعرفون من كراهيته»[٣].

وعن عائشة: ما شتم أحداً بشتمة ولا لعن امرأة ولا خادماً بلعنة[٤].

وعن الامام الصادق (عليه السلام): كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقسم لحظاته بين اصحابه ينظر الىٰ ذا وينظر الىٰ ذا بالسوية[٥].

ومن الطبيعي أن تبهر هذه الاخلاق العظيمة الذين عرفوه وعاشروه فانشدّوا اليه واحبّوه غاية الحبّ والتفوا حوله يفدونه بارواحهم.

وقد اشار القرآن الكريم الىٰ هذا الجانب من حياة سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في قوله تعالىٰ:

«فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لا نفضّوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل علىٰ الله ان الله يحبّ المتوكّلين»[٦].

---

(١) المصدر السابق، ص ٢٢٩.
(٢) المصدر السابق.
(٣) مكارم الاخلاق، ج ١، ص ١٩.
(٤) طبقات ابن سعد، ج ١، ص ٣٦٧.
(٥) بحار الانوار، ج ١٦، ص ٢٨.
(٦) آل عمران، الآية ١٥٩.

اخلاق سيدنا محمد (ص) مع أهله

كان سيدنا محمد عطوفاً رحيماً يبتسم لمن يلقاه، يساعد أهله في اعمال البيت، متسامحاً مع من يسيء اليه، يحبّ الصغار ويعطف عليهم، ويداعبهم، وربّما شاركهم في لعبهم.

وكان (صلى الله عليه وآله وسلم) يحلب الشاة ويخصف نعله ويكنس الدار ويعقل الناقة ويأكل ويتناول طعامه مع العبيد[1].

وسئلت عائشة ما كان النبي يصنع اذا خلا؟ قالت: يخيط ثوبه ويخصف نعله ويصنع ما يصنع الرجل في اهله.

وعن أنس بن مالك قال: خدمت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) تسع سنين فما أعلمه قال لي قطّ: هلا فعلت كذا وكذا؟ ولا عاب علي شيئاً قطّ[2].

وعن ابن عباس قال: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يجلس علىٰ الارض، ويأكل علىٰ الارض، ويعقل الشاة، ويجيب دعوة المملوك[3].

وعن جابر الانصاري قال: دخلت علىٰ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والحسن والحسين (عليهما السلام) علىٰ ظهره وهو يجثو لهما ويقول: نعم الجمل جملكما، ونعم العدلان انتما.

---

(١) عيون الاثر، ج ٢، ص ٣٣٤.
(٢) البداية والنهاية، ج ٦، ص ٣٩.
(٣) بحار الانوار، ج ١٦، ص ٢٢٩.

حياته (صلى الله عليه وآله وسلم)

عاش سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) حياته في منتهىٰ البساطة، ولم يكن منزله سوىٰ حجرات من طين، وكان فراشه مجرّد حصير، واغلب طعامه اقراص الشعير والتمر، وربّما مرّت أيام لا يأكل فيها حتىٰ الشعير أو التمر، فيمضي وقته طاوياً علىٰ الجوع، وكان لباسه بسيطاً أيضاً، وكان يخصف نعله بيده، ولم تكن حياته هذه نابعة عن فقر، فقد كان بيت المال في تصرفه والغنائم تحمل اليه، ولكنه كان اسوة للفقراء والبؤساء، ليمدّهم بالعزم والصلابة في تحمل اعباء الحياة، ولذا نراه صلى‌الله عليه وآله يهب سهمه من‌الغنائم للفقراء والمحتاجين.

وكانت حياته (صلى الله عليه وآله وسلم) تثير دهشة اصحابه وعواطفهم. وكم من مرّة دخل أحدهم ليراه نائماً علىٰ حصير له وان اضلاعه لمحمرّة من أثره فيقول له يا رسول الله الا تتخذ لك فراشاً ألين من هذا، فيجيبه سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم): وما أفعل بهذه الدنيا، وانا كالمسافر في يوم قائظ جلس ساعة في الظل ثم نهض[١].

ولربّما مرّ شهر فلا يوقد في منزله نار اذ لا يوجد فيه ما يطبخ وليس هناك من طعام سوىٰ التمر والماء[٢].

وكم ليلة امضاها سيدنا محمد طاوياً على الجوع لا يجد ما يأكله[٣].

ولمّا توفي كان منزله خالياً حتىٰ من رغيف الخبز[٤].

وكانت درعه يوم مات مرهونة لدىٰ يهودي[٥].

---

(١) مكارم الاخلاق، ج ١، ص ٢٥.
(٢) البداية والنهاية، ج ٦، ص ٥٨.
(٣) عيون الاثر، ج ٢، ص ٣٣٥.
(٤) البداية والنهاية، ج ١، ص ٥٧.
(٥) عيون الاثر، ج ٢، ص ٣٣٤.

عبادته

كان سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) من اعبد الناس، وهو الذي يقول: جعل قرّة عيني في الصلاة [١].

يؤدي صلاته بخشوع، ولم يكن يكتفي بالواجب من الصلاة، فطالما كان يصلّي النافلة حتىٰ اضحت جزءاً من عبادته، فهو يحيي الليل قائماً وراكعاً وساجداً. قال تعالىٰ في محكم قرآنه: «ومن الليل فتهجّد به نافلة لك عسىٰ ان يبعثك ربّك مقاماً محمودا»[٢].

وكان (صلّى الله عليه وآله وسلم) اذا أطلّ رمضان انصرف الىٰ الصلاة بقلبه وروحه وجوارحه مستغرقاً في عبادة الله سبحانه، وبلغ من كثرة صلاته ان تورّمت قدماه حتىٰ خاطبه الله تعالىٰ: «طه، ما انزلنا عليك القرآن لتشقىٰ»[٣].

وربّما قال له صحابي وقد تأثر لكثرة عبادته: يا رسول الله ألم يغفر الله لك ما تقدم من ذنبك و ما تأخر؟! فيجيب النبي الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم): افلا أكون عبداً شكورا[٤].

وعن أنس ان رسول الله كان كثير الذكر معرضاً عن اللهو[٥].

وعن الصادق (عليه السلام) قال: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في بيت أم سلمة ففقدته من الفراش، فدخلها في ذلك ما يدخل النساء، فقامت تطلبه في جوانب البيت حتىٰ انتهت اليه وهو في جانب من البيت قائم رافع يديه يبكي وهو يقول: اللهم لا تنزع مني صالح ما اعطيتني ابداً[٦].

وعن الصادق (عليه السلام) أيضاً قال: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله

---

(١) جامع احاديث، ج ٢، ص ٢٥.
(٢) الاسراء، الآية ٧٩.
(٣) طه، الآية ١ و ٢.
(٤) البداية والنهاية، ج ٦، ص ٦٠.
(٥) بحار الانوار، ج ٦، ص ٢١٧.
(٦) بحار الانوار، ج ٦، ص ٢١٧.

وسلم) اذا كان العشر الاواخر اعتكف في المسجد، وضرب له قبّة من سفر، وشمّر المئزر وطوىٰ فراشه[١].

وقال له أبو بكر ذات مرّة: اراك شبت؟! فقال: (صلى الله عليه وآله وسلم): شيبتني «هود» و«الواقعة» و«المرسلات» و«عم يتساءلون» و«اذا الشمس كوّرت»[٢].

وعن ابي ذر الغفاري قال: ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قام ليلة حتىٰ اصبح يقرأ هذه الآية: «إن تعذّبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فانّك انت العزيز الحكيم»[٣].

الاسئلة

١ ـ كيف كانت سيرة سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) مع اصحابه؟

٢ ـ هل كان لسيرته (صلى الله عليه وآله) اثرٌ في انتشار دعوته؟ بيّن ذلك.

٣ ـ تحدث باختصار عن سيرته (صلى الله عليه وآله وسلم) مع أهل بيته.

٤ ـ لماذا اختار سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) حياة البساطة؟

٥ ـ تحدّث باختصار عن عبادة سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

---

(١) المصدر السابق، ج ١٦، ص ٢٧٣.
(٢) البداية والنهاية، ج ٦، ص ٦٧.
(٣) البداية والنهاية، ج ٦، ص ٦٥.

القسم الرابع

الإسلام والإيمان

الاسلام والايمان

يعني الاسلام لغة التسليم، ويتضمن ـ اصطلاحاً ـ اعتناق الدين الاسلامي الذي جاء به سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم). فالذين اعتنقوه هم (مسلمون) لأنهم أسلموا أمرهم لشرع الله وصدّقوا رسالة السماء.

قال تعالىٰ: «ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتّبع ملّة ابراهيم حنيفاً واتّخذ الله ابراهيم خليلا»[1].

ويشير القرآن الكريم الىٰ ان الاسلام كان دين ابراهيم عليه السلام. قال تعالىٰ:

ـ «ما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين»[2].

ـ «ربّنا واجعلنا مسلمَين لك ومن ذرّيتنا أمّة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم»[3].

ـ «وجاهِدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملّة أبيكم ابراهيم هو سمّاكم المسلمين من قبل»[4].

---

(١) النساء، الآية ١٢٥.
(٢) آل عمران، الآية ٦٧.
(٣) البقرة، الآية ١٢٨.
(٤) الحج، الآية ٧٨.

ـ «ان الدين عند الله الاسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب»[١].

ـ «ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يُقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين»[٢].

ومن هنا فالاسلام يتضمن اقرارا بثلاثة اركان هي:

الايمان بالله الواحد الاحد.

الايمان بيوم المعاد يوم البعث والقيامة.

الايمان بنبوة سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)

فمن أعلن ايمانه بها فهو مسلم، له ما للمسلمين، وعليه ما عليهم.

عن القاسم الصيرفي قال: سمعت ابا عبد الله (عليه السلام) يقول: الاسلام يُحقن به الدم وتؤدّىٰ به الأمانة وتستحل به الفروج، والثواب علىٰ الايمان»[٣].

ومن هنا فان الاسلام هو اعتراف بهذه الاركان الثلاثة. ويتحقق اسلام المرء بمجرّد الاقرار بذلك؛ علىٰ ان هذا لا يضمن للانسان سعادته في الآخرة أو نجاته من العذاب والعقاب يوم القيامة، فهناك ما يعدّ أساساً في كل شيء وهو العمل وترجمة ذلك الىٰ سلوك.

عن ابي حمزة عن الامام الباقر (عليه السلام) قال: بني الاسلام علىٰ خمس: علىٰ الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية، ولم ينادَ بشيء كما نودي بالولاية[٤].

---

(١) آل عمران، الآية ١٩.
(٢) آل عمران، الآية ٨٥.
(٣) الكافي، ج ٢، ص ٢٤.
(٤) المصدر السابق، ص ١٨.

الايمان

يعني الايمان في اللغة الطمأنينة والسكينة وانتفاء الشكوك وهو اصطلاحاً تحقق اليقين في وجود الله عز وجل وأنه خالق الانسان والحياة وانه واحد لاشريك له، وان المعاد ويوم البعث حق، وأن رسالة سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) صدق. وخلاصة القول: ان الايمان تصديق في القلب واقرار باللسان وعمل بالاركان.

والاصل في الايمان طمأنينة القلب غير أن اداء ما يترتب عليه من التكليف الديني والواجب الاسلامي هو من ضرورات الايمان، اذ ليس من المعقول أن يؤمن القلب بشيء فلا ينعكس ايمانه في عمل، فكيف اذا جاء المرء بعمل يخالف ايمانه، اليس هذا ما يشير الىٰ كذب ايمانه؟

ويؤكد القرآن هذه الحقيقة في قوله تعالىٰ: «لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبنائهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيّدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون»[1].

---

(١) المجادلة، الآية ٢٢.

وعن محمد بن مسلم عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال: سألته عن الايمان فقال: شهادة ان لا اله الاّ الله وأن محمّداً رسول الله، والاقرار بما جاء من عند الله وما استقر في القلوب من التصديق بذلك. قال: قلت: الشهادة اليست عملاً؟ قال: بلى. قلت: العمل من الايمان؟ قال: نعم، الايمان لا يكون الا بعمل والعمل منه ولا يثبت الايمان الا بعمل[1].

ومن هنا فان الايمان لا يتحقق الا بثلاثة شروط:

▣ اليقين والطمأنينة القلبية:

ـ بأن الله واحد لا شريك له

ـ وان المعاد ويوم القيامة حق

ـ وأن رسالة سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ونبوّته صدق

▣ الشهادة بذلك علناً والاقرار بذلك لساناً

▣ اداء ما أمرنا به الله والانتهاء عمّا نهانا عنه

واذن فان الايمان مرتبة من الاسلام، ذلك ان تحقق الاسلام لا يتم بالاقرار لساناً فقط حتىٰ لو لم تكن هناك طمأنينة في القلب واذعان في النفس.

ومن هنا فان كل مؤمن مسلم بالضرورة وليس كل مسلم مؤمناً.

وهذا ما أكّده الائمة من اهل البيت (عليهم السلام)، فعن سماعة قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) اخبرني عن الاسلام والايمان أهما مختلفان؟ فقال: ان الايمان يشارك الاسلام، والاسلام لا يشارك الايمان. فقلت فصفهما لي. فقال: الاسلام شهادة ان لا اله الا الله، والتصديق برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، به حقنت الدماء وعليه جرت المناكح والمواريث وعلىٰ ظاهره جماعة الناس. والايمان الهدىٰ وما يثبت في القلوب من صفة الاسلام وما ظهر من

---

(١) الكافي، ج ٢، ص ٣٨.

العمل به. والايمان ارفع من الاسلام بدرجة. ان الايمان يشارك الاسلام في الظاهر والاسلام لا يشارك الايمان في الباطن وان اجتمعا في القول والصفة[١].

ويشير القرآن لذلك في قوله تعالىٰ: «قالت الاعراب آمنّا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولمّا يدخل الايمان في قلوبكم»[٢].

وعن جميل بن دراج قال: سألت ابا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله عز وجل «قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا...» فقال لي: الا ترىٰ ان الايمان غير الاسلام[٣].

وعن حمران بن أعين عن ابي جعفر الباقر (عليه السلام) قال: سمعته يقول: الايمان ما استقرّ في القلب وأفضىٰ به الىٰ الله عز وجل وصدّقه العمل بالطاعة لله والتسليم لامره، والاسلام ماظهر من قول وفعل وهو الذي عليه جماعة الناس من الفرق كلّها، وبه حقنت الدماء وعليه جرت المواريث وجاز النكاح واجتمعوا علىٰ الصلاة والزكاة والصوم والحج، فخرجوا بذلك من الكفر واضيفوا الىٰ الايمان. والاسلام لا يشرك الايمان، والايمان يشرك الاسلام، وهما في القول والفعل يجتمعان كما صارت الكعبة في المسجد والمسجد ليس في الكعبة وكذلك الايمان يشرك الاسلام والاسلام لا يشرك الايمان. وقد قال الله عز وجل: «قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم» فقول الله عز وجل اصدق القول [٤].

والايمان وان كان في القلب فان له درجات ومراتب.. فكلما كان عميقاً، كان المؤمن اكثر صدقاً وخشوعاً لله. وهو اشبه ما يكون بالسلّم يرقىٰ بالمرء الىٰ السماء علوّاً ورفعة فيصبح اكثر قرباً من الله عز وجل.

---

(١) الكافي، ج ٢، ص ٢٥.
(٢) الحجرات، الآية ١٤.
(٣) الكافي، ج ٢، ص ٢٤.
(٤) الكافي، ج ٢، ص ٢٦.

قال تعالىٰ: «انما المؤمنون الذين اذا ذُكر الله وجلتْ قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً وعلىٰ ربّهم يتوكّلون»[١].

عن عبد العزيز القراطيسي قال: قال لي ابو عبد الله (عليه السلام): يا عبد العزيز ان الايمان عشر درجات بمنزلة السلّم يصعد منه مرقاة بعد مرقاة، فلا يقولن صاحب الاثنين لصاحب الواحد: لست علىٰ شيء، حتىٰ ينتهي الىٰ العاشر. فلا تسقط من هو دونك فيسقطك من هو فوقك، واذا رأيت من هو اسفل منك بدرجة فارفعه اليك برفق، ولا تحملن عليه ما لا يطيق فتكسره، فان من كسر مؤمناً فعليه جبره»[٢].

ويقول المجلسي رحمه الله : «والحق ان الايمان يقبل الزيادة والنقصان سواء كانت الاعمال اجزاءه أو شرائطه أو آثاره الدالّة عليه. فان التصديق القلبيّ بأي معنى فسّر لاريب أنه يزيد، وكلما زاد زادت آثاره علىٰ الاعضاء **والجوارح، فهي** كثرة وقلّة تدلّ علىٰ مراتب الايمان زيادة ونقصاناً، وكل منها **يتفرّع علىٰ الآخر** فان كل مرتبة من مراتب الايمان تصير سبباً لقدر من الاعمال يناسبها، فاذا أتىٰ بها قوي الايمان القلبيّ وحصلت مرتبة اعلىٰ تقتضي عملاً أكثر، وهكذا...

فاذا ارتكب المؤمن الكبائر نقص ايمانه، وفارقه روح الايمان وحقيقته، وكيف يؤمن بالله والمعاد وبالجنّة والنار ويرتكب ما اخبر الله بأنه موجب لدخول النار، فلا يكون ذلك الّا لضعف في اليقين[٣].

---

(١) الانفال، الآية ٢.
(٢) الكافي، ج ٢، ص ٤٥.
(٣) بحار الانوار، ج ٦٩، ص ٢١٠.

الاسئلة

١ ـ ما هي شروط اعتناق الاسلام؟

٢ ـ ما هي الآثار المترتبة علىٰ اعتناق الاسلام؟

٣ ـ اي الاسلام يضمن سعادة الآخرة؟

٤ ـ ما هو الايمان؟

٥ ـ ما هي شروطه التي يتحقق بها الايمان؟

٦ ـ بماذا يشترك الاسلام والايمان؟ وما هي أوجه الاختلاف؟

٧ ـ هل ان كل مسلم مؤمـن؟ وهل أن كل مؤمن مسلم؟ علل ذلك.

٨ ـ هل أن الايمان قابل للزيادة والنقصان؟ اشرح ذلك.

الكفر

يعني الكفر في اللغة الغطاء، وهو اصطلاحاً نقيض الاسلام. فمن لم يكن مسلماً فهو كافر.

والاسلام كما ذكرنا سابقاً يتحقق بمجرّد الاقرار بثلاثة اركان:

- **الايمان** بالله وحده لا شريك له
- **ويوم** المعاد والقيامة
- **والتصديق** بنبوّة سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)

فمن لم يؤمن بهذه الاركان أو أحدها عدّ كافراً.

وقد اشار القرآن ضمناً الىٰ هذا المعنىٰ في قوله تعالىٰ:

- «ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيراً»[1].
- «يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزّل علىٰ رسوله والكتاب الذي أُنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضلّ ضلالاً بعيداً»[2].
- «ويقول الذين كفروا لست مرسلاً قل كفىٰ بالله شهيداً بيني وبينكم ومن

---

(١) الفتح، الآية ١٣.

(٢) النساء الآية ١٣٦.

عنده علم الكتاب»[١].

ـ «ومن يدعُ مع الله الهاً آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربّه انه لا يفلح الكافرون»[٢].

ـ «ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتىٰ تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم»[٣].

وعن الامام الصادق (عليه السلام) قال: من شك في الله وفي رسوله فهو كافر[٤]. ويقول الامام علي (عليه السلام) في إحدىٰ خطبه: لا ترتابوا فتشكوا فتكفروا[٥]. وتفيد الآيات والاحاديث المذكورة ان الشك في أحد اصول الدين هذه يوجب الكفر حتىٰ ان لم يعلن المرء ذلك صراحة. علىٰ ان بعض الاحاديث تفيد أن الشك القلبي وحده لا يوجب الكفر، اذا لم يصاحبه الاقرار بذلك لساناً.

عن محمد بن مسلم قال: كنت عند ابي عبد الله (الصادق عليه السلام) جالساً عن يساره وزرارة عن يمينه فدخل عليه أبو بصير فقال: يا ابا عبدالله ما تقول فيمن شك في الله؟ فقال: كافر يا أبا محمد. قال: فشك في رسول الله؟ فقال: كافر. ثم التفت الىٰ زرارة فقال: انما يكفر اذا جحد[٦].

وعن زرارة عن الصادق (عليه السلام) قال: لو ان العباد اذا جهلوا وقفوا ولم يجحدوا لم يكفروا»[٧].

ومن هنا فان المرء اذا شك في قلبه في وجود الله عز وجل ووحدانيته أو في نبوّة محمد (ص) أو في المعاد والقيامة ولم يعلن ذلك جهاراً أو أنه اشكل من اجل التحقيق والبحث وكان هدفه الحق لا المراء والجدال فان هذا لا يحسب كافراً.

---

(١) الرعد، الآية ٤٣.
(٢) المؤمنون، الآية ١١٧.
(٣) الحج، الآية ٥٥.
(٤) الكافي، ج ٢، ص ٣٨٦.
(٥) المصدر السابق، ص ٣٩٩.
(٦) الكافي، ج ٢، ص ٣٣٩.
(٧) الكافي، ج ٢، ص ٣٨٨.

منكر الضرورات

من موجبات الكفر أن ينكر المرء احدىٰ ضرورات الدين كالصلاة والزكاة وغيرهما من أوامر الله، لان انكار ذلك يؤدي الىٰ انكار الله ونبوّة رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم).

ومن هنا فان اساس الكفر هو انكار اصل من اصول الدين، ومجرّد الشك وحده لا يؤدي الىٰ الكفر.

ويتحقق (الكفر) فيما يلي:

ـ انكار وجود الله عز وجل

ـ ان يشرك بالله شيئاً وينسب اليه خلق العالم.

ـ ان ينكر يوم القيامة والمعاد والحياة بعد الموت.

ـ ان ينكر رسالة سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، كاليهود والنصارى.

ـ ان ينكر ضرورة من ضرورات الدين فيؤدي ذلك الىٰ انكار اصل من اصوله.

وعلىٰ هذا فان الشيعة الامامية واتباع المذاهب الاربعة (الحنفي، الشافعي، الحنبلي، المالكي) الاخرىٰ مسلمون، لانهم يؤمنون باصول الدين الاربعة.

أما سائر الفرق كالزيدية والاسماعيلية، والغلات، والمجسّمة، والجبرية، والتفويضية، والقدرية، والمذاهب الاسلامية الاخرىٰ اذا ما تحقق انكارها لاصول الدين أو لواحد منها فهم كفار والا فهم مسلمون.

احكام الكفر

شرع الاسلام للكفّار احكاماً نشير الىٰ بعضها:

- ان المسلمين لا يتزوجون منهم ولا يزوجونهم.
- انهم لا يرثون المسلمين.
- يعتبر الاسلام الكافر نجساً، ويأمر المسلمين باجتنابهم.

الاسئلة

١ ـ من هو الكافر؟ وما هي احكام الكفر؟

٢ ـ متىٰ يؤدي الشك في اصول الدين الىٰ الكفر؟

٣ ـ لماذا يوجب انكار ضرورات الدين الىٰ الكفر؟

٤ ـ عدّد اصناف الكفّار.

٥ ـ ما هي احكام الكفر؟

٦ ـ احفظ آيات الدرس وتعلم تفسيرها.

النفاق

يطلِق القرآن الكريم مصطلح النفاق علىٰ الذين أعـلنوا ايـمانهم بـالاسلام ولكنهم يضمرون الكفر، فهم يشهدون بالله ورسوله أمام الناس، فاذا خـلوا الىٰ شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزئون.

وهذا النوع من الناس يعدّون (مسلمين) وتنسحب عليهم احكام الاسلام، لأنه لا دليل علىٰ كفرهم، غير أن حسابهم يوم القيامة مع الكـافرين بـل اشـدّ عذاباً.

ويشير القرآن الىٰ فريق المنافقين في قوله تعالىٰ مخاطباً رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم): «اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون. اتخذوا ايمانهم جنّة فصدّوا عن سبيل الله انهم ساء ماكانوا يعملون. ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا فطبع علىٰ قلوبهم فهم لا يفقهون»[1].

ظهور المنافقين

من غير المؤكد معرفة تاريخ ظهور المنافقين. ومن المحتمل أنه يعود الىٰ بدايات الدعوة الاسلامية في مكّة المكرّمة. فهناك من أسلم وهو يضمر أهدافاً

---

(١) المنافقون، الآيات ١ ـ ٣.

شخصية لا تمتّ الىٰ روح الاسلام بشيء.

ويمكن تقسيم المنافقين الىٰ ثلاثة فرق:

▣ فريق اعلن اعتناقه للاسلام وهو يدرك أن هذا الدين سوف يحقق انتصاراً كبيراً وستكون له اسباب القدرة والنفوذ في المستقبل، ومن الافضل ان يتخذوا ذلك الدين سلّماً للمجد والسلطة والجاه. ومن غير المستبعد وجودهم في مكّة حتىٰ في تلك الظروف العصيبة.

▣ فريق اعتنق الاسلام خوفاً من السيف، وحفاظاً علىٰ مصالحهم الشخصية فاعلنوا اسلامهم وايمانهم بالله ورسوله وأضمروا غير ذلك؛ وأكثرهم من سكان المدينة من الذين دخلوا الاسلام بعد فتح مكّة.

▣ فريق اعتنق الاسلام حقاً وآمنوا بالله ورسوله صدقاً ثم اعتورتهم الشبهات والشكوك فيما بعد، فأخفوا كفرهم وظلّوا علىٰ اسلامهم الظاهري.

وهكذا فان ظاهرة النفاق بدأت مع مطلع الدعوة الاسلامية واستمرت حتىٰ وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وظلّوا مع المسلمين.

مؤامرات المنافقين

يتظاهر المنافقون بالصلاح والايمان ويبطنون الكفر، فهم يعيشون مع المسلمين ويشاركونهم حياتهم ويتظاهرون بحرصهم علىٰ الاسلام، حتىٰ ان المسلمين وفي كثير من الاحيان ينخدعون بظاهرهم البرّاق، أما في الحقيقة فانهم يحيكون المؤامرات في الظلام وهمّهم تدمير الاسلام وبثّ الفتنة والقضاء علىٰ المسلمين، وبهذا فقد كانوا يشكلون خطراً علىٰ الاسلام لا يقلّ عن خطر المشركين.

ومن هنا فقد كان المنافقون يتحركون في الاتجاه المضاد للاسلام ويثيرون

المشاكل تلو المشاكل، وهذه امثلة علىٰ نشاطهم التخريبي:

من الممكن القول ان المنافقين كانوا يشكلون تنظيماً سرّياً، فقد كان يعرف بعضهم بعضاً، وكانوا يتعاونون علىٰ ضرب الاسلام والمسلمين، وكانوا يسخرون من سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في اجتماعاتهم السرّية، ويهزأون بآيات القرآن الكريم، وربما تحدّثوا بذلك أمام ضعاف الايمان لتقويض روح الايمان فيهم.

وكانوا يتهرّبون من حضور صلاة الجمعة والجماعة بمختلف الاعذار ويتخلّفون عن الجهاد مختلقين الاعذار الواهية. ليس هذا فحسب بل كانوا يهوّلون من قدرة العدّو لبثّ الفزع في نفوس المسلمين وإضعاف معنوياتهم، وعندما تضطرهم الظروف للمشاركة في الحروب فانهم لا يفتأون يبثون الشائعات المغرضة واختلاق الفتن؛ هذا قبل اشتعال المعارك، فاذا بدأت المعركة ولّوا الادبار لكي يفتحوا الطريق أمام الهزيمة، وكانوا قبل كل ذلك يزوّدون العدو بما يحصلون عليه من المعلومات العسكرية البالغة الخطورة.

ولأن المنافقين مندسّون في صفوف المسلمين ويتظاهرون بالصلاة فانهم يعمدون في بعض الاحيان الىٰ بعض الاعمال التي يوحي ظاهرها بالصلاح.

فقد عمد بعضهم مثلاً الىٰ بناء مسجد بالقرب من مسجد (قبا) لاقامة صلاة الجماعة ودعوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لافتتاحه بالصلاة فيه.

وسألهم سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) عن غايتهم من وراء ذلك فأجابوا قائلين: ليصلّي فيه الضعفاء من المسلمين والمرضىٰ والذين لا يستطيعون الحضور الىٰ مسجد المدينة.

غير أن الله سبحانه مطّلع علىٰ نواياهم الحقيقية، فهم يريدون الفتنة، يريدون بث الفرقة والاختلاف بشق الصف الاسلامي، وتدمير روح الألفة والاخوّة

الاسلامية، يريدون ان يكون هذا المسجد غطاء لتآمرهم ومركزاً لعملياتهم التخريبية، ومن هنا سمّاه الله عز وجل (مسجداً ضرارا). قال سبحانه:

«والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المسلمين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفنّ ان اردنا الّا الحسنىٰ والله يشهد انهم لكاذبون. لا تقم فيه أبداً لمسجد اسس علىٰ التقوىٰ من أول يوم احق أن تقوم فيه، فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحبّ المطهّرين»[١]

وعندما هبط الوحي يفضح مؤامرة المنافقين هذه، أمر سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بعض اصحابه بإحراق المسجد، وولى المنافقون الأدبار[٢].

ومن المؤامرات الدنيئة التي اشار اليها القرآن الكريم ما حدث في غزوة بني المصطلق.

فقد وصلت أنباء الىٰ سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بأن يهود بني المصطلق يعدّون العدّة لغزو المدينة؛ لهذا اعلن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الجهاد وعبأ قوّات المسلمين وانطلق نحو العدّو. وقرب «بئر المريسيع» اصطدم الجيش الاسلامي باليهود، ودارت معركة ضارية استبسل فيها المسلمون وألحقوا بالعدو هزيمة ساحقة.

وعاد المسلمون الى معسكرهم وراية النصر تخفق فوق هامات الرجال، وهنا حدث ما لم يكن في الحسبان، اذ حدث نزاع حول الماء بين احد المهاجرين والانصار فصاح الانصاري: يا معشر الانصار. وصاح المهاجري: يا معشر المهاجرين، فكادت أن تقع الفتنة بين الفريقين.

وهنا انتهز عبد الله بن ابيّ الفرصة وراح ينفث سمومه في اذهان الانصار قائلاً: انظروا كيف جاء هؤلاء (المهاجرون) الىٰ مدينتنا، وهاهم يتطاولون علينا،

---

(١) التوبة، الآية ١٠٧ ـ ١٠٨.

(٢) مجمع البيان ج ٥ ص ٧٣.

بعد ان منحناهم من ارضنا وأموالنا.

ثم راح يلوم أهل المدينة قائلاً: هذا ما فعلتم بانفسكم، احللتموهم ببلادكم وقاسمتموهم أموالكم، والله لو امسكتم عنهم ما بأيديكم لتحوّلوا الىٰ غير بلادكم.

وعندما رأىٰ ابن أُبي تجاوباً من الحاضرين قال: قد كاثرونا في بلادنا، والله لئن رجعنا الىٰ المدينة ليخرجنّ الاعز منها الاذل.

كان زيد بن ارقم فتىٰ غيوراً فشعر بالغضب لما يسمع، فانطلق الىٰ سيدنا محمد ليخبره بالفتنة، وتألم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لذلك.

ولكي يحبط سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) هذه الفتنة، اصدر أمره بالعودة الىٰ المدينة بأقصىٰ سرعة.

وشاع الخبر بين المسلمين فجاء عبد الله بن أبي يعتذر الىٰ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ويحلف بالله انه لم يقل شيئاً من ذلك، وتظاهر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بتصديقه، فقبل اعتذاره.

ولم يسمح النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالتوقف رغم مشاق الطريق؛ لكي يفوّت الفرصة علىٰ المنافقين في اشعال الفتنة. وما لبث الوحي أن هبط يفضح هذه المؤامرة: «هم الذين يقولون لا تنفقوا علىٰ من عند رسول الله حتىٰ ينفضّوا ولله خزائن السموات والارض ولكن المنافقين لا يفقهون. يقولون لئن رجعنا الىٰ المدينة ليخرجنّ الاعزّ منها الاذل ولله العزّة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون»[1].

ولقد وصل انحطاط المنافقين حدّاً جعلهم يدبّرون المؤامرات لاغتيال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهذه احدىٰ مؤامراتهم الدنيئة:

---

(١) المنافقون، الآية ٧ ـ ٨.

عادت قوّات الاسلام من تبوك بعد أن تحدّت جيوش هرقل وامبراطوريته مدّة طويلة.

وخطط المنافقون لمؤامرتهم واتفقوا علىٰ اغتيال النبي في احدىٰ المنعطفات الجبلية، وذلك بإلقاء الصخور من المرتفعات، ودفع ناقة النبي الىٰ اعماق الوادي مستفيدين من ظلمة الفجر.

فهبط جبريل يبلغ سيدنا محمداً بما دبّره المنافقون.

واصدر رسول الله أمره الّا يسبقه أحد بعبور المنعطف، ثم أمر عماراً أن يقود ناقته؛ وحذيفة يسوقها من الخلف. ومع وضوح الاوامر هذه، فقد تسلل المنافقون وهم ملثّمون وكمنوا خلف الصخور منتظرين اللحظة الحاسمة.

أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حذيفة أن يضرب بعصاه وجوه النياق فنفرت بأصحابها. وفي تلك اللحظات الخطيرة تدحرجت بعض الصخور ولكنها لم تصب ناقة سيدنا محمد الذي عبر المنعطف بسلام، فيما راحت الصخور تهوي باتجاه الوادي.

أخبر سيدنا محمد حذيفة باسماء المنافقين، فقال حذيفة: الا تقتلهم يا رسول الله، فقال النبي العظيم (صلى الله عليه وآله وسلم): أكره ان تتحدث العرب بأن محمداً يقتل أصحابه.

وبالرغم من أن مصير المنافقين يرتبط بمصير المسلمين؛ خاصّة في حالات الحرب، ولكن الحقد الذي ينطوون عليه وسوء السريرة قد دفعهم للتحالف مع اعداء الاسلام من المشركين واليهود، وكانوا يشجعونهم علىٰ العدوان والحرب ضد الاسلام ويمنونهم النصر وأنهم سوف يدخلون الحرب الىٰ جانبهم. ومثال ذلك ما حدث في غزوة بني النضير. قال تعالىٰ:

«الم تر الىٰ الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن

أُخرجتم لنخرجنّ معكم ولا نطيع فيكم احداً ابداً. ولئن قوتلتم لنـصرنكم والله يشهد انهم **لكاذبون** لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولنّ الادبار ثم لا ينصرون»[١].

كان المنافقون يشجعون بني النضير في الوقوف بوجه سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ودعوته وأنهم سوف يقفون الىٰ جانبهم في الحرب وأنهم سيخرجون من الجزيرة معهم اذا اخرجوا.

وعندما غدر بنو النضير ونقضوا العهد وبانت خياتهم، حاصرهم المسلمون فاستسلموا، وصالحهم رسول الله علىٰ حـقن دمـائهم والخـروج مـن الجـزيرة العربية.

وكما صرّح القرآن الكريم فان موقف المنافقين كان متخاذلاً جداً فلم يقفوا الىٰ جانبهم ولم يخرجوا معهم.

ان اكبر مشكلة واجهت سيدنا محمداً خلال دعوته هي مشكلة المنافقين الذين لا يألون جهداً في بث سمومهم وحبك المؤامرات وإثارة الفتن.

وقد نكلّ القرآن الكريم بهذه الفئة الخبيثة في آيات عديدة، وأفرد لهم سورة تفضح دورهم الهدّام في الامة وحذّرهم عاقبة اعمالهم.

قال تعالىٰ:

ـ «لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الّا قليلا. ملعونين اينما ثقفوا أُخذوا وقُـتّلوا تقتيلا»[٢].

ـ «ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا»[٣].

---

(١) الحشر، الآية ١١ ـ ١٢.
(٢) الاحزاب، الآية ٦٠ ـ ٦١.
(٣) النساء، الآية ١٤٠.

ـ «ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا»[١].

ـ «يا ايها النبي جاهد الكفّار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير»[٢].

ولم ينته دور المنافقين الذي عانىٰ منه سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الأمرّين، فقد استمر حتىٰ بعد رحيله (صلى الله عليه وآله وسلم) واستمرت مؤامراتهم، وكان حقدهم يشتدّ كلما ارتفع مجد الاسلام، فهم في كل زمان ومكان يتلوّنون بمختلف الالوان ويظهرون بمختلف الاشكال، لهذا ينبغي علىٰ المؤمنين أن يكونوا حذرين دائماً، متيقظين باستمرار.

الاسئلة

١ ـ من هو المنافق؟

٢ ـ ما هي اهداف المنافقين؟

٣ ـ ما هو الهدف من وراء بناء مسجد «ضرار»؟

٤ ـ ما هو موقف سيدنا محمد من مسجد «ضرار»؟

٥ ـ ماذا قال عبد الله بن أبيّ، ومن الذي أخبر رسول الله بذلك؟

٦ ـ ماذا فعل سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) لاحباط فتنة المنافقين في غزوة بني المصطلق؟

٧ ـ هل يوجد منافقون في عصرنا؟

٨ ـ ما هي علامات المنافق؟

٩ ـ ما هو موقف المؤمنين تجاه المنافقين؟

---

(١) النساء، الآية ١٤٥.

(٢) التوبة، الآية ٧٣.

المسلمون أمّة واحدة

يؤلف المسلمون جميعاً امّة واحدة، وهذا ما أكّده القرآن الكريم في قوله تعالىٰ: «ان هذه امتكم امّة واحدة وانا ربّكم فاعبدون»[1].

والامّة في اللغة مجموعة بشرية تجمعها حياة مشتركة ويوحّد بينها هدف مشترك فهي تسعىٰ اليه ويتعاون أفرادها من اجل تحقيق هذا الهدف.

وكما أولىٰ الدين الاسلامي عناية فائقة في تهذيب الفرد وتربيته تربية صالحة، فانه اهتمّ ايضاً بسلامة المجتمع والامة وتحقيق سعادتها.

فالفرد يشبه الامّة، والامّة تشبه الفرد، فهي تصاب بالامراض وتتعرض للسعادة والشقاء، فتتطور الىٰ الامام وتتقهقر الىٰ الوراء.

وتقاس قوّة الامم بتماسكها ووحدتها وبسعيها الحثيث نحو تحقيق اهدافها وفي ما يسود افرادها من تعاون وألفة وإخاء.

فاذا ماعاشت الامّة تعاوناً بين افرادها وتوحدت اهدافها كانت امّة مستقلة مقتدرة، والا فان الأمّة المشتتة الاهداف المتفرّقة الافراد هي امّة ضعيفة خائرة وشقية.

والاسلام يعتبر جميع المسلمين في العالم امّة واحدة هي الامّة الاسلامية،

---

(١) الانبياء، الآية ٩٢.

فكل فرد مسلم هو عضو في هذا الجسم الكبير، وكما أن حياة الجسم وسلامته رهن بسلامة اعضائه وجوارحه كذلك الامّة الاسلامية فان قوّتها واستقلالها رهن بتعاون افرادها واعضائها وهذا ما اكدته الاحاديث:

فعن أبي موسىٰ قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): المؤمن للمؤمنين كالبينان يشدّ بعضه بعضاً[١].

وعن الامام الصادق عليه السلام قال: لا والله لا يكون المؤمن مؤمناً ابداً حتىٰ يكون لاخيه مثل الجسد اذا ضرب عليه عرق واحد تداعت له سائر عروقه[٢].

وعن لقمان بن بشير قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا شتكىٰ منه عضو تداعىٰ له سائر الجسد بالسهر والحمى[٣].

ولقد أولىٰ سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) اهمّية بالغة لهذا الجانب **الحياتي فكان** يؤكد في كل مناسبة علىٰ ان المهاجرين والانصار امّة واحدة بل وثبّت ذلك فيما يشبه العهد في كتاب طويل جاء في اوّله: بسم الله الرحمن الرحيم.

هذا كتاب من محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم انهم امّة واحدة من دون الناس [٤].

ولم يكتف سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بهذا الكتاب بل راح يؤكد ذلك بخطوات من شأنها تعزيز روح الاخوة وأواصر المحبّة بين المسلمين

---

(١) صحيح مسلم ج ٤ ص ١٩٩٩.
(٢) بحار الانوار ج ٧٤ ص ٢٣٣.
(٣) صحيح مسلم ج ٤ ص ١٩٩٩.
(٤) سيرة بن هشام ج ٢ ص ١٤٧ ـ البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٧٣.

علىٰ اختلاف قبائلهم والوانهم، فقد ذكر ابن هشام في سيرته: آخىٰ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بين اصحابه من المهاجرين والانصار، فقال فيما بلغنا ونعوذ بالله ان نقول عليه مالم يقل: «تآخوا في الله أخوين أخوين، ثم اخذ بيد علي بن ابي طالب فقال: هذا اخي» فكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سيد المرسلين وامام المتقين ورسول رب العالمين الذي ليس له خطير ولا نظير من العباد، وعلي بن ابي طالب رضي الله عنه اخوين[١].

ومن الطبيعي أن يكون لهذه الخطوة المباركة اثرٌ كبير في اشاعة روح الاخوة بين المسلمين مما يعزز من تماسك ووحدة الامّة الاسلامية، وتكون مثلاً اعلىٰ لجميع المسلمين في كل زمان ومكان.

ان القرآن الكريم يؤكد هذه الحقيقة بين المسلمين، قال تعالىٰ: «انّما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين اخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون»[٢].

قال الصادق (عليه السلام): «المسلم اخو المسلم، هو عينه ومرآته ودليله لايخونه ولا يخدعه ولا يكذبه ولا يغتابه»[٣].

ومن هنا فاننا نجد الاحكام والقوانين الاسلامية منظمة بشكل يؤدي الىٰ تعزيز روح الألفة والوحدة الاسلامية، فهي تتجلىٰ في صلاة الجماعة التي تتشكل يومياً وفي صلاة الجمعة التي تقام اسبوعياً.

عن زرارة عن الامام الباقر (عليه السلام) قال: من ترك الجماعة رغبة عنها وعن جماعة المسلمين من غير علّة فلا صلاة له[٤].

ثم نرىٰ الاجتماع السنوي الواسع في مؤتمر الحج الاكبر حيث يتدفق المسلمون من كل حدب وصوب الىٰ بيت الله لاداء مراسم الحج فيتبادلون

---

(١) سيرة بن هشام ج ٢ ص ١٥٠.
(٢) الحجرات، الآية ١٠.
(٣) الكافي ج ٢ ص ١٦.
(٤) الوسائل ج ٢ ص ٣٧٦.

همومهم ويتشاورون في حلّ مشكلاتهم.

كما أن الوصايا الاخلاقية للاسلام تؤكّد دائماً علىٰ روح المحبّة والاخاء بين المسلمين، وهذا ما يؤدي الىٰ تعزيز وحدة المسلمين.

ان اخلاقيات الاسلام تردم كل الحواجز المصطنعة بين المسلمين من لغة ولون وعرق أو قومية، بل ان الاختلافات المذهبية والآراء المتباينة في بعض المسائل ينبغي الاّ تمسّ روح الاخوة والمحبّة بين افراد الامّة الاسلامية ذلك أن اتحاد الامة وتوحدها انما ينهض على الاركان الثلاثة التي اشرنا اليها سابقاً، وهي:

ـ الايمان بالله وحده لا شريك له

ـ الايمان بالمعاد ويوم البعث

ـ الايمان برسالة سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)

فكل من اعلن ايمانه بهذه الاسس فهو مسلم وعضو في امّة الاسلام **الكبرىٰ.**

ومن هنا فان أتباع المذاهب الاسلامية والفرق المختلفة ممن يؤمنون بتلك الاركان هم مسلمون ولا يحق لأحد أن يخرجهم من دائرة الاسلام، لانّهم يشتركون في كثير من المسائل والقضايا، واذا كان هناك من اختلاف ما في بعض التفاصيل فليس من الصحيح أن يؤثر هذا علىٰ وحدة وتماسك الامّة الاسلامية، لان هذا سوف يؤدي الىٰ إضعاف الايمان وتهديد الاستقلال، وبالتالي سيكون ذلك مخالفة صريحة لامر الله .

قال عز وجل: «واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداءً فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخواناً وكنتم علىٰ شفا

حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبيّن الله لكم آياته لعلكم تهتدون»[١].

ان التاريخ يشهد علىٰ ان انتصار المسلمين وعلو مجد الاسلام انما يعود الىٰ روح الاخوّة والمحبّة والوحدة بين اصحاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) واتّباعهم جميعاً أمر الله ورسوله.

وان انحطاط المسلمين واضمحلال الحضارة الاسلامية انما يعود الىٰ روح الفرقة والتناحر والعداء بين المسلمين، فالاتحاد في كل شيء قوّة، والتشتت في كل وقت ضعف وزوال.

قال تعالىٰ في محكم قرآنه: «واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين»[٢].

ان اكبر المصائب التي حلّت بالأمة الاسلامية هي الاختلاف والفرقة التي أدّت الىٰ ظهور المذاهب المختلفة، ومن ثم تمزّق المسلمين وتشتتهم وبالتالي استشراء الضعف والانحطاط في جسم الامة فتسلط عليها المستعمرون وتحكّم في مصيرها الحاقدون.

ان طريق النجاة واسترداد المجد الاسلامي لا يكون الا في نبذ الاختلافات جانباً والالتفاف حول اصول الاسلام والاتحاد من اجل اعلاء كلمة الله .

وعلىٰ كل مصلح ينشد الخير لهذه الامة ان يدرك ان حلّ المشكلات في العالم الاسلامي بأسره لا يتم الا بوحدة المسلمين واقصاء روح الفرقة بعيداً، ومن ثم التعاون من اجل اكتشاف الطريق.. طريق العزّة والكرامة في ظلال الاسلام الوارفة.

ومن الجدير ذكره ان الوحدة الاسلامية والاتحاد بين المسلمين لا يستلزم بالضرورة التخلّي عن مذاهبهم والانضواء تحت راية مذهب معين، وان كان هذا

---

(١) آل عمران، الآية ١٠٣.

(٢) الانفال، الآية ٣٦.

أمراً منطقياً، غير أن الظروف الحالية لا تجعل منه حلاً عملياً، فالوحدة الاسلامية تعني الالتفاف حول النقاط المشتركة والمهمّة وهي الاساس في نهضة الامّة وسلامة الدين، والتعاون من اجل اعلاء مجد الاسلام والسعي في تحقيق اهدافه العليا؛ والتي يمكن الاشارة الىٰ بعضها:

▣ نشر الدين الاسلامي في ربوع العالم واشاعة الثقافة الاسلامية.

▣ الدعوة الىٰ وحدانية الله ونبذ الشرك.

▣ الدفاع عن الاسلام والقرآن في وجه الهجمات الاستعمارية التي تستهدف اطفاء نور الله .

▣ الوقوف بوجه الثقافة الغربية المادّية ومواجهة الانحطاط الاخلاقي في الميوعة والحرية الجنسية والتسيب والالحاد.

▣ السعي لاسترداد الارض الاسلامية المغتصبة.

▣ مواجهة النفوذ الاجنبي في البلاد الاسلامية.

▣ السعي من اجل تعزيز الاقتصاد الاسلامي والاكتفاء الذاتي.

▣ استعادة مجد الاسلام الضائع وبعث الحضارة الاسلامية.

ان تحقيق هذه الاهداف سوف يدفع المسلمين الىٰ التعاون اكثر فأكثر واشاعة روح الألفة والمحبّة والاخاء، والسير في طريق واحد، يجعل من حلّ مشكلات العالم الاسلامي أمراً ميسوراً ويعيد الىٰ الاسلام عظمته والىٰ الدين عزّته.

الاسئلة

١ ـ ما هي أهم شروط الاستقلال في المجتمع؟

٢ ـ ماذا يمثل مجموع المسلمين في العالم؟

٣ ـ اذكر حديثاً نبوياً شريفاً يشير الىٰ مقومات الامة الاسلامة؟

٤ ـ ما هي طبيعة العلاقة بين الشريعة الاسلامية ووحدة المسلمين؟

٥ ـ ما هي الاسس التي تنهض عليها وحدة الامّة الاسلامية.

٦ ـ هل تشكل الاختلافات المذهبية والقومية حاجزاً في طريق الوحدة الاسلامية؟

٧ ـ ما هو العامل في انتصار المسلمين في صدر الاسلام؟ وما هو السبب في انحطاط المسلمين فيما بعد؟

٨ ـ ما هو المراد من وحدة المسلمين؟

الواجبات والحقوق المتبادلة

عرفنا سابقاً ان كل مسلمي العالم امّة واحدة، لها مقوماتها وخصائصها وان المجتمع الاسلامي بمثابة بناء كبير بل انه كالجسم الواحد، ان لجسم الانسان اعضاء مختلفة كالعين والاطراف والاذن واللسان والانف والقلب والكبد والاعصاب وغير ذلك وهي تتألف من آلاف بل ملايين الخلايا الحيّة ولكل عضو من اعضاء الانسان وظيفته الخاصّة، وهو اضافة الىٰ ذلك يرتبط ببقية الاعضاء بعلاقة حياتية وطيدة وأن مجموع عمل الاعضاء وسلامتها هو الذي يمدّ الانسان بالحياة والنشاط، فهناك تعاون بين اعضاء الجسم في العمل، فاذا اصاب احدها خلل أو مرض سرت آثاره الىٰ بقية الاعضاء. والامة الاسلامية الكبرىٰ هي كالجسم الواحد، وما المسلمون الا اعضاء في هذا الجسم، وعلىٰ كل مسلم ان يعتبر نفسه عضواً في الامّة الاسلامية، وان مستقبل الامة ومجدها وسعادتها في الصميم من مسؤوليته.

ان عظمة الامة الاسلامية ورفعتها يتوقف علىٰ تعاون المسلمين وأن لكل فرد منها حقوقه وواجباته.

من هنا شرع الدين الاسلامي الحنيف قوانينه فجعل لكل فرد حقاً وواجباً فهناك حقوق متبادلة وواجبات متبادلة، وهذه طائفة من الاحاديث في هذا

المضمار:

▣ الاهتمام بامور المسلمين

عن الامام الصادق (عليه السلام) عن سيدنا محمد (صلى الله عـليه وآله وسلم) قال: من اصبح لا يهتم بامور المسلمين فليس منهم، ومن سمع رجـلاً ينادي يا للمسلمين فلم يجبه فليس بمسلم[١].

▣ الاخوة بين المؤمنين

عن الامام الصادق (عليه السلام) قال: المؤمن اخو المؤمن، عينه ودليله، لا يخونه ولا يظلمه ولا يغشّه ولا يعده عدة فيخلفه[٢].

▣ حق المؤمن علىٰ اخيه

عن المعلّىٰ بن خنيس قال: قلت لابي عبد الله (الصادق عليه السلام): ما حق المسلم؟ قال: له سبع حقوق واجبات ما منهن حق الاّ وهو عليه واجب. ان ضيّع منها شيئاً خرج من ولاية الله وطاعته، ولم يكن لله فيه نصيب. قلت له: جعلت فداك وما هي؟ قال: يا معلّىٰ اني عليك شفيق، اخاف ان تضيع ولا تحفظ وتعلم ولا تعمل. قال: قلت له: لا قوّة الا بالله. قال: أيسر حق منها ان تحبّ له ما تحبّ لنفسك وتكره له ما تكره لنفسك، والحق الثاني ان تجتنب سخطه وتتبع مرضاته وتطيع امره. والحق الثالث ان تـعينه بـنفسك ومـالك ولسـانك ويـدك ورجلك. والحق الرابع ان تكون عينه ودليله ومرآته. والحق الخامس ان لا تشبع ويجوع ولا تروى ويظمأ ولا تلبس ويعرىٰ. والحق السادس ان يكون لك خادم وليس لاخيك خادم فواجب أن تبعث خادمك فيغسل ثيابه ويصنع طعامه ويمهّد فراشه. والحق السابع ان تبرّ قسمه وتجيب دعوته وتعود مريضه وتشهد جنازته.

واذا علمت ان له حاجة تبادر الىٰ قضائها ولا تـلجئه ان يسألكـها ولكـن

---

(١) الكافي ج ٢ ص ١٦٤.

(٢) المصدر السابق ص ١٦٦.

تبادره مبادرة. فاذا فعلت ذلك ولايتك بولايته وولايته بولايتك[١].

▣ التراحم والتعاطف

قال الامام الصادق (عليه السلام): يحق علىٰ المسلمين الاجتهاد في التواصل والتعاون علىٰ التعاطف والمساواة لاهل الحاجة وتعاطف بعضهم علىٰ بعض حتىٰ تكونوا كما امركم الله عز وجل: «رحماء بينهم» متراحمين معتمين لما غاب عنكم من امرهم علىٰ ما مضىٰ عليه معشر الانصار علىٰ عهد رسول الله[٢].

▣ ادخال السرور علىٰ المؤمنين

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): من سرّ مؤمناً فقد سرّني ومن سرّني فقد سرّ الله[٣].

▣ قضاء حاجة المؤمن

قال الامام الصادق (عليه السلام): ما قضىٰ مسلم لمسلم حاجة الا ناداه الله تبارك وتعالىٰ: عليّ ثوابك ولا ارضىٰ لك بدون الجنّة[٤].

▣ السعي في حاجة المؤمن

قال الامام الصادق (عليه السلام): قال الله عز وجل (في حديث قدسي): الخلق عيالي فأحبّهم اليّ ألطفهم بهم وأسعاهم في حوائجهم[٥].

▣ نصيحة المؤمن

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): لينصح الرجل منكم اخاه كنصيحته لنفسه[٦].

---

(١) الكافي ج ٢ ص ١٦٩.
(٢) الكافي ج ٢ ص ١٧٥.
(٣) المصدر السابق ص ١٨٨.
(٤) المصدر السابق ص ١٩٤.
(٥) المصدر السابق ص ١٩٩.
(٦) المصدر السابق ص ٢٠٨.

▣ من لم ينصح اخاه المؤمن

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): من سعىٰ في حاجة لاخيه فلم ينصحه فقد خان الله ورسوله[١].

وهناك الكثير الكثير من الاحاديث التي تشير وتؤكد علىٰ حقوق واجبات كل مسلم تجاه أخيه، وهذا ما يعزز تمن تماسك ووحدة الامّة الاسلامية.

الاسئلة

١ ـ ما هي واجبات وحقوق المسلمين تجاه بعضهم البعض؟

٢ ـ اذكر اربعة احاديث حول الحقوق والواجبات المتبادلة.

٣ ـ ماذا تستخلص من هذه الاحاديث؟

---

(١) المصدر السابق ص ٣٦٢.

خصائص ومسؤوليات الامّة الاسلامية

يعتبر القرآن الكريم الامة الاسلامية امـة فـريدة اصـطفاها الله عـز وجـل وحمّلها مسؤولية كبيرة، وقد دعا ابراهيم عليه السلام ربّه ان تكـون امّـته امـة مسلمة.

قال تعالى في دعاء ابراهيم (عليه السلام): «ربّنا واجعلنا مسلمَين لك ومِن ذرّيتنا أُمّة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك انت التوّاب الرحيم»[1].

وقال تعالىٰ: «وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملّة ابيكم ابراهيم هو سمّاكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء علىٰ الناس فاقيموا الصلاة وآتـوا الزكـاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولىٰ ونعم النصير»[2].

تشير هاتان الآيتان الىٰ عدّة نقاط هامة:

▣ ان ابراهيم الخليل عليه السلام هو الذي دعا الله في أن تكون امته امّـة مسلمة، وهو الذي سمّاها بهذا الاسم.

▣ ان الله هو الذي اصطفىٰ هذه الامة.

▣ ان الاسلام دين لا حرج فيه.

---

(١) البقرة، الآية ١٢٨.

(٢) الحج، الآية ٧٨.

▣ ان الامة الاسلامية هي امّة شاهدة علىٰ سائر الناس وان سيدنا محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) شهيد عليها.

▣ ان علىٰ المسلمين واجب الدفاع الاسلام ونشره في ربوع العالم.

لقد عيّن القرآن الكريم خصائص الامة الاسلامية وحدّد مسؤولياتها واجمل ذلك في ما يلى:

ـ الامة الاسلامية امة وسط شاهدة علىٰ سائر الامم.

قال تعالىٰ: «وكذلك جعلناكم امّة وسطاً لتكونوا شهداء علىٰ الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً»[1].

فالآية المذكورة تصف الامة الاسلامية بأنها امّة وسط. ويقول اغلب المفسرين ان الوسط هنا يعني الاعتدال وقالوا ان الشريعة الاسلامية تنتهج الاعتدال في احكامها، فلا افراط ولا تفريط، فالاسلام لا يدعو أتباعه الىٰ الافراط في المادّيات واللذائذ الدنيوية كما يفعل المشركون والملحدون، كما لا يدعو اتباعه ايضاً الىٰ الرهبانية وترك اللذائذ الدنيوية، كما يفعل ذلك الرهبان المسيحيون وأتباع بوذا وغيرهم. انه يدعو الىٰ الاعتدال في طلب الدنيا والآخرة، يرسم الطريق الوسط بين المادّة والروح، ولذائذ الجسم وحاجات النفس، فالعمل والسعي الىٰ جانب العبادة والدعاء.

ولا ريب في ان امّة معتدلة في طريقها كهذه ستكون من افضل الامم، ودينها من اصلح الاديان للناس جميعاً لأنه يؤمن السعادة والرضا في الدنيا والآخرة وستكون بذلك مثالاً لسائر الامم الاخرىٰ، وعلىٰ هذا سيكون معنىٰ الآية: ان الله جعل الامة الاسلامية امة معتدلة وهي في ذلك مثال ونموذج ومصداق علىٰ اعتدال الاسلام يدعو سائر الناس للاقتداء به، فالامة الاسلامية مثال وشاهد

---

(١) البقرة، الآية ١٤٣.

علىٰ الآخرين وأن سيدنا محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) شاهد علىٰ امّته. فالمسلمون مسؤولون عن امتثال احكام الاسلام ليكونوا امّة صالحة ونموذجاً للعالم كلّه، وهذه مسؤولية كبرىٰ يتحمّلها المسلمون جميعاً.

▣ ان الامة الاسلامية تدعو الىٰ الخير والمعروف وتنهىٰ عن الشر والمنكر.

قال تعالىٰ: «ولتكن منكم امّة يدعون الىٰ الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون»[1].

وقال سبحانه: «كنتم خير امّة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله»[2].

فالآية الاولىٰ تطلب من المسلمين أن يكونوا خير الامم، وهذا يتحقق بالامر والدعوة الىٰ الخير، والنهي ومحاربة الشرور.

والآية الثانية تخبر عن نجاح المسلمين في ذلك، فقد اتبعوا أمر الله ورسوله وآمنوا به ودعوا الىٰ المعروف ونهوا عن المنكر.

ومن هنا فان علىٰ عاتق الامة الاسلامية مسؤولية كبرىٰ ورسالة عظيمة؛ تتلخص في دعوة العالم كلّه الىٰ الخير والحق. وبالطبع فان هذا لا يتم دون مقدّمات، كما أن عليها ايضاً النهي عن المنكر ومحاربة الشرّ، والدفاع عن حقوق المحرومين والمستضعفين في كل مكان، ومواجهة الظالمين والجبابرة الذين قهروا الشعوب وظلموا الناس.

وهذا ايضاً لا يتأتىٰ الا من خلال وجود امّة قويّة متقدّمة في العلم والصناعة والاقتصاد.

▣ ان الامة الاسلامية شديدة صلبة في مواجهة الظالمين ورحيمة تجاه المظلومين.

---

(١) آل عمران، الآية ١٠٤.

(٢) آل عمران، الآية ١١٠.

قال تعالىٰ: «محمد رسول الله والذين معه اشدّاء علىٰ الكفّار رحماء بينهم تراهم ركّعاً سجّداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من اثر السجود»[١].

وهذه الآية الكريمة تصف رسول الله والمسلمين بمجموعة صفات:

▣ انهم اشدّاء يقاومون الكفّار والمشركين والطغاة وانهم لا يتراجعون أبداً.

▣ انهم رحماء في ما بينهم، فالمسلمون امّة واحدة، وكل مسلم عضو في هذا الجسم الكبير يحزن لحزنهم ويفرح لفرحهم ويسعىٰ في حل مشكلاتهم ويتعاطف معهم في السرّاء والضرّاء. وعلىٰ هذا فان علىٰ الامة الاسلامية ان تقف في وجه الاستكبار وناهبي العالم ومصاصي دماء الشعوب دون هوادة.

امّا علاقات الدول الاسلامية فيما بينها فينبغي أن تكون حميمة أخويّة يهمها الدفاع عن استقلال كل بلد وحماية اراضيه وممتلكاته، وأن يحذروا ويتجنبوا كل ما يؤدي الىٰ الفرقة والتناحر.

وفي هذا يكون المسلمون سعداء آمنين مطمئنين.

الاسئلة

١ ـ بماذا دعا ابراهيم (عليه السلام) ربّه؟

٢ ـ لماذا وصف الله سبحانه الامّة الاسلامية بأنها امة وسط؟

٣ ـ كيف تكون الامّة الاسلامية شاهدة علىٰ الامم الاخرىٰ؟

٤ ـ ماذا ينبغي علىٰ الامة الاسلامية لكي تدعو العالم الىٰ الخير وتنهىٰ عن الشرّ؟

٥ ـ هو موقف المسلمين تجاه الكفار وما هو موقفهم فيما بينهم؟

٦ ـ كيف تكون علاقة البلدان الاسلامية فيما بينها؟

٧ ـ ما هو موقف الدول الاسلامية تجاه الدول المستكبرة؟

---

(١) الفتح، الآية ٢٩.

القسم الخامس

الإنسان ومسؤولياته

الإنسان في ضوء الإسلام

الانسان من وجهة نظر الاسلام موجود له ابعاد، مخلوق بدأ من طين ثم طوىٰ مراحل عديدة حتىٰ وصل الىٰ درجة اسمىٰ من المادّة والطين. إذ يشير القرآن الكريم الىٰ هذه الحقيقة في قوله تعالىٰ:

«ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين. ثم جعلناه نطفة في قرار مكين. ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً **فكسونا العظام** لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله احسن الخالقين»[1].

وتشير هذه الآيات الىٰ مراحل الخلق وتكامل الانسان من مادّيته كأصل الىٰ استعداده وقابليته، الىٰ ان يكون مخلوقاً آخر؛ والتأمل في تغيّر الفعل خلال السياق من «خلقنا» الىٰ «انشأنا» يؤكد حقيقة التحول في الخلق الانساني «خلقاً آخر»، وهي المرحلة النهائية في خلق الانسان والتي تختلف تماماً عن مراحل الخلق الأولىٰ.

ومن هنا يمكن القول ان آخر مرحلة من الوجود الانساني هي أوج الكمال وهي أسمىٰ من كل المراحل السابقة.

---

(١) المؤمنون، الآيات ١٢ ـ ١٤.

وهذا ما أثبتته الفلسفة التي تؤكد ان روح الانسان شيء متجرّد عن المادّة، فالفلسفة تقول ان الصورة المادّية تتحول من خلال الحركة الجوهرية الىٰ شيء ملكوتي غير مادّي، ولان هذا التحول امر مثير للدهشة قال القرآن بعد ذلك:

«فتبارك الله احسن الخالقين».

ونقرأ في آية أخرىٰ قوله تعالىٰ:

«الذي احسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين. ثم جعل نسله من سلاله من ماء مهين. ثم سوّاه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلاً ما تشكرون»[١].

وتشير هذه الآية الكريمة الىٰ ثلاث نقاط:

ـ ان نفخ الروح جاء بعد تكامل البدن واستعداده لولوج الروح، وهو ما عبّر عنه القرآن الكريم بـ (سوّاه).

ـ **ان** الله سبحانه وتعالىٰ نسب الروح اليه «ونفخ فيه من روحه» وهذه اشارة **الىٰ سمو** منزلته.

ـ ان الانسان موجود مجهز بالسمع والبصر والفؤاد (العقل)، وهذه أدوات ـاذا صح التعبيرـ لكسب العلم والمعرفة، وبها تفوّق الانسان في منزلته علىٰ الموجودات الاخرىٰ.

ومن هنا فان الانسان موجود طيني وملكوتي؛ ولهذا سجدت له الملائكة.

قال تعالىٰ: «فاذا سوّيته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين»[٢].

وقال سبحانه: «ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البرّ والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا»[٣].

---

(١) السجدة، الآيات ٧ ـ ٩.
(٢) الحج، الآية ٢٩.
(٣) الاسراء، الآية ٧٠.

فالانسان ينتمي من جانب الجسد الىٰ التراب والطين والارض، ومن جانب الروح الىٰ الملكوت والسماء، ومن هنا فهو خليفة الله لأن خلقته تنطوي علىٰ خصائص جعلته مستودعاً لعلم الله؛ وهو في هذا اسمىٰ من الملائكة.

قال تعالىٰ: «وعلّم آدم الاسماء كلّها ثم عرضهم علىٰ الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين. قالوا سبحانك لاعلم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم. قال يا آدم أنبئهم باسمائهم فلما أنبأهم باسمائهم قال ألم اقل لكم اني أعلم غيب السموات والارض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون»[١].

وقال تعالىٰ:

«واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبّح بحمدك ونقدس لك قال اني اعلم مالا تعلمون»[٢].

ونستشف من هذه الآيات الجانب الملكوتي الرفيع في الانسان، فهو خليفة الله في الارض وهو اسمىٰ من الملائكة منزلة وقرباً من الله عز وجل، حتىٰ ان الملائكة سجدت له بامر الله. ثم نجد في آيات اخرىٰ اشارات الىٰ الجانب الآخر في الانسان؛ الجانب المشدود الىٰ الارض والطين. قال تعالىٰ:

ـ «ان الانسان خُلق هلوعا. اذا مسّه الشر جزوعا. واذا مسّه الخير منوعا»[٣].

ـ «خُلق الانسان ضعيفاً»[٤].

ـ «كلا ان الانسان ليطغىٰ. أن رآه استغنىٰ»[٥].

ـ «ويدْعُ الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا»[٦].

---

(١) البقرة، الآيات ٣١ ـ ٣٣.
(٢) البقرة، الآية ٣٠.
(٣) المعارج، الآية ١٩.
(٤) النساء، الآية ٢٨.
(٥) العلق، الآية ٦.
(٦) الاسراء، الآية ١١.

ـ «ان الانسان لظلوم كفّار»[١]

ـ «ولئن اذقنا الانسان منّا رحمة ثم نزعناها منه انّه ليؤس كفور. ولئن اذقناه نعماء بعد ضرّاء مسته ليقولنّ ذهب السيئات عني انه لفرح فخور»[٢].

ـ «قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي اذا لأمسكتم خشية الانفاق وكان الانسان قتورا»[٣].

ومن هنا نلاحظ ان الانسان يتألف ـ كما وصفه القرآن الكريم ـ من جانبين متضادّين، فهو ينطوي علىٰ روح متجرّدة ملكوتية، لها القابلية علىٰ التسامي واستعاب العلم؛ الى درجة يعجز عنها الملائكة، وهو خليفة الله سجدت له الملائكة، وكرّمه الله سبحانه وجعله افضل خلقه، قد جبلت فطرته علىٰ التوحيد ونشدان الكمال.

وهو اضافة الىٰ كل ذلك ينطوي علىٰ جانب آخر، اذ وصفه القرآن بالظلوم والكفور واليؤوس والجهول، وهو هلوع جزوع منوع ضعيف، عجول، فرح، وقتور.

وهذا المعنىٰ نجده ايضاً في الاحاديث والروايات، والسؤال هنا ما هي طبيعة الانسان في ضوء الآيات والروايات؟

يمكن القول باختصار: ان الانسان ينطوي على جانبين أو انه يتألف من شطرين: شطر مضيء، وشطر مظلم، مع التأكيد على توحده كحقيقة تتألف من جزء حيواني وآخر انساني، فقد جبلت خلقته على مجموعة غرائز حيوانية تنجم عنها الشرور والسيئات والميول والرغبات وهي موضع التنديد القرآني الآنف الذكر.

---

(١) ابراهيم، الآية ٣٤.
(٢) هود، الآيتان ٩ و ١٠.
(٣) الاسراء، الآية ١٠٠.

وهو من جهة أخرىٰ له نفس متجردة ملكوتية تنشد الكمال؛ لان الله نفخ فيه من روحه، فهو ينتمي الى عالم القدس مرتبط به، ينهل من نبعه الفضائل والمكارم والخيرات وكل الطيّبات؛ لهذا كرّمه القرآن وأشاد بمنزلته، وأمر الله ملائكته ان تسجد له.

ومن هنا فان طبيعة الانسان تنطوي علىٰ مجموعة ميول مختلفة في الاتجاه، بعضها يسمو بالانسان الى اعلى عليين وبعضها الآخر ينحط به الى اسفل السافلين.

فاذا استجاب الانسان لنداء الخير والكمال سما الى درجة الملائكة وأبعد، واذا لبّىٰ ندا الشرّ والانحطاط هوىٰ الىٰ درك الشياطين. وهو في كل هذا حرّ مخيّر بين طريقين طريق الهدىٰ وطريق الضلال.

الاسئلة

١ ـ ما هي طبيعة الانسان؟

٢ ـ لماذا تغيّر الفعل في سياق الآيات من «خلقنا» الىٰ «أنشأنا» خلقاً آخر؟ تأمل في الآيات ١٢ ـ ١٤ من سورة (المؤمنون).

٣ ـ لماذا نسب الله عز وجل روح الانسان اليه؟

٤ ـ لماذا اجاب الانسان علىٰ سؤال عجزت عنه الملائكة؟

٥ ـ لماذا سجدت الملائكة للانسان؟

الإنسان والاختيار

الانسان موجود حرّ مخيّر، ذلك انه يؤدي اعماله من خلال تفكير وتدبير وارادة. انه ليس حجارة تقذف الىٰ السماء فترتد الىٰ الارض بفعل الجاذبية، وهو ليس شجرة تمتص غذاءها من الارض دون ارادة منها فتنمو وتثمر. وهو ليس حيواناً تسيّره الغريزة فلا يجد عنها مفرّاً؛ فهو منقاد لها، مستسلم اليها.

ان اعمال الانسان مسبوقة بعلم واختيار وارادة، فهو يتصور كل عمل قبل البدء به، يقلّب فيه الرأي يتأمل في مصالحه ومفاسده قبل الاقدام عليه، ثم يقرر القيام به او الاحجام عنه. وهو في كلا الحالين مخيّر، فاذا حصل قرار بذلك استجابت الجوارح للامر النهائي

وعلىٰ هذا فالانسان مخلوق حرّ يتمتع بالارادة، كما لو أنه يسير في سبيل في تقاطعات و مفترق طرق، فهو حرّ في انتخاب الطريق الذي يريد طبقاً لارادته الشخصيه، ولهذا فهو يفكر في مصلحته قبل كل شيء.

واذا أردنا ان نسوق شواهد علىٰ حرّية الانسان وانه مخلوق مخيّر، نذكر الحسن والقبح الذي يقول به العقلاء، فالعقل يستقبح بعض الاعمال ويستحسن بعضها الآخر، فيرىٰ فاعلها قبيحاً أو حسناً، ومن هنا فان الفاعل لابد وان يكون مختاراً لكي يستحق العقاب في الاولى، والثواب في الاخرى. والا فلا معنى

للقبح والحسن في افعال الانسان واعماله اذا كان مسيرا مجبراً على ما يقوم به، ولو لا هذا لانتفت قيم الاخلاق ولاضحت مسميات لا معنى لها.

يقول القرآن الكريم:

ـ «انّا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيرا. انا هديناه السبيل اما شاكراً واما كفورا»[١].

ـ «ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين»[٢].

ـ «وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر»[٣]

ـ «وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير»[٤]

ـ «ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون»[٥].

ـ «لا يكلف الله نفساً الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت»[٦].

ـ «ان الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا افمن يلقىٰ في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة، اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير»[٧]

وفي هذه الطائفة من الآيات وآيات أخرى تأكيد صريح على أن افعال العباد هي من أنفسهم وأنهم يقومون بها بكامل ارادتهم؛ ولذا فهم مسؤولون عنها، فالقرآن يؤكد حرّية الانسان واختياره.

واضافة الىٰ صراحة الآيات، فان الاحاديث والروايات هي الاخرىٰ تصرح بهذه الحقيقة.

---

(١) الانسان، الآية ٢ ـ ٣.
(٢) آل عمران، الآية ١٤٥.
(٣) الكهف، الآية ٢٩
(٤) الشورىٰ، الآية ٣٠.
(٥) الروم، الآية ٤١.
(٦) البقرة، الآية ٢٨٦.
(٧) فصّلت، الآية ٤٠.

فعن ابراهيم بن ابي محمد قال: سألت الرضا (عليه السلام) عن الله عز وجل هل يجبر عباده على المعاصي؟ فقال: بل يخيّرهم ويمهلهم حتىٰ يتوبوا. قلت: فهل يكلف عباده ما لا يطيقون؟ فقال: كيف يفعل ذلك وهو يقول: «وما ربّك بظلام للعبيد». ثم قال: «حدثني ابي موسىٰ بن جعفر (عليه السلام) عن ابيه جعفر بن محمد (عليه السلام) انه قال: من زعم ان الله يجبر عباده على المعاصي او يكلفهم ما لا يطيقون فلا تأكلوا ذبيحته، ولا تقبلوا شهادته ولا تصلّوا وراءه ولا تعطوه من الزكاة»[1].

ومن هنا فان العقل والعقلاء، والآيات والاحاديث، تؤكد حرّية الانسان وانه مخيّر في كل افعاله واعماله.

وهنا ينبغي الاشارة الى نقطتين مهمتين:

الاولىٰ: ان القول بحرّية الانسان واختياره يعني ان اعماله وافعاله تأتي عن علم وارادة فقط، وانها ليست بمعزل عن القوانين الكلّية وشمولية العلّة والمعلول، بحيث يصبح الانسان مفوضاً تفويضاً مطلقاً، بل ان هناك علل خاصّة وبدونها لا تتحقق افعال الانسان واعماله وحركاته وسكناته. صحيح ان الانسان يتصور عملاً ما ويفكّر فيه وينظر مصلحته قبل الاقدام عليه، ويزن منفعته منه أو مفاسده ثم يقوم به بارادة منه، غير ان هذه السلسلة من المقدمات لم تأت من لاشيء، انها نابعة من تكوين الانسان وتركيبه وطبيعة خلقته، فجهازه العصبي ومشاعره وعواطفه وما يعتمل في اعماقه من رغبات واحاسيس، وعاداته واراؤه ومستوىٰ تربيته العائلية، والظروف المحيطة به اجتماعياً وحياتياً، كل هذا وذاك له دور في طريقة تفكيره واختياره.

وهذه السلسلة من العلل والمعلولات تستمر حتى تصل الىٰ المشيئة الالهية،

---

(١) بحار الانوار، ج ٥، ص ١١.

الى خالق العالم؛ وما يسوده (العالم) من قانون العلة والمعلول.

لهذا فان الله هو الذي جعل لكل معلول علة يتحقق بها، وهو الذي اراد حركات الانسان وافعاله ان تأتي عن علم واختيار وارادة، وان يكون حرّا في كل ما يقوم به.

وفي هذا الاطار ينبغي ان نفهم حرّية الانسان واختياره وان ارادته جزء تام للفعل حيث صدوره متوقف عليها.

الثانية: اننا عندما نقول ان افعال الانسان مرتبطة به وان مختار فيها، وله فيها ارادة وحرّية كاملة، فلا ينبغي ان نستنتج من وراء ذلك ان افعال الانسان تأتي مستقلة من نفسه فهو فيها مستقل عن الله غير محتاج اليه أي أنه مفوض تماماً لا علاقة لله به. كلا ان الانسان في وجوده وفي استمرار هذا الوجود مرتبط في كل لحظة بالفيض الالهي، ولو انقطع هذا الفيض لانعدم وجوده، بما في ذلك افعاله وحركاته، فكلها مرتبطة بهذا الفيض المقدّس.

واذن فانّ فعل الانسان بما هو ارادة هو فعل الانسان نفسه، فاذا نسب الى الله فمن جهة العلة المرتبطة بفعل الانسان طولاً لا عرضاً. ومن هنا نفهم معاني الآيات التالية:

«وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبيّن لهم فيضلّ من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم»[1].

«قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذلّ من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير»[2].

«ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء

---

(١) ابراهيم، الآية ٤.

(٢) آل عمران، الآية ٢٦.

ولتسئلن عمّا كنتم تعملون»[١].

«فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمىٰ وليبلي المؤمنين منه بلاء حسناً ان الله سميع عليم»[٢].

«وما تشاؤون الا ان يشاء الله ربّ العالمين»[٣].

وتنسِب الآيتان الاخيرتان الفعلَ والمشيئة الىٰ العبد والربّ «وما رميت اذ رميت ولكن الله رمىٰ» «وما تشاؤون الا ان يشاء الله» وتفسيرهما ان الفعل بمباشرة الفاعل وعن ارادة منه واختيار، ولكن كل ذلك اثر للوجود والفاعلية وهما ليسا مستقلين عن فيض الله وما أودعه من علل ومعلولات في ذات الخلق.

ومن هنا فلا جبر في العمل والعقل لأن ارادة الانسان واختياره واضحة فيه، وهو ليس مفوضاً مستقلاً، لان الفاعل ليس مستغنياً عن فيض الله، ولهذا يمكن القول انه «امر بين امرين» على حدّ التعبير الذي اشتهر عن الائمة عليهم السلام، فقد ذكر الجبر والتفويض عند الامام الرضا (عليه السلام) فقال: الا اعطيكم في هذا اصلاً لا تختلفون فيه ولا يخاصمكم احد الا كسرتموه؟ قالوا: ان رأيت ذلك؟ فقال: ان الله عز وجل لم يطَع باكراه ولم يعصَ بغلبة، ولم يهمل العباد في ملكه، هو المالك لما ملّكهم، والقادر علىٰ ما اقدرهم عليه، فان ائتمر العباد بطاعته لم يكن الله عنها صادّاً ولا منها مانعاً، وان ائتمروا بمعصيته فشاء أن يحول بينهم وبين ذلك فعل وان لم يحل وفعلوه فليس هو الذي ادخلهم فيه[٤].

وعن محمد بن عجلان قال: قلت لابي عبد الله (عليه السلام): فوّض الله الامر الىٰ العباد؟ قال: الله اكرم من أن يفوض اليهم. قلت: فأجبر الله العباد علىٰ افعالهم؟ فقال: الله اعدل من ان يجبر عبداً علىٰ فعل ثم يعذبه[٥].

---

(١) النحل، الآية ٩٣.
(٢) الانفال، الآية ١٧.
(٣) التكوير، الآية ٢٩.
(٤) بحار الانوار، ج ٥، ص ١٦.
(٥) المصدر السابق، ص ٥١.

الاسئلة

١ ـ ما هو الفرق بين اعمال الانسان، والنشاط في النباتات والحيوانات؟

٢ ـ استدّل على ان الانسان حرّ مخيّر.

٣ ـ ما هو رأي القرآن في مسألة اختيار الانسان؟

٤ ـ ماذا يعني ان الانسان فاعل مخيّر؟

٥ ـ هل يتبع علم الانسان وارادته قانون العلّية العام؟

٦ ـ ما هي المؤثرات في علم واختيار الانسان؟

٧ ـ هل ان الانسان مفوض ام محتاج الى الله؟

٨ ـ اذكر آيتين حول اعمال الانسان تنفيان الجبر والتفويض.

٩ ـ ماذا يعني «أمر بين أمرين»؟

الانسان والواجب

الجمادات والنباتات لا تمتلك ادراكاً فهي ليست اهلاً للتكليف، والحيوانات ايضاً لأنها لا تملك عقلاً تفكر به لتميز بين مضارّها ومصالحها أو ليساعدها في مقاومة غرائزها وضبط سلوكها. انها منقادة لغرائزها مستسلمة لها؛ لهذا فهي غير مكلفة في حياتها.

الملائكة ايضاً غير مكلّفة بشريعة ما، لانها مجرّدة عن المادّة، فهي في مأمن من تصورات الباطل والشرّ والفساد والعصيان، واذن فلا تحتاج الى شرائع واحكام، فالملائكة يؤدون وظائفهم تكويناً مستسلمين لها منذ بدء خلقتهم.

يقول القرآن الكريم في هذا الصدد:

«لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون»[1].

ينقل القرآن الكريم قول الملائكة:

«وما منا الا وله مقام معلوم. وانا لنحن الصافّون وانا لنحن المسبحون»[2].

ومن بين هذه المخلوقات يتمتع الانسان بخلقة خاصّه تؤهله لحمل المسؤولية واداء ما كُلفّ به. فهو ليس ملاكاً مجرّداً عن الشهوة والغضب والعصيان بالرغم من انطوائه علىٰ روح ملكوتية مجرّدة، غير انها متعلّقة ببدن

---

(١) التحريم، الآية ٦.

(٢) الصافات، الآية ١٣٦.

مادّي، وهو الذي يشدّها ويثنيها عن سيرها التكاملي، ومن هنا يتأتىٰ له تصور الطاعة والمعصية، فاصبح بالتالي مسؤولاً وأهلاً للتكليف.

وكما عرفنا سابقاً بأن الانسان موجود عاقل حرّ ومخيّر، فهو يفكّر في عواقب الامور، في ما ينفع ويضرّ؛ ومن اجل هذا اصبح موضعاً للتكليف وموردا للأمر والنهي.

وفي الاحاديث اشارة الى هذا المعنىٰ:

عن عبد الله بن سنان قال: سألت ابا عبد الله جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) فقلت: الملائكة افضل ام بنو آدم؟ فقال: قال امير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام): ان الله عز وجل ركّب في الملائكة عقلاً بلا شهوة، وركب في البهائم شهوة بلا عقل، وركب في بني آدم كلتيهما، فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة ومن غلب شهوته عقله فهو شرّ من البهائم[1].

ومن اجل هذا كان الانسان مسؤولاً مكلفاً.

قال تعالىٰ: «انا عرضنا الامانة على السماوات والارض والجبال فابين ان يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوماً جهولاً»[2].

يقول بعض المفسرين ان المراد من الامانة في الآية الكريمة، هو المسوولية، لان الله عز وجل خلق السموات والارض وعرض عليها الامانة فأبين حملها لأنهما ليسا أهلاً لتحمّل هذه المسؤولية الصعبة؛ ذلك انهما تفتقران الى العقل، وملائكة السماء لأنهم مخلوقات مجرّدة عن المادّة لا تنطوي على غضب أو شهوة، فهم غير مستعدين لتحمل المسؤولية. ومن بين كل هذا الخلق يبرز الانسان وحده لتحمل المسؤولية؛ لأنه أهل لها، فهو يتمتع بالعقل والفكر والارادة والاختيار، وله القابلية والاستعداد لتلقّي أمر الله ونهيه، لأنه ينطوي على

---

(١) بحار الانوار، ج ٦، ص ٢٩٩.

(٢) الاحزاب، الآية ٧٢.

قابلية الظلم والجهالة.

وهذه المسؤولية جعلت من الانسان موجوداً اسمىٰ من الجماد والنبات والحيوان.

ولقد بيّن خالق الانسان للانسان واجباته ومسؤولياته لأن الخالق محيط بما خلق، يعلم خصائص روحه وصفات بدنه، مصالحه ومفاسده في دنياه وآخرته. فأرسل لذلك رسلاً وبعث انبياء بشرائع سماوية لتكون طريقاً للانسان.

ان الله ربّنا الحكيم الرحيم يعلم حاجات الانسان، جسمه و روحه، ما ينفعه في دنياه وآخرته، عوامل سعادته واسباب شقائه، وما يصلحه من شرائع وقوانين تنسجم مع طبيعته وتنمّي فيه روح التكامل وتقوده باتجاه السعادة؛ من اجل هذا بعث الله انبياءه ورسله الىٰ الناس جميعاً.

واذا كانت التكاليف السماوية تحدّ من حرّية الانسان المطلقة، فان هذا التحديد هو في مصلحة الانسان نفسه، فالخالق الرحيم شرع لمخلوقه **الطريق** الذي يجلب عليه النفع ويدفع عنه الضرر. والانسان اساساً لا يمكنه **ان يمارس** حرّيته المطلقة وهي ليست في مصلحته ايضاً، لانه كائن اجتماعي **يعيش مع** الآخرين، محتاج لهم. والحياة الاجتماعية تفرض نوعاً من القيود علىٰ الحرّية الفردية هو في مصلحته ومصلحة الجميع. ومن هنا فالشرائع الالهية التي بشّر بها الانبياء انما انزلت لتنظم حياة الانسان وتجعلها اكثر طمأنينة وسلاماً.

وقد اشار القرآن الكريم الى هذه المسألة في قوله تعالىٰ:

«كان الناس امّة واحدة فبعث الله النبيين مبشّرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البيّنات بغياً بينهم فهدىٰ الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من

الحق باذنه، والله يهدي من يشاء الىٰ صراط مستقيم[١].

عن جعفر بن محمد بن عمارة عن ابيه قال سألت الصادق جعفر بن محمد (عليه السلام) فقلت له: لم خلق الله الخلق؟ فقال: ان الله تبارك وتعالىٰ لم يخلق خلقه عبثاً ولم يتركهم سدىٰ، بل خلقهم لإظهار قدرته، وليكلفهم طاعته، فيستوجبوا بذلك رضوانه، وما خلقهم ليجلب منهم منفعة ولا ليدفع بهم مضرّة، بل خلقهم لينفعهم ويوصلهم الىٰ نعيم الابد[٢].

الاسئلة

١ ـ لماذا كانت الحيوانات غير مكلّفة؟

٢ ـ لماذا لم تكلّف الملائكة؟

٣ ـ لماذا اصبح الانسان أهلاً للمسؤولية؟

٤ ـ من الذي يعين واجبات الانسان؟ ولماذا؟

٥ ـ هل يمكن للانسان ان يمارس حريته المطلقة؟

٦ ـ هل يلحق تقييد الحرّية اضراراً بالانسان؟

---

(١) البقرة، الآية ٢١٣.

(٢) بحار الانوار، ج ٥، ص ٣١٣.

مسؤوليات الانسان

كما ذكرنا سابقاً ان الانسان موجود مكلّف، وان عليه واجبات وعلى عاتقه مسؤوليات يتوجب عليه النهوض بها.

ومسؤوليات الانسان متنوعة وكبيرة ويمكن ايجاز اهمها في ما يلى:

- مسؤوليته امام الله والرسول
- مسؤوليته امام نفسه
- مسؤوليته امام الآخرين

□ مسؤولية الانسان امام الله والرسول

العقل والشرع يوجبان على الانسان أن يعرف ربّه وولي نعمته، يعبده ويشكره، ويؤدي ما عليه من واجبات تجاهه، وعليه ايضاً ان يعرف الانبياء الحق من سفراء الله الذين بلغوا رسالات ربّهم وبينوا للناس جادّة الصواب. فتعاليم الانبياء هي شرائع الله، وطاعتهم هي طاعة لله، ومن وراثها سعادة الانسان في الدنيا والآخرة.

قال تعالى في محكم قرآنه:

«يا ايها الناس اعبدو ربّكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون»[١].

«يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم»[٢].

«يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم، فان تنازعتم في شيء فردّوه الىٰ الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تأويلاً»[٣].

□ **مسؤولية الانسان امام نفسه**

ان اعزّ الاشياء واغلاها لدىٰ الانسان هو نفسه التي بين جنبيه، فهو يفكر في نفسه قبل كل شيء، ومن هنا يتعين عليه ان يعرف نفسه؛ طبيعتها؛ منشأها ومن أين جاءت، والى أين ستذهب، وما سيكون مصيرها، وعوامل سموّها واسباب انحطاطها وسقوطها.

وعليه أن يعرف موقعه في هذا العالم ويعرف وظائفه ومسؤوليته، أن يفكر **في علّة خلقه** وغاية وجوده، ان يعرف نبع سعادته ومصدر شقائه، ومن اين يأخذ معالم طريقه، وكيف يحدد مساره؟

ولو فكر الانسان في هذا الامر، ونظم حياته بشكل صحيح، لأدرك سعادته. وإنْ جهل قدر نفسه وغفل عن تنظيم حياته، فقد ظلم نفسه ورمىٰ بها في التهلكة، وذلك هو الخسران المبين. قال تعالىٰ:

ـ «يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون»[٤].

ـ «قل الله اعبد مخلصاً له ديني فاعبدوا ما شئتم من دونه قل ان الخاسرين

---

(١) البقرة، الآية ٢١.
(٢) محمّد، الآية ٣٣.
(٣) النساء، الآية ٥٩.
(٤) الحشر، الآية ١٨.

الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين»[١].

ـ «واتقوا يوماً ترجعون فيه الى الله ثم توفّىٰ كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون»[٢].

ـ «يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم واهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون»[٣].

وعن الامام زين العابدين (عليه السلام) قال: واما حق نفسك عليك فان تستوفيها طاعة الله فتؤدي الى لسانك حقه والىٰ سمعك حقه والىٰ بصرك حقه والىٰ يدك حقها والىٰ رجلك حقّها والىٰ بطنك حقّه والىٰ فرجك حقه وتستعين بالله علىٰ ذلك[٤].

وعن امير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) قال: ان النفس لجوهرة ثمينة، من صانها رفعها ومن ابتذلها وضعها[٥].

وعنه (عليه السلام) ايضاً قال: من عرف نفسه لم يهنها بالفانيات[٦].

□ مسؤولية الانسان أمام الآخرين

الانسان اجتماعي بالطبع يعيش مع غيره من ابناء نوعه ويحتاج الىٰ عونهم. والناس جميعاً يحتاج بعضهم بعضاً، يتعاونون فيما بينهم علىٰ انجاز شؤونهم الاجتماعية، يقتسمون الاعمال حسب مؤهلاتهم، فعلىٰ كل فرد منهم مسؤولية معينة وواجب ينهض به. ولان الفرد يستفيد من الآخرين، فعليه رعاية الآخرين واداء حقوقهم، وبهذا تصبح الحياة هادئة مستقرة، ومن هنا جاءت القيم الاخلاقية والضوابط الاجتماعية.

---

(١) الزمر، الآيتان ١٤ و ١٥.
(٢) البقرة، الآية ٢٨١.
(٣) التحريم، الآية ٦.
(٤) تحف العقول، ص ٢٦٢.
(٥) غرر الحكم، ص ٢٢٦.
(٦) المصدر السابق، ص ٦٦٩.

ولقد أولىٰ الاسلام الاخلاق الاجتماعية عناية فائقة، فجعل لافراد المجتمع مسؤوليات متقابلة واكّد علىٰ رعايتها، وبلغ في ذلك حدّاً لم تبلغه الشرائع الاخرىٰ، فلكل فرد مسؤوليته تجاه الآخرين وكل حسب موقعه ووظيفته ودوره في المجتمع، فالآباء والامهات مسؤولون أمام ابنائهم كما ان الابناء مسؤولون أمام آبائهم وامهاتهم، وللزوجين في حياتهما المشتركة مسؤوليات وحقوق متبادلة، والاخ أمام اخته، والاخت أمام اخيها، وللجيران حقوقهم، وللمعلم حق علىٰ تلاميذه كما أن للتلاميذ حقوقهم علىٰ معلميهم، والعالم مسؤول عن الجاهل، والطبيب مسؤول عن مرضاه، والحاكم ومن بيده مقاليد الأمور مسؤول امام شعبه فلكل هؤلاء حقوق وواجبات.

وخلاصة القول أن هناك معادلات دقيقة تنظم حقوق كل فرد وواجباته بما يكفل سعادة الجميع.

ولو عرفنا أن الانسان مسؤول حتىٰ عن الحيوانات والنباتات والبيئة التي يعيش فيها وما تنطوي عليها الارض من معادن وثروات وغابات، ادركنا عظمة الاسلام في هذا المضمار.

الاسئلة

١ ـ ما هي مسؤولية الانسان تجاه ربّه؟

٢ ـ ما هي مسؤوليته تجاه الانبياء؟

٣ ـ ما هي مسؤوليته تجاه نفسه؟

٤ ـ ما هي مسؤوليته تجاه الآخرين؟

٥ ـ ماذا يعنى مسؤولية الفرد تجاه المجتمع؟

٦ ـ ما هي جدوى الواجبات المتقابلة بين افراد المجتمع؟

القسم السادس

الواجبات والاحكام ومصادرهما

احكام و تكاليف الاسلام

يحتاج الانسان في حياته الاجتماعية، في علاقاته وارتباطه بالآخرين، في عمله وبحثه عن لقمة العيش، في ملكيته وفي علاقاته بين العامل وربّ العمل وفي مبادلاته التجارية، وفي زواجه وعلاقاته الاسرية، في امنه الاجتماعي، في معاقبة المعتدي وردع العدوان، في الادارة والحكم، وفي كل هذا وذاك يحتاج الىٰ القانون والشريعة.

وفي حياة الانسان النفسية وما يموج في اعماقه من مشاعر واحاسيس وفي علاقته بربّه ومعبوده وفي كيفية العبادة وفي معرفة منابع السعادة واسباب الشقاء، وفي ادراك الفضائل والمكارم واكتشاف الرذائل، وفي سلوك طريق التكامل الروحي وفي تزكية النفس وتهذيبها يحتاج ايضاً الىٰ تعاليم خالق الانسان والعالم.

ان الله ربّنا الذي خلق كل شيء بما أودع في مخلوقاته من اسرار الخلق، محيط بما يدور في الجسم ويموج في الروح، ويعرف حاجات الانسان وأنه عاجز عن سلوك الطريق دون دليل يقوده باتجاه الكمال المنشود، لهذا شرع له احكاماً وقوانين وبعث انبياء ورسلاً من اجل هداية البشر الىٰ جادّة الصواب.

فاحكام السماء هي مجموع الاوامر والنواهي الالهية التي تبين للانسان

واجباته في الحياة الدنيا. وشريعة الاسلام شاملة ومتنوعة، وقد بحثت في كتب الفقه والحديث والتفسير والاخلاق بشكل مفصّل، وهي تنقسم الىٰ ما يلي:

■ الاحكام التكليفية والوضعية

ـ الاحكام التكليفية:

وهي احكام الوجوب والحرمة والاستحباب والكراهة والاباحة، وتدعىٰ بالاحكام الخمسة. فكل اعمال الانسان لابدّ وان تندرج تحت هذه العناوين، فهي امّا واجبة ملزمة حتماً، فاداؤها طاعة وتركها ذنب ومعصية، أو حرام حيث المكلف مأمور بتركها لورود النهي فيها، فارتكابها ذنب يستحق الجزاء والعقوبة. أو مستحبة حيث للقيام بها ثواب، مع ان تركها لا يترتب عليه أثر سلبي. او هي مكروهة فتركها أولىٰ. ولو ارتكب المرء عملاً منها فلا يترتب عليه أثر جزائي بالرغم من ان الشريعة تحبّذ تركها. أو هي مباحة فالقيام بها أو عدمه سواء، ومن هنا فان الاحكام التكليفية هي ما جاءت بصيغة الأمر والنهي، وهي الاساس في وظائف الانسان وواجباته.

ـ الاحكام الوضعية:

وهي من قبيل احكام الزوجية بين الرجل والمرأة، الملكية، المالكية، الجزئية، الشرطية، السببية، الحجية، الصحة والبطلان، وهي ليست احكاماً تكليفية ولكنها احكام وضعها الشرع ورتّب عليها آثاراً.

■ الاحكام التعبّدية والتوصّلية

ـ الاحكام التعبّدية

وهي كل عمل يترتب صحته علىٰ الاخلاص في نيّة القربة سواء كان واجباً أو مستحباً، والعبادات كلّها تندرج تحت هذا العنوان، فالواجبات التعبّدية هي من قبيل: الصلاة الواجبة، الصيام الواجب (صيام شهر رمضان) وغسل الجنابة

والوضوء والتيمم لأداء الصلاة الواجبة، والطواف الواجب، الحج الواجب، الزكاة والخمس. والمستحبات التعبّدية تشمل الصلاة المستحبة، الوضوء والغسل المستحب، قراءة القرآن، الدعاء، الذكر، الحج والعمرة استحباباً، زيارة مراقد الانبياء والائمة المعصومين (عليهم السلام).

وفي كل هذا يشترط الاخلاص في قصد القربة، فاذا كانت رياءً ومباهاة بطلت وتوجب اعادتها.

ـ الاحكام التوصّلية

وهي كل عمل يوصل الىٰ اداء عمل آخر ولا يشترط فيه قصد القربة، وهي احكام واجبة أو مستحبة، فالواجب التوصّلي يشمل: الجهاد في سبيل الله، الدفاع عن الاسلام والقرآن والبلاد الاسلامية، نصرة المظلومين، الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، الوفاء بالعهد، دفن الموتىٰ، اداء الدين، الانفاق علىٰ الزوجة، وعلىٰ الافراد الواجبي النفقة، ردّ التحية، وانقاذ النفس المسلمة، فيقال لهذه الاحكام احكام توصّلية او واجبات توصّلية. واداؤها لا يشترط فيه قصد القربة، فاذا ادّاها المسلم بقصد القربة أُثيب عليها، وان كانت لا تبطل بدون نيّة القربة. والمستحبات التوصّلية ما كان عوناً في اعمال الخير والاحسان، وبرّ الوالدين واغاثة البؤساء والمحرومين، واحترام الكبار والعطف علىٰ الصغار، وصلة الرحم، وخدمة الناس، والسعي لاصلاح ذات البين، واطعام الطعام واستقبال الضيوف، وحسن الخلق، وحسن الجوار، وادخال السرور علىٰ قلوب المؤمنين، وعيادة المرضىٰ، وتفقد الاخوان، وطلب العلم، والعطف علىٰ اليتامىٰ، ومعاملة أفراد الاسرة بالحسنىٰ، والاشتراك في تشييع الجنائز وغير ذلك.

وهذه الاعمال مطلوبة من الشارع المقدس وان لم تؤدّ بنية القربة، علىٰ ان القربة في هذه الاعمال يجعلها في مستوىٰ المستحبّات التي يثيب الله عليها، وانتفاء النيّة لا يقلل من شأنها في رأي الشريعة.

■ العيني والكفائي

وينقسم الواجبات من الاعمال الىٰ قسمين عيني وكفائي.

فالعيني هو الواجب الذي يتعين علىٰ كل فرد اداؤه، ولا يسقط عنه اداء الآخر له، فعلىٰ الجميع اداء الصلاة والصيام والحج والزكاة والخمس.

اما الواجب الكفائي، فهو واجب يسقط اداؤه عن الآخرين اذا نهض به البعض، ولو تخلف الجميع عنه اثموا كلّهم. فالواجب الكفائي يشمل: دفن الميت، الجهاد في سبيل الله، الدفاع عن حرمة الاسلام، الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، الاشتغال ببعض الحقول العلمية والادارية كالطبابة والقضاء، والصناعة والزراعة، والتجارة وغيرها من الحرف الاخرىٰ.

وهذه الاعمال واجبات كفائية، يغني نهوض البعض بها عن الآخرين ضرورتها ولزومها، ولكن لو تخلف الجميع عنها اثموا جميعاً واصبحوا مستحقين للعقوبة.

■ التعييني والتخييري

وهناك تقسيم آخر للواجب، فهو تعييني وتخييري، فالوجوب التعييني في فعل معين يعني ان المكلف ملزم باداء عمل واجب محدد كالصلاة والصيام، الحج، الزكاة، الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله.

اما الوجوب التخييري فيعني أن المكلف مخيّر في انتخاب واحد من عدّة واجبات، فمثلاً كفّارة الافطار في شهر رمضان فبالاضافة الىٰ قضاء ذلك اليوم المفطر فيه يتعين علىٰ المفطر انتخاب واحد من ثلاثة واجبات: فامّا عتق رقبة، واما اطعام ستين مسكيناً أو صيام ستين يوماً.

المحرمات

نهىٰ الاسلام عن ارتكاب بعض الاعمال وعدّها من المحرّمات ووعد بالعذاب مرتكبيها؛ من قبيل: قتل النفس، الزنا، اللواط، اغتصاب الاموال، السرقة، التصرف في اموال الآخرين دون رضاهم، شرب الخمر، الربا اخذاً وعطاء، تناول اللحم الحرام، اكل الميتة الذي يعنى تناول لحوم الحيوانات التي لا تذبح علىٰ الطريقة الاسلامية، النظر الىٰ المحارم، خيانة العهد، البهتان، الكذب، الغيبة، التنابز بالالقاب، الرشوة، تناول الاطعمة النجسة، الفرار في الجهاد الواجب، ترك الواجبات، واعمال اخرىٰ عدّها الاسلام من المحرمات ونهىٰ عن ارتكابها بشدة.

سائر الاحكام

لا تنحصر احكام الاسلام في العبادات والمحرّمات، فهي شاملة وواسعة وتتدخل في شؤون الانسان كافّة فرداً ومجتمعاً، فما من شيء الا وللاسلام فيه حكم ورأي، وهذه المسائل قد بحثتها كتب الفقه، وهنا اشارة الىٰ عناوينها:

ـ النجاسات والمطهرات

عنون الاسلام الاشياء من حيث استعمالها واستخدامها، فهي اما نجسة أو طاهرة، فنهىٰ عن النجاسات منها؛ وهي:

* بول وبراز الحيوانات الحرام تناول لحومها.
* مني الحيوانات
* الحيوان الميت

* دم الحيوان
* الكلب والخنزير
* المسكر من السوائل
* الفقاع أو ما يدعىٰ بماء الشعير اذا كان مسكراً
* عرق الحيوان الآكل للنجاسة

ـ المطهّرات

أي ما يطهر الاشياء من النجاسات؛ وهو الماء اضافة الىٰ بعض المطهّرات الاخرىٰ.

ـ المعاملات

افردت الشريعة الاسلامية مساحة واسعة للمعاملات، وبحثتها كتب الفقه بالتفصيل تحت عناوين مختلفة من قبيل: المكاسب، البيع، والشراء، الربا، حق الشفعة، الاجارة، الجعالة، العارية، الوديعة، الرهن، الضمان، الحوالة، القروض، المضاربة، المزارعة، المساقاة، الشراكة، المصالحة، الوكالة، الوقف، الهبة، الارث، الوصيّة، احياء الارض الموات، الملكية، الحجر، اللقطة، الغصب وسائر المعاملات الاخرىٰ.

ـ احكام الاسرة

وللاسلام في شؤون الاسرة وقضايا العائلة احكام وتعاليم مفصّلة، وهذه بعض عناوينها: النكاح، المهر، الحقوق المتقابلة بين الزوجين، الرضاع، الاولاد، النفقة، النشوز، الطلاق، عدّة الطلاق، عدّة الوفاة ومسائل أخرىٰ.

ـ الولاية والحكم

وللاسلام ايضاً في مضمار الحكومة والولاية احكام واسعة، هذه عناوينها: اصل الولاية والحكومة الاسلامية وادّلتها، الحكومة الاسلامية، شروط الحاكم، صلاحيات الحاكم، مسؤوليات الحكم، كيفية انتخاب الوالي، واجبات القائمين علىٰ شؤون الحكم، الاموال العامّة، ميزانية الدولة، الضرائب، الخمس، الجهاد، القضاء، الشهادات،القصاص، الحدود، الديات وشؤون أخرىٰ.

ـ احكام الاكل والشرب

وعناوين ذلك: الصيد، ذبح الحيوانات الحلال والحرام، شروط الذبح الشرعي والذبائح، شروط الصيد و... الخ.

الاسئلة

١ ـ ما هي الاحكام الخمسة؟ اشرح ذلك

٢ ـ ما هي الاحكام التكليفية والوضعية؟

٣ ـ ما هي الاحكام التعبدية والتوصلية؟

٤ ـ ماذا يعني الواجب العيني والكفائى؟

٥ ـ عدّدالمحرمات في الاسلام؟

٦ ـ ما هي النجاسات؟ اذكر اربعة منها.

٧ ـ عدّدعشرة من المعاملات.

٨ ـ ما هي الاحكام المتعلّقة بالاسرة؟

٩ ـ ما هيالاحكام المتعلّقة بالحكم؟

القرآن المصدر الاول للشريعة الاسلامية

يقال للشيء الذي يؤخذ منه القانون والحكم والعلوم الاسلامية مصدراً أو منبعاً. ومصادر التشريع الاسلامي اربعة: القرآن ـ سنّة سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ـ سنة الائمة المعصومين ـ العقل.

والقرآن اشرف وأهم منابع العلوم والمعارف الاسلامية؛ ذلك انه قطعي السند لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. فكل مسلم يعتقد بأن **المصحف** الموجود بين يديه اليوم هو نفس القرآن الذي انزل على صدر **سيدنا محمد** (صلى الله عليه وآله وسلم) في آياته وسوره، وأنه في مأمن من كل تغيير أو تحريف، زيادة أو نقصاناً. وهذه ميزة للقرآن الكريم فريدة ليست لغيره من كتب السماء.

والقرآن الكريم في الفاظه وتعابيره يقع في المرتبة الاولىٰ من حيث وضوح الجمل والمعاني، بعربية بليغة معجزة، لأنه كلام الله عز وجل، أنزله علىٰ صدر سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

واميتاز المفهوم والمعنىٰ القرآني أمر واضح يلمسه كل من تأمل في آياته أو غاص في معانيها.

وليس هناك من مسوّغ لبحث حجّية القرآن الكريم لأنه:

▣ دستور في الحياة وكتاب عمل فصيح التعبير مفهوم من لدن الجميع.

▣ ان المسلمين في صدر الاسلام كانوا يفهمون ما نزل منه ويدركون واجباتهم ووظائفهم دون شك وترديد، وكان سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو يبلّغ دعوته يتلو القرآن الكريم ويستشهد بآياته المباركة.

▣ ان القرآن الكريم نفسه يدعو الناس الىٰ التدّبر والتأمل في آياته والاستفادة منها في حياتهم، ولو كان القرآن مبهم المعاني كانت دعوته الىٰ التأمل لا معنىٰ لها.

ومن هنا فان حجّية القرآن امر بديهي لا يحتاج الىٰ براهين وأدلّة. وهذه طائفة من الآيات التي تشير الى هذا المعنىٰ!

قال تعالىٰ:

ـ «ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون **الصالحات ان لهم** اجراً كبيراً»[١].

ـ «**كتاب** فصّلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون»[٢].

ـ «يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبيّن لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير. قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين. يهدي به الله من اتّبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الىٰ النور بإذنه ويهديهم الىٰ صراط مستقيم»[٣].

ـ «تلك آيات الكتاب المبين»[٤].

ـ «كتاب انزلناه اليك ليدبّروا آياته وليتذكر اولو الالباب»[٥].

ـ «وهذا كتاب انزلناه مبارك فاتّبعوه واتقوا لعلكم ترحمون»[٦].

---

(١) الاسراء، الآية ٩.
(٢) فصّلت، الآية ٣.
(٣) المائدة، الآيتان ١٥ و ١٦.
(٤) يوسف، الآية ١.
(٥) ص، الآية ٢٩.
(٦) الانعام، الآية ١٥٥.

ـ «قل اي شيء اكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم واوحي اليّ هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ»[١].

القرآن الكريم يعرّف نفسه بتعابير مختلفة؛ فهو: نور، كتاب مبين، تبياناً لكل شيء، هدىٰ للمتّقين، يهدي للتي هي أقوم، يبشر المؤمنين، يهديهم الىٰ صراط مستقيم، اوحى اليّ هذا القرآن لانذركم ومن بلغ، كتاب فصّلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعقلون، كتاب انزلناه اليك ليدبّروا آياته وليتذكر اولو الالباب.

وهناك طائفة من الاحاديث التي تؤكّد حجية القرآن، وهذا مثال:

ـ عن زيد بن ارقم قال: قام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوماً فينا خطيباً بماءٍ يدعىٰ (خم) بين مكة والمدينة، فحمد الله واثنىٰ عليه ووعظ وذكّر، ثم قال: «اما بعد ايها الناس فإنما انا بشر يوشك ان يأتي رسول ربي فأجيب وانا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله، فيه الهدىٰ والنور فخذوا بكتاب الله واستسمكوا به» فحثّ علىٰ كتاب الله ورغب فيه ثم قال: «واهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي، اذكركم الله في اهل بيتي، اذكركم الله في اهل بيتي»[٢].

هذا الحديث وعشرات الاحاديث الاخرىٰ التي تفيد بأن **سيدنا محمداً** (صلى الله عليه وآله وسلم) اعتبر القرآن المصدر الاول والخالد والمعتمد لدىٰ المسلمين.

فالقرآن الكريم أهمّ وأوثق المصادر، وهو نبع ثر يجيب عن كل الاسئلة ويسدّ حاجات المسلم فكرياً ودينياً وثقافياً. فالمعارف القرآنية تستقي حقيقتها من فطرة الانسان نفسه التي جعلها الله خالدة. ومن هنا فان القرآن كتاب خالد لاتزيده الايام الا جلاء وحياة، وستبقىٰ البشرية بحاجة اليه مهما بلغت شأواً بعيداً في الحضارة والمدنية.

---

(١) الانعام، الآية ١٩.

(٢) صحيح مسلم، ج ٤، ص ١٨٧٣.

ومهما بلغ العلماء من علمهم فان الغوص في معانيه وما ينطوي عليه من الكنوز تجعلهم يكتشفون اشياء جديدة، فليس هناك من كتاب ديني له منزلة القرآن في علو شأنه. وما اكثر التفاسير والبحوث في الماضي والحاضر؛ وفي كل مرّة نجد الجديد في ما يكتشف من اعماقه الغنية، وما يزال القرآن وسيبقىٰ باباً واسعاً لمن ينشد الكمال في المعرفة والعلم والفكر.

فالعلماء علىٰ تنوّع مشاربهم واختصاصاتهم يبحثون فيه، وكل ينظر اليه من خلال تخصصه، فالفقهاء يقرأونه ليتفقهوا، والفلاسفة ليزدادو حكمة، والعرفاء عرفاناً لربهم، واهل الاخلاق لتربيتهم، والاجتماعيون، والسياسيون، والفلكيون، والحقوقيون وغيرهم، فلا تنتهي آفاقه، ولا تنفد كلماته.

وهذه عناوين لبعض موضوعاته العامّة

▣ فهو يحوي اصول العقائد في معرفة الله واسمائه وصفاته، والمعاد في **الحياة بعد** الموت، وعالم القيامة، والحساب في عالم الآخرة، وعالم البرزخ، **والجنة والنار**، والنعيم والعذاب، والنبوة وضرورة بعث الانبياء، والانبياء وصفاتهم، ومعجزات الرسل، والاستقامة في الدعوة الىٰ الله، وقيادة الناس وشروط الامامة.

▣ وهو يشير الى بعض قصص الانبياء وما يجرى على الرسل (عليهم السلام) ومعاناتهم في ابلاغ رسالة السماء.

▣ الدعوة الىٰ الايمان بالله والمعاد والوحي.

▣ البشارة للمؤمنين في يوم الآخرة وانذار الكافرين.

▣ الدعوة الىٰ توحيد الله ونبذ الشرك.

▣ الدعوة الىٰ التأمل في الطبعية وخلق السماوات والارض، وما فيها من نجوم وبحار وجبال واسرار الخلق.

- التذكير بنعم الله سبحانه.
- تمجيد المؤمنين وسيرتهم، واستنكار اعمال الكافرين.
- الدعوة للتأمل في ما جرىٰ علىٰ الامم الغابرة والاعتبار بها.
- احتجاجات الانبياء مع أقوامهم في مسائل التوحيد والمعاد والوحي.
- الدعوة الىٰ مكارم الاخلاق.
- مسائل الارث والوصية.
- بعض احكام القضاء، في القصاص والديات والحدود.
- عوامل السعادة واسباب الشفاء.
- الدعوة الىٰ الوحدة ونبذ الاختلاف.

ومن هنا فان القرآن من أغنىٰ وأوفىٰ منابع التشريع والعلوم الاسلامية، وهو خالد علىٰ مر التاريخ وتوالي العصور، يحتاج اليه الناس في كل زمان ومكان.

وقد اوصىٰ به سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وجعله وديعة لدىٰ المسلمين؛ يحفظونه، وأمرهم بالتمسك به؛ فهو كتاب عمل ودستور حياة.

وفي الختام نذكّر ان القرآن هو المصدر الاول للتشريع، وهو على شموله وعمقه لا يغني عن المصادر الاخرى؛ كسنّة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والائمة (عليهم السلام)، ودور العقل في عملية الاستنباط.

الاسئلة

١ ـ ما هي ميزة القرآن عن سائر الكتب السماوية ؟

٢ ـ لماذا تعتبر حجّية القرآن امراً بديهياً ؟

٣ ـ اشرح حديث الثقلين.

٤ ـ هل يغني القرآن الكريم عن سائرالمصادرالاخرىٰ ولماذا ؟

٥ ـ لماذا جعل سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) القرآن الكريم وديعة لدىٰ المسلمين ؟

سنة النبي المصدر الثاني

تأتي السنّة الشريفة لسيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم كمصدر من مصادر التشريع والمعارف الاسلامية.

والسنة تعني:

اولاً: احاديث سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في شؤون الدين وواجباته.

ثانياً: فعله (صلى الله عليه وآله وسلم) في اطار الدين.

ثالثاً: تقريراته وما امضاه (صلى الله عليه وآله وسلم) من افعال الصحابة كشأن ديني.

وتعني السنّة اصطلاحاً: الاحاديث والروايات ايضاً.

وكان لأحاديث سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الاثر الكبير في معرفة احكام الدين. فبالرغم من ان القرآن الكريم يعدّ من اثرىٰ مصادر التشريع، الا ان بعض مسائله تحتاج الىٰ شرح وتفصيل، وهنا يأتي دور الحديث النبوي الشريف من بعده وأحاديث الائمة من آل البيت (عليهم السلام).

فهناك آيات قرآنية مطلقة واخرىٰ مقيدة، وآيات منسوخة واخرىٰ ناسخة، وهناك العام والخاص، فالاحاديث توضح كل ذلك.

وهناك الفعل العبادي الذي اكتفىٰ القرآن بالاشارة اليه فقط، وجاءت السنّة لتبين كيفية أدائه وشروطه واجزائه والمسائل المتفرعة عنه.

وأساساً فان بعض المواضيع والاحكام لم ترد في القرآن؛ ولذا يتوجب الاستفادة من الاحاديث.

ونبينا (صلى الله عليه وآله وسلم) جاء بالدين الكامل الشامل، الذي يستوعب كل شؤون الحياة في الدنيا والآخرة.

ومن هنا كان علىٰ سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ان ينهض لسدّ الحاجة في هذا المضمار استجابة لامر الله عز وجل:

ـ «يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم»[١].

ـ «لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر وذكر الله كثيراً»[٢].

وعلىٰ هذا؛ كان علىٰ المسلمين ان يتفقهوا في دينهم وأن يأخذوا احكامهم من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فكانوا يراقبون حركاته وسكناته ليقتدوا بأفعاله؛ فهو لهم أسوة وقدوة.

ويبرز من بين الصحابة من يرهف اذنيه لكل ما يقوله النبي، وربما سأله عن شيء يريد فهمه.

وكان المسلمون في خارج المدينة يغتنمون الفرص لزيارة النبي ولقائه ليتعلموا احكام الدين واصول الشريعة، وفي التاريخ شواهد كثيرة علىٰ ذلك:

عن مالك بن الحويرث قال: اتينا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ونحن شببة متقاربون فأقمنا عنده عشرين ليلة، فظنّ انا اشتقنا اهلنا، وسألنا عمن تركنا في اهلنا فأخبرناه. وكان رفيقاً رحيماً فقال: ارجعوا الىٰ اهليكم فعلموهم

---

(١) محمّد، الآية ٣٣.

(٢) الاحزاب، الآية ٢١.

ومروهم، وصلّوا كما رأيتموني أُصلّي، واذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم احدكم ثم ليؤمّكم أكبركم»[١].

وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يدع فرصة او مناسبة دون أن يبين فيها للمسلمين احكام الدين، فهو يتحدث الىٰ اصحابه في المسجد وربّما في الطريق، في السفر وفي الحضر، في ظروف الحرب وفترات السلام.

وربّما فعل شيئاً أو قام بعمل ما من اجل أن يقتدي به المسلمون. واذا رأىٰ احد الصحابة يقوم بعمل خطأ نبهه وصححه، فاذا سكت فمعناه اقرار بصحته وتأييد له.

وطالما ذكّر اصحابه بأن يقتدوا به في مناسكهم.

عن جابر بن عبد الله الانصاري قال: رأيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يرمي براحلته يوم النحر ويقول:

«لتأخذوا مناسككم، فاني لا ادري لعلّي لا أحجّ بعد حجتي هذه»[٢].

وهكذا كان سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ينشر معارف الاسلام واحكامه، وكان الصحابه يهتمون بتعلمها واتقانها.

وكان سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) يهدف وراء ذلك أن يبين لاصحابه أحكام الاسلام ومن ثم تتناقلها الاجيال الى يوم الدين.

ومن خلال هذا الاهتمام وحرص الصحابة؛ وفي طليعتهم الامام علي (عليه السلام) وصل الينا هذا الميراث الضخم من الاحاديث الشريفة.

علم الحديث

بالرغم من كثرة الاحاديث المنسوبة لسيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الّا ان بعضها لا يحظىٰ بالاعتبار، ولهذا نشأ علم الحديث الذي يصنف

---

(١) صحيح البخاري، ج ٤، ص ٥٢. (٢) صحيح مسلم، ج ٢ ص ٩٤٣.

الاحاديث الىٰ قسمين: الخبر المتواتر، والواحد.

المتواتر: ما تظافرت عليه الروايات والاخبار بحيث لا يحتمل الكذب والتزوير فيه. فمن المحال أن يجتمع العدد الكبير علىٰ اختلاق حديث ونسبته الىٰ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ومثل هذه الاحاديث تسمىٰ احاديث متواترة وتعدّ حجّة تفيد القطع واليقين؛ ذلك ان العقلاء والعرف يفيدان بهذا.

خبر الواحد: وهو الحديث الذي لم يبلغ حد التواتر. وعلم الحديث يصنف هذا القسم الىٰ اقسام اخرىٰ فهو:

□ صحيح □ حسن □ موثق □ ضعيف □ مرسل

وتعد الاحاديث التي يأتي في سندها ائمة اهل البيت (عليهم السلام): احاديث صحيحة.

□ والحديث الذي يكون رواته من الاماميين الموثقين: حسن.

□ والحديث الذي يأتي في سنده رواة ضعاف غير موثقين: ضعيف.

□ واذا وجد في سنده فرد متهم بالتزوير عدّ الحديث: مجعولاً.

□ وان وجدت في سلسلة الرواية حلقة فارغة أي انه منقول دون واسطة فالحديث: مرسل.

□ وان وجد في سلسلة الرواة راوية مجهول السيرة، كان الحديث: مجهولاً.

وتعتبر الاحاديث الصحيحة والحسنة أحاديث معتبرة معمول بها، كما يحظى الحديث الموثق بنفس الاعتبار لدىٰ بعض العلماء.

ويبقىٰ الحديث الضعيف ضعيفاً مالم تدعمه قرينة تجبر ضعفه.

فيما يبقىٰ الحديث المجهول فاقداً لكل اعتبار وقيمة.

وفيما يخصّ حجّية الخبر الواحد في الاحاديث، فانه ينحصر في شؤون الاحكام الشرعية، اما الاحاديث المتعلقة بالعقائد والطبيعيات والتاريخ،

والشؤون الصحية، وفوائد واضرار بعض النباتات والثمار، احوال الانسان، التعليم والتربية، الامراض، اسبابها وعلاجها، وغيرها من المسائل الاخرىٰ فلا يمكن اعتماد الحديث كدليل شرعي ملزم للعمل به.

وعلىٰ هذا فلا يمكن الاستناد عليه في مسائل وجود الله وتوحيده وصفاته، المعاد والحياة بعد الموت، اصل الوحي وضرورة النبوّة، بعث الرسل ومسائل أخرىٰ، حيث لا يمكن الاكتفاء بخبر الواحد بل ينبغي بذل المزيد من البحث والاستطلاع لتحصيل الايمان واليقين الكاملين.

اما في امور أخرىٰ من قبيل صفات الانبياء، عالم البرزخ، كيفية القيامة، والحساب، نعم الجنّة وعذابات الجحيم، فلا يلزم اليقين فيها والاكتفاء بها كدليل ظني فحسب. ومن الممكن نسبتها الىٰ الدين الاسلامي، وهذا ايضاً ينسحب علىٰ مسائل التاريخ، والطبيعيات، والانسان فانها تبقىٰ ظنية مالم تتوفر علىٰ اليقين الكامل.

الاسئلة

١ ـ هل يغني القرآن الكريم عن الحديث الشريف؟ لماذا؟

٢ ـ من أي سبيل أمر الله المسلمين أن يأخذوا احكام الدين؟

٣ ـ ماذا كان يهدف سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) من وراء تعليم اصحابه الاحكام؟

٤ ـ ما معنى الحديث المتواتر؟

٥ ـ ماذا يعني الحديث الصحيح؟

٦ ـ ما هي الاحاديث المعتبرة؟

٧ ـ هل يمكن الاعتماد على خبر الواحد في مسألة العقائد؟

٨ ـ اي نوع من العقائد يمكن فيها الاستناد علىٰ خبر الواحد؟

احاديث اهل البيت؛ المصدر الثالث

تشكل احاديث اهل البيت وسيرتهم المصدر الثالث في التشريع والمعارف الاسلامية.

فالمسلمون بعد وفاة سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) يحتاجون مرجعاً مفترض الطاعة معصوماً من الخطا والخطيئة.

لهذا اوصىٰ سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) المسلمين بأهل بيته وقرنهم بكتاب الله؛ القرآن الكريم.

وطالما ذكّر رسول الله اصحابه بذلك، فتواترت الاحاديث عنه في هذا الشأن؛ وأشهر حديث في ذلك هو حديث الثقلين:

عن زيد بن ارقم قال: لما رجع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من حجة الوداع ونزل غدير خم، امر بدوحات فقممن فقال: كأني دعيت فأجبت، اني قد تركت فيكم الثقلين، احدهما اكبر من الاخر: كتاب الله وعترتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فانهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض. ثم قال: انّ الله عزوجل مولاي وانا مولى كل مؤمن، ثم اخذ بيد علي (رضى الله عنه) فقال: من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه[1].

---

(١) مستدرك الوسائل، ج ٣ ص ١٠٩.

وعنه ايضاً: قال: كنّا مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في حجة الوداع، فلمّا كنا بغدير خم امر بدوحات فقممن ثم قال: كاني قد دعيت فاجبت وان الله مولاي وانا مولى كل مؤمن، وانا تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا: كتاب الله وعترتي اهل بيتي، فانهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض. ثم اخذ بيد علي فقال: من كنت وليه فهذا وليه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه.

قال ابو طفيل قلت لزيد: انت سمعت هذا من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ قال: ما كان في الدوحات احد الا وقد رأى بعينه وسمع باذنه[١].

وعن زيد بن ثابت قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): انـي تارك فيكم خليفتين: كتاب الله عزّ وجل حبل ممدود ما بين السماء والارض، او ما بين السماء الى الارض، وعترتي اهل بيتي، وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض[٢].

حذيفة بن اسيد قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): يا ايّـها الناس اني فرط لكم وانتم واردون على الحوض وانى سائلكم حين تردون عليّ عن الثقلين، فانظروا كيف تخلفوني فيهما: الثقل الاكبر كتاب الله، سبب طرفه بيد الله وطرفه بايديكم، فاستمسكوا به ولا تضلّوا ولا تبدّلوا[٣].

ابو سعيد قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): اني قد تركت فيكم ما ان اخذتم به لن تضلّوا بعدي: الثقلين؛ احدهما اكبر من الاخر؛ كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض وعترتي اهل بيتي، الا وانهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض[٤].

فحديث الثقلين اذن من الاحاديث المتواترة وهـو مـروي عـن كـثير مـن

---

(١) انساب الاشراف، ج ٢، ص ١١٠.
(٢) مجمع الزوائد، ج ٩، ص ١٦٢.
(٣) تاريخ بغداد، ج ٨، ص ٤٤٢.
(٤) مسند احمد بن حنبل، ج ٣، ص ٥٩.

الصحابة بعبارات مختلفة واسانيد متعددة، فقد روي عن زيد بن ارقم، ابـي ذر الغفاري، ابي سعيد الخدري، علي بن ابي طالب، زيد بن ثـابت، حـذيفة بـن اليمان، ابن عباس، سلمان الفارسي، ابي هريرة، جابر بن عبد الله الانـصارى، حذيفة بن اسيد الغفاري، جبير بن مطعم، الحسن بن علي، فاطمة الزهـراء، أم هاني بنت ابي طالب، ام سلمة، ابي رافع، وآخرين.

وناشد امير المؤمنين علي بن ابي طالب في خلافته من سمعه من الصحابة الاحياء فنهض سبعة عشر رجلاً شهدوا بأنهم سـمعوا ذلك مـن سـيدنا مـحمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكان في طليعتهم:

خزيمة بن ثابت، سهل بن سعد، عدي بن حاتم، عقبة بن عامر، ابو ايوب الانصاري، ابو سعيد الخدري، ابو شريح الخزاعي، ابو قدامة الانـصاري، ابـو لعلي الانصاريوأبو هيثم التيهان[1].

وذكر الحديث احمد بن حجر في صواعقه، وانه روي عن عشرين صحابياً من صحابة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)[2].

ويتضمن هذا الحديث الشريف ثلاث نقاط هامة:

□ ان سيدنا محمداً(صلى الله عليه وآله وسلم) قرَن اهل البيت بالقرآن الذي هو حبل ممدود من السماء الى الارض، وان المسلمين لن يضلوا اذا ما تمسكوا به ورجعوا اليه، وأهل البيت ايضاً لهم هذه المنزلة وهم مرجع للمسلمين؛ لانهم مع القرآن، والقرآن معهم. وكما ان المسلمين ملزمون بالتمسك بالقرآن، فـانهم ايضاً ملزمون بالتمسك بأهل البيت (عليهم السلام) وطاعتهم.

□ ان القرآن الكريم هو المرجع الخالد للمسلمين حتى قيام يوم الدين، وهو المصدر الاساس للمعارف والشريعة الاسلامية، وكما كـان اهـل البـيت قـرناء

---

(١) ينابيع المودة، ص ٤١.

(٢) الصواعق المحرقة، ص ١٥٠.

للقرآن فانهم مستمرون ايضاً باستمراره.

□ ان القرآن الكريم وأهل البيت حجّتان شرعيتان ومصدران اساسيان واجبا الاتباع والطاعة، و«انهما لن يفترقا». واذن لا يحق للمسلم ايا كان ان يقصي اهل البيت ويقول: حسبنا كتاب الله، كما لا يحق لاي مسلم مهما كان ان يدعَ القرآن ويتمسك باهل البيت فقط.

وهناك أحاديث اخرىٰ توجب اتّباع أهل البيت (عليهم السلام) وانهم امان للمسلمين من الضلال والانحراف وانهم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق.

ـ عن ابن عباس قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح، من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق»[١].

وهذا الحديث ايضاً من الاحاديث المتواترة المروية باسانيد مختلفة عن عدد من الصحابة فيهم: ابو سعيد الخدري، عبد الله بن الزبير، ابو ذر الغفاري

وهذه الاحاديث تجعل من اهل البيت (عليهم السلام) مرجعاً علمياً للمسلمين. فسيرتهم واخلاقهم وقولهم وفعلهم مصدر للعلوم الدينية.

والسؤال هنا: من هم أهل البيت؟

هل هم عشيرة النبي أم أزواجه؟

ان مضامين الاحاديث ومناسباتها تنفي كلا الاحتمالين، فأهل البيت الذين قُرنوا بالقرآن الكريم وأوجب الله طاعتهم وجعلهم حجة على المسلمين اليهم يرجعون وعنهم يصدرون وانهم معصومون من الخطأ منزهون عن الخطيئة، هم أفراد خاصّون نزلت فيهم آية التطهير في قوله تعالىٰ:

«انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا»[٢].

---

(١) مجمع الزوائد، ج ٩، ص ١٦٨. (٢) الاحزاب، الآية ٣٣.

والروايات المشهورة تشير الى انها نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.

عن ام سلمة قالت: في بيتي نزلت: «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت» قالت: فأرسل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الى علي وفاطمة والحسن والحسين فقال: «هؤلاء أهل بيتي»[١].

عن عمر بن ابي سلمة ربيب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: نزلت هذه الآية على النبي «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا» في بيت ام سلمة، فدعا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فاطمة وحسناً وحسيناً فجلّلهم بكساء، وعلي خلف ظهره، ثم قال: «هؤلاء اهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرا». قالت ام سلمة: وانا معهم يا رسول الله؟ قال: «انت على مكانك. انت الى خير»[٢].

وعن عائشة قالت: خرج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) غداة وعليه مرط مرحل من شعر اسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء **الحسين** فدخل معه ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم **قال: «انما يريد** الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا»[٣].

وعن عبد الله بن عباس قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: انا وعلي والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين مطهرون معصومون[٤].

وهؤلا هم أهل البيت الذين طهرهم الله وعصمهم من الخطأ والزلل فهم مفترضو الطاعة وهم المصدر الثالث لاحكام الاسلام ومعارفه.

---

(١) مستدرك الحاكم، ج ٣ ص ١٤٦.
(٢) اسد الغابة، ج ٢، ص ١٢.
(٣) صحيح مسلم، ج ٤ ص ١٨٨٣.
(٤) فرائد السمطين، ج ٢، ص ١٣٣.

الاسئلة

١ ـ اذكر حديث الثقلين، واشرح مضامينه.

٢ ـ من هم اهل البيت (عليهم السلام)؟

٣ ـ اين نزلت آية التطهير وماذا فعل سيدنا محمد (صلى الله عليه **وآله** وسلم)؟

٤ ـ ما هو المصدر الثالث للمعارف والعلوم الاسلامية؟

حملة علم الرسول

قرأنا فيما مضىٰ ان سيدنا محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) بذل جهده في نشر احكام الاسلام بين المسلمين، وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يدرك ان الظروف التي يعيشها المسلمون من حروب وأزمات لا تسمح لهم بتعلّم الشريعة كاملة، ومن ثم الحفاظ عليها والدفاع عنها، وان اصحابه بشر يعتريهم الخطأ والنسيان والغفلة، فتضيع معارف الاسلام وشرائعه، أو يحدث الاختلاف في ذلك. من اجل هذا، ومن اجل الحفاظ علىٰ شريعة الاسلام وصيانتها من آفات الخطأ والنسيان، أمر الله عز وجل رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) ان يعهد بهذه المسؤولية الى علي بن ابي طالب (عليه السلام) وان يسعىٰ في تعليمه وتربيته وتأهيله لتحمّل هذه المسؤولية.

عن علي بن ابي طالب (عليه السلام) قال: ضمّني رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال لي: ان الله امرني ان ادنيك ولا اقصيك وان تسمع وتعي. وحق علىٰ الله ان تسمع وتعي، فنزلت هذه الآية: «وتعيها اذن واعية»[1].

وعن ابن عباس عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) انه قال: لما نزلت «وتعيها اذن واعية» قال النبي: سألت ربي عز وجل ان يجعلها اذن علي. قال

---

(١) مناقب الخوارزمي ص ١٩٩.

علي: ما سمعت من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) شيئاً الا حفظته ووعيته ولم أنسه مدىٰ الدهر[١].

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): لما صرت بين يدي ربّي كلّمني وناجاني فما علمت شيئاً الا علّمته علياً فهو باب علمي[٢].

وعن امير المؤمنين علي (عليه السلام) قال: وقد علمتم موضعي من رسول‌الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره وأنا ولد يضمّني الى صدره ويكنفني في فراشه، ويمسني جسده، ويشمّني عرفه، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه، وما وجد لي كذبة في قول ولا خطلة في فعل، ولقد قرن الله به صلّى الله عليه وآله من لدن ان كان فطيماً اعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم ومحاسن اخلاق العالم، **ليله ونهاره**، ولقد كنت أتبعه اتّباع الفصيل اثر امه، يرفع لي في كل يوم من **اخلاقه علماً** ويأمرني بالاقتداء به، ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء، فأراه ولايراه غيري. ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الاسلام غير رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وخديجة، وانا ثالثهما.. ارىٰ نور الوحي والرسالة وأشمّ ريح النبوة، ولقد سمعت رنّة الشيطان حين نزل الوحي عليه، فقلت: يا رسول الله ما هذه الرنة؟ فقال: «هذا الشيطان آيس من عبادته. انك تسمع ما اسمع وترىٰ ما ارىٰ الا انك لست بنبيّ لكنك وزير، وانّك لعلىٰ خير»[٣].

وقيل لعلي (عليه السلام): ما لك اكثر اصحاب رسول الله حديثاً؟ فقال: اني كنت اذا سألته أنبأني واذا سكت ابتدأني[٤].

---

(١) المصدر السابق.
(٢) ينابيع المودة، ص ٧٩.
(٣) نهج البلاغه، خطبة ١٩٢.
(٤) طبقات ابن سعد، ج ٢ ص ٣٣٨.

وقال علي (عليه السلام) في حديثه له: وقد كنت ادخل علىٰ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كل يوم دخلة، فيخليني فيها، ادور معه حيث دار، وقد علم اصحاب محمد انه لم يصنع ذلك بأحد من الناس غيري، فربما كان في بيتي يأتيني رسول الله اكثر ذلك في بيتي، وكنت اذا دخلت عليه بعض منازله اخلاني واقام عني نساءه فلا يبقىٰ عنده غيري.

واذا أتاني للخلوة معي في منزلي لم تقم عني فاطمة ولا احد من بنيّ، وكنت اذا سألته أجابني، واذا سكتُّ عنه وفنيتْ مسائلي ابتدأني، فما نزلت علىٰ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) آية من القرآن الاّ اقرأنيها وأملاها علي، فكتبتها بخطي، وعلّمني تأويلها وتفسيرها، وناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها، وخاصّها وعامّها. ودعا الله ان يعطيني فهمها وحفظها، فما نسيت آية من كتاب الله وعلماً أملاه عليّ وكتبته منذ دعا الله لي بما دعا، وما ترك شيئاً علمه الله من حلال وحرام ولا أمر ولا نهي كان أو يكون، ولا كتاب منزل علىٰ احد قبله من طاعة او معصية الاّ علمنيه وحفظته، فلم انس حرفاً واحداً. ثم وضع يده علىٰ صدري ودعا الله لي ان يملأ قلبي علماً وفهماً وحكماً ونوراً. فقلت: يا نبي الله بابي انت وامي، منذ دعوت الله لي بما دعوت لم انس شيئاً ولم يفتني شيء لم اكتبه، افتخاف عليّ النسيان فيما بعد؟ فقال: لا، لست اتخوف عليك النسيان والجهل[1].

وعنه عليه السلام قال: والله ما نزلت آية الاّ وقد علمت فيما نزلت واين نزلت وعلىٰ من نزلت. ان ربّي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً ناطقاً[2].

ويستفاد من الاحاديث ما يلي:

▣ ان علياً (عليه السلام) ومنذ ان كان صبياً قد تربّىٰ في حجر النبي (صلى

---

(١) الكافي، ج١، ص ٦٤.

(٢) طبقات ابن سعد، ج ٢، ص ٣٣٨.

الله عليه وآله وسلم) وكان سيدنا محمد يصطحبه معه الى حراء ويعلّمه كل يوم من اخلاقه.

▣ ان علياً (عليه السلام) بلغ من السمو والمنزلة ما جعله يرىٰ نور الوحي ويسمع رنّة الشيطان يوم يئس من عبادته.

▣ ان الله عز وجل قد امر سيدنا محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) بأن يقرّب علياً (عليه السلام) ويهتمّ بتربيته.

▣ ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يدعو الله ان يوفق علياً (عليه السلام) لحفظ كل ما يلقيه عليه من المعارف، وقد استجاب الله سبحانه دعاء النبي، فكان علي لا ينسىٰ شيئاً سمعه من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

▣ ان علياً (عليه السلام) كان دائم الاجتماع بسيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) والخلوة معه سواء في منزل النبي أو في منزله، حيث يسأله فيها عن العديد من القضايا وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يجيبه عنها، وربّما نفدت اسئلة علي فيبتدئه النبي الاكرم ويبيّن له علوم الاسلام.

▣ ان سيدنا محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يملي علىٰ علي (عليه الصلاة والسلام) الوحي مباشرة وكان علي يضبط الآيات بخطّه ويتعلم المحكم منها والمتشابه والناسخ والمنسوخ.

والخلاصة ان علياً (عليه السلام) استوعب وخلال تلك الفترة الطويلة كل العلوم والمعارف التي كان رسول الله يعلمه اياها.

علي جامع العلوم

ومن هنا، فقد كان للاستعداد الذاتي لعلي (عليه السلام) وعناية سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) به، الاثر البالغ في ان يكون علياً اعلم الخلق بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). **فلقد انتهل علمَ النبي علىٰ مدىٰ ثلاثة**

وعشرين سنة، والاحاديث التالية تؤكد هذه الحقيقة:

ـ قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ليهنئك العلم يا ابا الحسن، لقد شربت العلم شرباً ونهلته نهلاً[١].

ـ وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ايضاً: انا مدينة العلم وعلي بابها فمن اراد العلم فليأت الباب[٢].

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): يا علي انا مدينة العلم وانت بابها، كذب من زعم انه يصل الىٰ المدينة الا من قبل بابها[٣].

وعن سلمان انه (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: اعلم امتي من بعدي علي ابن ابي طالب[٤].

وعن انس بن مالك انه (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لعلي: انت تبين لامتي ما اختلفوا فيه بعدي[٥].

وعن ابي سعيد الخدري انه (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: ان اقضىٰ امتي علي بن ابي طالب[٦].

ومن هنا نرىٰ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد اودع علوم النبوّة والرسالة في مكان حصين ليكون مرجعاً للامة بعد رحيله (صلى الله عليه وآله).

التدوين

ومع علم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بان علياً لن ينسىٰ ما يتعلمه من احكام الدين وعلوم الرسالة وانه في مأمن عن الخطأ، فقد امره بالكتابة وتدوين ما يمليه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم). فعن علي بن ابي طالب (عليه السلام) قال: قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): يا علي: اكتب ما املي

---

(١) اسد الغابة، ج ٤، ص ٢٢.
(٢) ينابيع المودة، ص ٨٢.
(٣) المصدر السابق.
(٤) فرائد المسطين، ج ٢ ص ٩٧.
(٥) مستدرك الحاكم، ج ٣، ص ١٢٢.
(٦) مناقب الخوارزمي، ص ٣٩.

عليك. قلت: اتخاف علي النسيان؟ قال: «لا وقد دعوت الله عز وجل ان يجعلك حافظاً ولكن اكتب لشركائك الائمة من ولدك»[١].

وعن بكر بن كرب الصيرفي قال: سمعت أبا عبد الله (الصادق عليه السلام) يقول: «ان عندنا ما لا نحتاج معه الىٰ الناس وان الناس ليحتاجون الينا وان عندنا كتاباً من املاء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وخط علي، صحيفة فيها كل حلال وحرام، وانكم لتأتون بالامر فنعرف اذا اخذتم به و نعرف اذا تركتموه»[٢].

وعن عبد الله بن سنان عن ابي عبد الله قال: سمعته يقول: ان عندنا جلداً سبعون ذراعاً املىٰ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وخطه علي بيده، وان فيه جميع ما يحتاجون اليه حتىٰ ارش الخدش[٣].

واذن فقد كان التدوين قد تم بأمر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ونهض علي بمسؤوليته فاجتمع لديه ميراث كبير من العلوم المختلفة؛ كلّه من املاء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم). وبهذا اصبح علي المرجع المؤهل للمسلمين، فقرنه الرسول بالكتاب الكريم لأن علياً يمثل الذروة في اهل بيته (صلى الله عليه وآله وسلم).

لهذا نرىٰ علياً وبعد رحيل رسول الله ينهض بمسؤوليته في ارشاد الامة معتمداً حافظته القويّة وما لديه من املاء الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).

ولما استشهد علي (عليه السلام) أورث الصحيفة التي كانت لديه الىٰ سبط النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الحسن بن علي (عليه السلام) وهو الامام الثاني من ائمة اهل البيت (عليهم السلام).

---

(١) ينابيع المودة، ص ٢٢.
(٢) الكافي، ج ١، ص ٢٤١.
(٣) جامع احاديث الشيعة، ج ١، ص ١٠.

وهكذا كان الائمة (عليهم السلام) يتوارثون علم النبي (صلى الله عليه وآله).

عن جابر عن الامام ابي جعفر الباقر (عليه السلام) قال: يا جابر: «انا لو كنا نحدّثكم برأينا لكنّا من الهالكين ولكنا نحدّثكم باحاديث نكنزها عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، كما يكنز هؤلاء ذهبهم وفضتهم»[١].

وعن هشام بن سالم وحماد بن عثمان وغيره من الرواة قالوا: سمعنا أبا عبدالله يقول: حديثي حديث ابي وحديث ابي حديث جدّي وحديث جدّي حديث الحسين وحديث الحسين حديث الحسن وحديث الحسن حديث امير المؤمنين وحديث امير المؤمنين حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وحديث رسول الله قول الله عز وجل[٢].

يستفاد مما سبق ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ومن اجل الحفاظ على الشريعة واحكام الدين، قد اودع علوم النبوة لدىٰ اهل بيته لان الله طهرهم وعصمهم عن الخطأ والنسيان والذنوب.

وقد توارث ائمة اهل البيت علوم الرسالة رواية او كتاباً كان سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) قد املاه علىٰ علي (عليه السلام)؛ وهم في كل حال يعدّون من أوثق طرق نقل الحديث.

---

(١) جامع احاديث الشيعة ج ١ ص ١٣. (٢) الكافي، ج ١، ص ٥٣.

الاسئلة

١ ـ لماذا انتخب النبي أهل البيت (عليهم السلام) مستودعاً لعلوم النبوة، وهل كان ذلك بأمر الله ؟

٢ ـ لماذا كان علي اكثر الصحابة حديثاً عن رسول الله ؟

٣ ـ لماذا أمر سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) علياً بكتابة ما يمليه عليه ؟

٤ ـ الىٰ من يرجع المسلمون بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في معرفة احكام الدين ؟

العقل؛ المصدر الرابع

يمكن للعقل ان يأخذ دوره ليكون المصدر الرابع في معرفة الاحكام الدينية. فالعقل هو الميزة الكبرىٰ التي تجعل من الانسان كائناً ارقىٰ من الحيوانات.

فكل ما صنعه الانسان من حضارة ومدنية، من تقدّم في العلوم والكشوفات، من رقي في الفلسفة والفكر والاخلاق، في الفن واللغات،.. ان كل هذا يعود الىٰ دور العقل البشري. ولولاه لما تقدم الانسان خطوة واحدة. ولو سلب الانسان عقله لخسر كل شيء، فحياته اليومية ونشاطه الدائم انما يعود الى هذه القوة المدركة.

وفي الثقافة الاسلامية يحتلّ العقل منزلة رفيعة كقوة تعين الانسان في الكشف عن المعرفة الحقة،

ان الاسلام هو دين العقل والفكر والاستدلال، وما اكثر الآيات القرآنية المباركة التي تمجّد دور العقل وتدعو الىٰ التدبّر والتأمل، وتذّم الذين لا يعقلون. قال تعالىٰ:

ـ «ان في خلق السماوات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض

بعد موتها وبثّ فيها من كل دابّة وتصريف الرياح والسحاب المسخّر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون»[١].

ـ «وهو الذي انشأ لكم السمع والابصار والافئدة قليلاً ما تشكرون. وهو الذي ذرأكم في الارض واليه تحشرون. وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار افلا تعقلون؟»[٢].

كما نجد في الاحاديث ايضاً تقديراً لدور العقل، ودعوة الىٰ التفكير. فنجد في كتاب الكافي ـ مثلاً ـ باباً مستقلاً تحت عنوان «كتاب العقل والجهل» وفيه احاديث في هذا المضمار:

ـ عن عبد الله بن سنان عن ابي عبد الله (الصادق) قال: حجة الله علىٰ العباد النبي، والحجة فيما بين العباد وبين الله العقل [٣].

ـ وعن الصادق (عليه السلام) قال: العقل دليل المؤمن[٤].

والقرآن الكريم واضافة الىٰ دعوة الناس الىٰ التعقل والتدبّر فانه ينتهج الطريق ذاته في اقامة الدليل والبرهان، وكان سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) والائمة (عليهم السلام) من بعده يجادلون في دفع الشبهات بالتي هي احسن، بتوظيف العقل في اقامة الدليل مما حثت عليه الشريعة الاسلامية ورغبت فيه.

وعلىٰ هذا فان العقل دليل شرعي وواحد من مصادر المعرفة الدينية، فعن طريق العقل، والاستدلال به يمكن الكشف عن الحقائق.

ولاننسىٰ ان نذكر ان العقل لا يصيب دائماً عين الحقيقة فهو يخطئ الطريق احياناً، ولكن محدودية الخطأ في اعتماد العقل لا ينفي دوره الاساس ولا يسقط

---

(١) البقرة، الآية ١٦٤.
(٢) المؤمنون، الاتية ٨٧ ـ ٨٠.
(٣) الكافي، ج ١، ص ٢٥.
(٤) المصدر السابق.

حجيته في الكشف عن الواقع. واذا كان هناك خطأ ما في بعض الموارد فان ذلك يعود الىٰ طريقة الاستدلال، ومن هنا ظهر علم المنطق كطريق للكشف عن الاسلوب الصحيح في عملية التفكير. فالمنطق يحمي العقل من الوقوع في الخطأ.

مجالات العقل

العقل دليل امين في الكشف عن الواقعيات. هذا صحيح، وهو في هذا يمكن الاستناد اليه. ولكن ليس من الصحيح ان ننتظر من العقل ان يتدخل في كل شيء ويقيم عليه الدليل والبرهان، فاذا لم يكن ثمة دليل فان مصيره الرفض. فالاحكام العقلية تصدر في موارد خاصّة يمكن الاشارة اليها باختصار:

ـ اصول العقائد:

تنقسم العقائد الى طائفتين: اصول وفروع. ففي اصول العقائد يمكن الاستفادة من الادلة العقلية؛ من قبيل: اثبات وجود الله، توحيده وصفاته وكماله، وفي اثبات المعاد والحياة بعد الموت ونشر الموتىٰ للجزاء يوم القيامة، وضرورة الوحي وبعث الانبياء من اجل هداية البشرية، وضرورة عصمتهم، وايضاً في اثبات اصل الامامة وضرورة الامام في ديمومة طريق الانبياء، وعصمته وعلمه.

وينبغي ان ينهض الايمان في هذه المسائل علىٰ التدقيق في البراهين العقلية. فالاسلام لا يفرض الاعتقاد باصول الدين ابداً، وهو يدعو الىٰ اعتناق العقيدة عن طريق القناعة العقلية.

اما في فروع الدين فان العقل غالباً لا يجد طريقاً للاستدلال عليها، كعالَم البرزخ، وسؤال القبر وكيفية القيامة، والحساب والصراط والنعيم والجحيم وغير ذلك. فلا يمكن للعقل ان يستدل علىٰ هذه الحقائق أو يدركها، فالاعتقاد بهذه الامور ينبغي أن يتم بالاستناد الىٰ النصوص الشرعية المعتبرة، كما ان الايمان بها

ايضاً يكون بنفس هذا المستوىٰ، وكذا في مسائل اخرىٰ مثل السفاعة، ووجود الملائكة، والشياطين، وكيفية الوحي، وصفات النبي والامام، ففي مثل هذه المسائل لا وجود للاستدلالَ العقلي ولا هو لازم لها، انما نعتمد في ذلك النصوص الشرعية فقط.

ـ بعض الاحكام التكليفية

يمكن توظيف العقل في استنباط قسم من الاحكام التكليفية، ويمكن الاشارة الىٰ بعض موارد ذلك:

▣ المورد الاول:

استنباط الحكم الشرعي في موضوع استوفىٰ فلسفته القطعية للحكم، ولتوضيح هذه المسألة نسوق هذه المقدمة:

توجد لدىٰ اغلب المسلمين ـ وبالخصوص الامامية منهم ـ عقيدة كلامية تفيد بأن احكام الشريعة تابعة للمصالح الواقعية وانها نشأت عن سلسلة من المصالح او المفاسد الواقعية، فيقولون: ان كل ما اوجبه الشرع او نهىٰ عنه فان مصلحة ما استوجبت ذلك في الامر او النهي، وكذا في المكروهات أو المستحبات فان مصلحة راجحة في الائتمار، أو مفسدة ترجح الاجتناب لابد وأن تنطوي عليها. وهذه عقيدة كلامية نهضت الادلّة علىٰ اثباتها.

فمع افتراض صحة هذه العقيدة، فان القول فيما لو حكم الشرع في موضوع ما، ثم اوضح فلسفته للحكم، وكان للعقل نفس الحكمة في موضوع آخر، حكم في الموضوع الثاني بأنه له نفس ذلك الحكم، وان الشرع في الواقع له نفس هذا الحكم وأنه لم يصلنا.

فمثلاً يقول الشرع: لا تشرب الخمر لانه مسكر، فالخمر حرام لانه مسكر، فاذا وجد العقل في شراب آخر نفس هذه الخاصّية وهو السكر في النبيذ حكم

بان النبيذ حرام ايضاً، والقاعدة هنا: كلما حكم به العقل حكم به الشرع، واذن فالشريعة تحرّم النبيذ وان لم يصلنا حكمها بذلك.

وعندما يجد العقل في فعل ما مفسدة توجب الاجتناب، حكم بحرمة ارتكاب هذا الفعل. والقاعدة ايضاً: كلما حكم به العقل حكم به الشرع.

فالشرع لا يفوّت المصلحة علىٰ العباد؛ فاذا ادرك العقل ان تناول الموادّ المخدّرة مثل الهيروئين سيؤدي الىٰ مفاسد اجتماعية خطيرة أوجب عند ذلك اجتنابها، وحكم بحرمة ارتكاب هذا العمل، وذلك انطلاقاً من القاعدة «كلما حكم به العقل حكم به الشرع»، وعندها يكون الحكم الشرعي هو حرمه التناول أو الادمان علىٰ الموادّ المخدّرة؛ ومن هنا يصبح جزءاً من الاحكام الشرعية وان لم يطرق في وقته، لان الله عز وجل يريد الخير لعباده، وانه لا يدع عملاً ينطوي علىٰ مفسدة دون حكم.

وفي هذا الاطار يمكن لاحكام العقل أن تتوصل الىٰ اكتشاف الحكم الشرعي حيث يقوم العقل باستنباط حكم الشريعة.

وفي هذا المجال يتوجب الاشارة الىٰ نقطة هامّة وهي ان العقل يتحرك فيما لو اكتشف العلّة الواقعية للحكم، التي تضافرت الادلة الشرعية علىٰ تأييده، أو في وجود مصلحة توجبه أو مفسدة تلزم اجتنابه، وفي غير ذلك (أي في حالة القياس، أو الاستحسان العقلي) فان ذلك لا يمثل حكم الشريعة.

وعلىٰ كل حال فان عملية الاستنباط يقوم بها علماء مختصّون؛ وهم الفقهاء العارفون بزمانهم ممن يدركون المصالح والمفاسد.

▣ المورد الثاني:

التزاحم بين واجبين، فمثلاً لو ضاق وقت اداء الصلاة حتىٰ لم يبق منه الا لحظات، وصادف ذلك ان تعرّض انسان للغرق. وهنا يتزاحم واجبان في وقت

واحد: اداء الصلاة، وانقاذ نفس من الموت، ولما استحال الجمع بين الواجبين تعيّن اختيار احدهما، وهنا يتدخل العقل فيقدم انقاذ الغريق لأن ذلك اهم من الصلاة، ونجاة الانسان أولىٰ من فوت الصلاة.

▣ المورد الثالث:

وجوب اعداد مقدمات العمل الواجب. فاذا أوجب الشرع اداء عمل واجب، حكم العقل علىٰ المكلف ان يعدّ مقدمات ذلك الواجب، حتىٰ يتسنىٰ له اداؤه فمثلاً: اذا وجب علىٰ المكلف اداء الحج، حكم العقل بوجوب اعداد مقدّمات السفر لكي يتشرف بزيارة مكة واداء مراسم الحج، بالرغم من ان الشرع لم يذكر وجوبها في حكم خاص، وغير ذلك من الموارد التي بحثتها كتب الفقه والاصول.

ومن هنا يتضح لنا ان العقل هو الآخر من مصادر التشريع في الاسلام. سواء في اصول العقائد، كحجة واضحة، وفي بعض الموارد حيث يقوم العقل بدور الاستنباط واكتشاف الحكم الشرعي.

الاسئلة

١ ـ ما هي ميزة الانسان؟

٢ ـ ما هو دور العقل في تكامل الانسان؟

٣ ـ ما هو رأي الاسلام في العقل؟

٤ ـ ما هي منزلة العقل في ضوء القرآن؟

٥ ـ اذكر حديث الصادق (عليه السلام) حول العقل؟

٦ ـ من اين تنشأ الاخطاء في احكام العقل؟

٧ ـ كيف يمكن توظيف العقل في استنباط الاحكام الفرعية؟

٨ ـ ما هي قاعدة الملازمة العقلية؟

٩ ـ من هم الذين يمكنهم استنباط الحكم الشرعي من الحكم العقلي؟.

الاجتهاد والتقليد

يعني الاجتهاد ـ في اللغة ـ : السعي والجد وبذل الجهد. واصطلاحاً، يعبّر عن: بذل الجهد في استنباط الحكم الشرعي من مصادره الشرعية كالقرآن والسنة واحاديث الائمة المعصومين، والعقل.

وعلىٰ هذا فهو ليس من مصادر التشريع ولكنه اداة لاستنباط الحكم الشرعي.

فلم يكن الاجتهاد بصورته الفعلية اليوم موجوداً في زمان **سيدنا محمد** (صلى الله عليه وآله وسلم) ولم تكن هناك حاجة له، فالمسلمون مستغنون عنه بوجود رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والاتصال به مباشرة، وكانوا يسألونه فيجيب، وكان عهده هو عهد التشريع.

وفي عهد الامامة الذي بدأ بعد رحيل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وحتىٰ وفاة الامام الحسن العسكري (عليه السلام) سنة ٢٦٠ هـ، لم يكن هناك من ضرورة للاجتهاد، فالائمة هم حملة علم النبي وأولهم علي (عليه السلام) وكانوا يعيشون بين الناس، وكان الناس يتصلون بهم مباشرة أو مكاتبة أو من خلال وسطاء، وعهدهم هو عهد الامامة، والائمة ورثة علوم النبوّة، وكانوا امناء عليها يسعون في نشرها، وقاموا مع اصحابهم في نشر معارف

الاسلام، فنشأ من خلال ذلك ثقافة شيعية حافلة بالمعارف الاسلامية، وأُلفت اثر ذلك مئات الكتب في شتىٰ المواضيع؛ خاصّة في عهد الامامين الباقر والصادق عليهما السلام، حيث أضحت المدينة المنورة مدرسة كبرىٰ تدرس فيها مختلف العلوم الدينية ومركز اشعاع يمدّ أتباع اهل البيت بالمعرفة الاسلامية، فتخرّج ببركتها آلاف العلماء الذين بذلوا جهدهم في نشر علوم أهل البيت (عليهم السلام).

وعلىٰ هذا فلم تكن للشيعة حاجة الىٰ الاجتهاد، علماً بأنه قد نبغ من بين اصحاب الائمة رواة كبار كانت لهم القدرة علىٰ الاجتهاد واستنباط الاحكام؛ وكانو بذلك فقهاء ومراجع في الفتيا، ولهم رأي بين اصحاب الحديث؛ من قبيل: يونس بن عبد الرحمن، وزرارة[١].

وكان الائمة يشجعونهم ويبذلون لهم انواع الدعم الادبي، فعندما جاء رجل **شامي يطلب** المناظرة مع الامام الصادق في الفقه اشار الامام علىٰ زرارة ان **يناظره في ذلك**[٢].

كما ان الامام الباقر (عليه السلام) كان قد امر ابان بن تغلب ان يجلس في مسجد المدينة ويفتي الناس قائلاً له: «اجلس في مسجد المدينة وافت الناس فاني احب ان يرىٰ في شيعتي مثلك»[٣].

وعن الامام الصادق (عليه السلام) قال: «انما علينا ان نلقي اليكم الاصول وعليكم ان تفرّعوا»[٤].

ومن هنا يتبين ان الائمة كانوا يرون ضرورة التفقه، ومن خلال سعيهم وسعي اصحابهم ظهر جمع من الفقهاء والمجتهدين؛ كانت لهم كتب في الفقه،

---

(١) الكافي، ج ٧، ص ٨٣.
(٢) قاموس الرجال، ج ٤، ص ١٥٦.
(٣) المصدر السابق، ج ١ ص ٧٣.
(٤) الوسائل، ج ١٨، ص ٤١.

وكانوا يجيبون عن اسئلة الناس، ووردت اسماؤهم واسماء كتبهم في فهرست ابن النديم[١].

وبالرغم من بروز علماء وفقهاء وصلوا مرحلة الاجتهاد والافتاء، وكانوا في كل ذلك يصدرون عن ائمة أهل البيت (عليهم السلام) فان ذلك لم يمنع من اتصال الناس بالائمة مباشرة وكانوا يجعلون لذلك الأولوية.

وفي زمن الغيبة الصغرىٰ التي بدأت بوفاة الامام الحسن العسكري سنة ٢٦٠ هـ، وانتهت بوفاة آخر سفير للامام المهدي وذلك ٣٢٩ هـ، اختلف وضع الشيعة. ويعود ذلك الىٰ ناحيتين؛ الاولىٰ: ازدياد نسبة التشيع لمذهب اهل البيت (عليهم السلام)، والثانية: تغيّر الظروف العامة للناس وبروز مسائل جديدة تتطلب أجوبة ضرورية.

وفي مثل هذه الظروف اضطر الامام الثاني عشر الىٰ الاختفاء عن الانظار والاتصال بأتباعه عبر سفرائه الاربعة الذين كانوا يُعيّنون للسفارة بانتخاب منه (عليه السلام)، ولم يكن هذا النوع من الاتصال بالناس ليغطي المتطلبات **العلمية** المتنوعة للشيعة.

وفي هذه الفترة برزت الحاجة الىٰ علماء وفقهاء كبار يملأون بعلمهم واجتهادهم الفراغ الذي نجم عن غياب الامام المهدي. وهكذا بدأت حركة الاجتهاد علىٰ نطاق واسع من خلال الغوص في المعارف القرآنية ومعطيات الاحاديث النبويّة الشريفة وأخبار أهل البيت (عليهم السلام) واستخراج الحكم الشرعي للعديد من المسائل الملحة، وتصديهم الىٰ قيادة الكيان الشيعي والدفاع عنه فكرياً، ولقد كان لهذا ضرورة حياتية للمجتمع الشيعي الفتيّ.

ويعدّ علي بن الحسين بن موسىٰ بن بابويه القمي في طليعة كبار العلماء

---

(١) فهرست ابن النديم، ص ٣١٧ ـ ٣٢٨.

الاوائل الذين ظهروا ابّان عصر الغيبة، فقد وُلد ابن بابويه مع مطلع الغيبة وواكب ثلاثة من سفراء الامام والتقىٰ خلال ذلك السفير الثالث سنة ٣٢٨ ، وتوفي في مدينة قم سنة ٣٢٩ ومايزال قبره هناك. ولقد كان في عهده واحداً من مراجع الدين الكبار ومن ابرز الشخصيات العلمية، وله مؤلفات عديدة؛ في طليعتها: كتاب الشرائع في الفقه، وقدّم خدمات كبرىٰ للوجود الشيعي[١].

واعقب ذلك ابنه محمد بن علي المعروف بالشيخ الصدوق، وكان من فقهاء الشيعة ومراجعها، وله مؤلفات كثيرة في الفقه ايضاً؛ منها: «المقنع» و «من لا يحضره الفقيه». وقد عاش في مدينة قم ودرّس مدّة في بغداد ثم انتقل الىٰ الري في أخريات عمره حيث توفي هناك حيث قبره الآن[٢].

وكان هذان الفقيهان يعتمدان الاجتهاد اكثر من الاحاديث. وبرز فقيه آخر في أواخر الغيبة الصغرىٰ وبداية الغيبة الكبرىٰ وهو الحسن بن علي بن ابي عقيل **العماني**، الذي يعدّ احد ابرز كبار العلماء والفقهاء وقد تصدّى للمرجعية العلمية **فأسهم من** خلال قلمه وفكره في نشر علوم اهل البيت (عليهم السلام) وقدم في ذلك خدمات كبرىٰ. من مؤلفاته: كتاب «المستمسك بحبل آل الرسول».

ويأتي بعده محمد بن احمد بن جنيد الاسكافي الذي عاش في مطلع الغيبة الكبرىٰ، ويقال انه ادرك أخريات الغيبة الصغرىٰ، وكان من علماء وفقهاء القرن الرابع الهجري. توفي سنة ٣٨١ وترك مؤلفات عديدة في مختلف العلوم، ومن كتبه الفقهية: «تهذيب الشيعة لاحكام الشريعة» وهو دورة كاملة في الفقه تقع في عشرين جزءا»[٣].

وقد تتبع ابن جنيد خطىٰ العماني في طريقته لاستنباط الاحكام، ويعدّ

---

(١) بهجة المقال، ج ٥، ص ٤١٦.
(٢) المصدر السابق، ج ٦، ص ٤٩٥.
(٣) المصدر السابق، ص ٢٤١ ـ ٢٥٠.

كلاهما من مؤسسي الاجتهاد الصحيح. وكانا يوظّفان العقل في الاستنباط ويحيطان بالمسألة من جميع جوانبها[١].

وجاء «المفيد» (٣٣٦ ـ ٣٨١ هـ.) وهو من ابرز تلامذة ابن جنيد ليستكمل هذا الطريق. و«المقنعة» واحد من مؤلفات الشيخ المفيد التي سلمت من نوائب الزمان ووصلت الينا.

وتلا ذلك ظهور السيد المرتضىٰ (المتوفى سنة ٤٣٦). وله في هذا المضمار كتاب «المراسم» وقد ألّفه علىٰ ضوء الاجتهاد الصحيح.

ويحتل شيخ الطائفة «محمد بن الحسن الطوسي»، وهو من ابرز تلامذة المفيد والسيد المرتضىٰ، منزله رفيعة بين كل هؤلاء في اصلاح واستكمال طريقة الاجتهاد، وكان له في ذلك خطوات هامّة. مكث مدّة ٢٣ سنة متتلمذا علىٰ يدي المفيد والمرتضىٰ. وبعد وفاة الاخير تصدّىٰ الىٰ زعامة الشيعة والمرجعية العلمية، وفي عهده اجتاح السلاحقة بغداد وارتكبوا اعمالاً مؤسفة من قبيل احراق الكتب بما في ذلك مكتبته الخاصّة فاضطر الىٰ الهجرة الىٰ النجف التي شهدت اثر هجرته اليها نشوء الحوزة العلمية هناك. له مؤلفات عديدة منها: «الخلاف»، «التذكرة»، «المبسوط» وهي من كتب الفقه المشهورة، ويعدّ الطوسي اوّل من دوّن واستخرج المسائل بطريقة الاستدلال.

واعقب الطوسي علماء كبار كان لهم دور بارز في تدوين علم الاصول الذي يعدّ من مباني الاستنباط، وقد استغرق ذلك سنو ت طويلة الىٰ أن وصل الاجتهاد الىٰ ما هو عليه اليوم.

شروط الاجتهاد:

مرّ علم الاصول بمراحل تكاملية عديدة حتىٰ وصل الىٰ وضعه الحالي،

---

(١) بهجة المقال، ج ٣، ص ١٥٠ ـ ١٥٤ و ج ٦، ص ٢٤١ ـ ٢٥٠.

ومن هنا فان الاجتهاد واستنباط الاحكام عمل صعب ومسؤولية كبيرة وهو يتطلب استعداداً وقابليات وسعياً متواصلاً.

وشروط المجتهد ان يكون:

■ محيطاً بالعلوم التي تدخل في عملية الاستنباط ومتخصصاً فيها؛ من قبيل: اللغة العربية وآدابها، علم الدراية، علم الحديث، علم الرجال الذي يبحث في وثاقة الرواة، التفسير خاصّة في آيات الاحكام، الفهم الكامل لاحاديث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والائمة المعصومين (عليهم السلام).

■ لديه الالمام الكافي باصول الدين ومباني الاحكام.

■ فطناً حرّاً في فكره وشجاعاً في اظهار رأيه.

■ عالماً بشؤون عصره وتأثير ذلك في حياة الافراد والمجتمعات وفي سياسة واقتصاد الامة.

■ محيطاً احاطة كاملة بكل ابواب الفقه، وكتبه بما في ذلك فقه المذاهب الاربعة الاخرىٰ.

وفرد كهذا يحوز كل هذه الشروط، تكون له القدرة علىٰ استنباط الاحكام الشرعية والاجتهاد فيها.

فالمجتهد يعدّ في الحقيقة خبيراً بشؤون الاسلام. فهو يدرك كل التغيّرات العالمية وتأثيراتها علىٰ حياة الافراد والمجتمعات اخلاقياً وثقافياً، سياسياً واقتصادياً، والمشكلات والقضايا التي تنجم عنها. فهو يعيش عصره ومن ثم يبين حكم الله من خلال ذلك معتمداً المصادر الشرعية في التشريع واستنباط واستخراج حكم الشريعة والحلول المشروعة والمناسبة، فهو يهتم بمصير امته وسعادتها في الدنيا والآخرة.

وهو يمثل رمز الامة، وقائدها نحو الحق وسدّها المنيع امام الانحرافات

والبدع، والمؤامرات التي يحوكها اعداء الاسلام.

وبهذا يكون الفقيه الحق دليلاً للامة الىٰ واضح الطريق وتجد الامة فيه استمراراً لتداوم الشريعة ومواكبتها لمتطلبات العصر وجديد المسائل؛ وهو بالتالي يجسّد خلود الاسلام وحيويته في وراثته للانبياء والائمة الطاهرين.

عن الامام الصادق عليه السلام قال: «العالم بزمانه، لا تهجم عليه اللوابس»[1].

وعن علي بن حمزة قال: سمعت ابا الحسن موسىٰ بن جعفر عليه السلام يقول: اذا مات المؤمن بكت عليه الملائكة وبقاع الارض التي كان يعبد الله عليها وابواب السماء التي كان يصعد فيها باعماله وثلم في الاسلام ثلمة لا يسدّها شيء، لان المؤمنين الفقهاء حصون الاسلام كحصن سور المدينة لها[2].

التقليد

يعني التقليد اتباع الفقيه واخذ احكام الدين عنه، ولان المجتهد متخصص في استنباط احكام الدين في ضوء الادلة المعتبرة، وهو بذلك خبير في هذا الحقل، فان علىٰ غيره ممن يريدون معرفة الحكم الشرعي في مسألة ما ان يرجعوا اليه، ذلك أن مراجعه اهل الخبرة في كل فن امر عقلائي، فالمريض يراجع الطبيب، والطالب يرجع الىٰ استاذه والفلاح الىٰ المهندس الزراعي وهكذا.

---

(١) الكافي، ج ١، ص ٢٦.

(٢) الكافي، ج ١، ص ٣٨.

الاسئلة

١ ـ ما معنىٰ الاجتهاد اصطلاحاً؟

٢ ـ لماذا لم تكن هناك حاجة للاجتهاد في زمن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)؟

٣ ـ ماذا قال الباقر (عليه السلام) لابان بن تغلب؟

٤ ـ كيف كانت الاوضاع في زمن الغيبة الصغرىٰ ولماذا برزت الحاجة للفقهاء؟

٥ ـ ماهي شروط الاجتهاد؟

٦ ـ كيف يسهم الفقيه في مسألة تداوم احكام الدين؟

القسم السابع

اصول وفروع الدين

اصول الدين والعقائد

تنقسم قضايا الاسلام الىٰ مجموعتين: الاصول والفروع. كما يطلق علىٰ اصول الدين العقائد وعلىٰ الفروع الواجبات، فالفروع ما يجب وما لا يجب في الدين وهذه بدورها تنقسم الىٰ ثلاثة اقسام: الاخلاق، العبادات، الاحكام أو القوانين غير العبادية وتسمىٰ ايضاً المعاملات وسنبحثها فيما بعد.

اصول الدين

تعدّ اصول الدين من دعائم الاسلام والايمان وبها يتحقق وهي عبارة عن: الايمان بالله، الايمان بالمعاد والحياة بعد الموت، والايمان بالوحي ونبوّة سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وهذا ما تتفق عليه المذاهب الخمسة. وللشيعة الامامية اصل آخر يعتقدون به وهو الامامة وعدّ من اصول المذهب.

الاصول هي اساس الاسلام، وروح العالم، ومن خلال ذلك يشعر الانسان بمسؤوليته امام خالق العالم.

والتكاليف الالهية انما جاء بها الانبياء من اجل سعادة الانسان في الدنيا والآخرة، وهي بذلك تنهض علىٰ صرح العقائد، وهي تستمد قوّتها من ذلك النبع.

تنقسم المسائل الاعتقادية الىٰ قسمين: اصول العقائد، وفروع العقائد. فالاصول ما يتحقق بتصديقها الاسلام والايمان من قبيل: وجود الله وتوحيده، المعاد والحياة بعد الموت، ونبوّة سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

اما فروع العقائد فتنشعب عن الاصول وهي من قبيل اسماء الله وصفاته وكيفية الحياة بعد الموت وعالم البرزخ، وسؤال القبر وكيفية البعث والحساب والميزان والصراط ومسائل اخرىٰ مثل الجبر والاختيار، القضاء والقدر، البداء، الشفاعة وغيرها.

دور العقائد في اسعاد الانسان

لاصول الدين دور في سعادة الانسان فهي:

■ النبع الذي يستقي منه الانسان واجباته وما يتعين عليه اداؤه في الحياة ويحدد رؤيته الىٰ الكون.

■ الطريق الىٰ اكتساب المعرفة وادراك الحقائق وبالخصوص معرفة الخالق، وهو من افضل العبادات، والطريق الىٰ تكامل النفس والتقرّب من الله.

ومن هنا جعل القرآن للمعرفة قيمة عليا وعدّها عبادة.

قال تعالىٰ: «الله الذي خلق سبع سماوات ومن الارض مثلهن. يتنزّل الامر بينهن لتعلموا ان الله علىٰ كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علماً»[1].

«يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير»[2].

وعن امير المؤمنين (عليه السلام): يا مؤمن ان هذا العلم والادب ثمن نفسك فاجتهد في تعلمها فما يزيد من علمك وادبك يزيد في ثمنك وقدرك. فان

---

(١) الطلاق، الآية ١٢.

(٢) المجادلة، الآية ١١.

بالعمل تهتدي الىٰ ربّك وبالادب تحسن خدمة ربك وبادب الخدمة يستوجب العبد ولايته وقربه، فاقبل النصيحة كي تنجو من العذاب»[١].

وقال الصادق (عليه السلام): افضل العبادة العلم بالله والتواضع له[٢].

وعن هشام بن الحكم عن ابي الحسن موسىٰ بن جعفر (عليه السلام) في حديث له قال: يا هشام ما بعث الله انبياءه ورسله الىٰ عباده الا ليعقلوا عن الله، فاحسنهم استجابة احسنهم معرفة، واعلمهم بامر الله احسنهم عقلاً، واكملهم عقلاً ارفعهم درجة في الدنيا والآخرة[٣].

طرق المعرفة

يعتبر الاسلام الحصول علىٰ المعرفة وكسب اليقين امراً ممكنا للانسان ومن هنا نجد القرآن الكريم يحث وفي كثير من آياته علىٰ التأمل والتدبر في عجائب الخلق في السماوات والارض، وما فيها من نجوم وجبال وحيوان ونبات، ولو كان ذلك امراً غير ممكن لكانت الدعوة اليه مجرّد لغو لا معنىٰ له.

ومن الضروري الاشارة الىٰ ادوات كسب المعرفة وهي:

■ **الحواس الخمس:**

وهي الابصار، السمع، الذوق، الشم واللمس. فمن خلال هذه الحواس يرتبط الانسان مع العالم، وبواسطتها يدرك ما يجري حوله، وذلك فيما يخص العالم المادّي امّا الاشياء المجردة فان الحواس تبقىٰ عاجزة عن ادراكها، فالحواس لا يمكن ان تدرك الملائكة او الله سبحانه وتعالىٰ، ولكن الاثر يدلّ علىٰ المؤثر.والعالم بما يزخر به من مادّيات هو آثار يمكن من خلالها معرفة

---

(١) بحار الانوار، ج ١، ص ١٨٠.
(٢) تحف العقول، ص ٣٨٣.
(٣) الكافي، ج ١، ص ١٦.

المؤثر وهو الخالق عز وجل.

■ **العقل:**

ويعدّ من اعظم الوسائل في ادراك الحقائق، فالعقل وهو مجال التفكير واقامة البراهين. والقرآن الكريم حافل بالآيات التي تدعو الانسان الىٰ ان يتفكر في خلق السماوات والارض كطريق لمعرفة الخالق وعلمه وقدرته.

ـ «قل انظروا ماذا في السموات والارض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون». .

ـ «افلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لا تعمىٰ الابصار ولكن تعمىٰ القلوب التي الصدور»[٢].

ـ «لو كان فيهما آلهة الّا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون»[٣].

ـ «فما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذاً لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم علىٰ بعض سبحان الله عما يصفون»[٤].

وفي هذه الآيات دعوة للتأمل وإعمال العقل في التفكير والتدبّر مع اقامة البراهين والادلّة واثارته للتحرك من اجل معرفة الخالق سبحانه.

ولقد كان سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) والائمة من أهل بيته (عليهم السلام) من أهل الاستدلال، وكانوا يقيمون البراهين لاثبات اصول الدين، ولم يكونوا من الذين يلجمون الآخرين بل كانوا يسعون الىٰ مجادلتهم بالتي هي احسن ويستدلّون علىٰ آرائهم وعقائدهم لاثبات الحق ودحض الاباطيل.

---

(١) يونس، الآية ١٠١.
(٢) الحج، الآية ٤٦.
(٣) الانبياء، الآية ٢٢.
(٤) المؤمنون، الآية ٩١.

ومن هنا يمكن القول بأن الدين الاسلامي هو دين المنطق والدليل، يحتل العقل فيه منزلة رفيعة لأنه الطريق لاكتشاف الحق ومن ثم اتّباعه.

■ تزكية النفس وصفاء الباطن

ومن طرق المعرفة وادراك بعض الحقائق هو تزكية النفس وتهذيبها، وصفاء باطن الانسان، وقد قيل: ان النفس جوهرة ملكوتية مجرّدة عن المادّة ولها القابلية علىٰ ادراك بعض حقائق العالم دون اعمال للعقل والاستدلال، وان الذنوب والآثام والانشداد الىٰ المادّيات هو الذي يجعلها عاجزة عن الادراك. فاذا اتقىٰ الانسان ربّه واجتنب الاثم وامتنع عن ارتكاب الذنوب وخفف من انشداده الىٰ المادة وعبد الله عزّ وجل، تسامت نفسه وامتلأت بالنور روحه، وفي هذه الحالة يدركها لطف الله عزّ وجل وتكون مستعدة لتلقي الفيض الالهي، وهذه طائفة من الآيات والاحاديث التي تشير الىٰ ذلك:

قال تعالىٰ: «ونفس وما سوّاها. فألهمها فجورها وتقواها. قد افلح من زكاها. وقد خاب من دسّاها»[١].

وقال عزّ وجل: «يا ايها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ويكفّر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم»[٢].

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «وما اخلص عبد اربعين صباحاً الا جرت ينابيع الحكمة من قلبه الىٰ لسانه»[٣].

وقال امير المؤمنين علي (عليه السلام): قلوب العباد الطاهرة مواضع نظر الله سبحانه فمن طهر قلبه نظر الله اليه»[٤].

---

(١) الشمس، الآيات ٧ ـ ١٠.
(٢) الانفال، الآية ٢٩.
(٣) البحار، ج ٧٠، ص ٢٤٢.
(٤) غرر الحكم، ص ٥٣٨.

وقال ايضاً: طوبىٰ لمن اخلص لله العبادة والدعاء ولم يشغل قلبه بما ترىٰ عيناه ولم ينس ذكر الله بما تسمع اذناه ولم يحزن صدره بما اعطىٰ غيره[١].

وقالت فاطمة الزهراء (عليها السلام): من اصعد الىٰ الله خالص عبادته اهبط الله اليه افضل مصلحته»[٢].

وهذه الآيات والاحاديث تؤكد ان طريق المعرفة لا ينحصر بالاستدلال فقط وان هناك طريقاً آخر يتجلىٰ في تزكية النفس وتهذيبها والتخلق بالاخلاق الحسنة والعبادة لله عزّ وجل. وما اكثر الذين عبدوا الله سبحانه حق عبادته واخلصوا اليه انفسهم فتفجرت ينابيع الحكمة في قلوبهم، فالنفس تحتاج الىٰ من بهذبها ويزكيها لتصفو وتكون أهلاً لتلقي الفيض الالهي.

■ اخبار الانبياء والائمة المعصومين

بالرغم من دعوة الاسلام للناس الىٰ التفكر والتأمل وإعمال العقل للاستدلال واقامة البرهان، غير ان الانبياء (عليهم السلام) لم يكونوا دائما وعندما يبشرون بالحقائق ليقيموا عليها البراهين خلال دعوتهم، بل كانوا يستثمرون ثقة الناس بهم وبصدق سريرتهم واستقامتهم في الاخلاق. ومن خلال ذلك كان اغلب الناس يؤمنون بحقائق الغيب ايماناً يقينياً دون المطالبة بالدليل والبرهان، ولهذا كانت سيرتهم المثلىٰ واجتنابهم الكذب وأمانتهم هي التي جعلت اغلب الناس يصدقون برسالاتهم.

ولقد كان سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وقبل أن يبعثه الله رسولاً معروفاً بالصادق الامين، فلما قال للناس: ان الله واحد لا شريك له، وان الله يحيي الموتىٰ يوم القيامة فيحاسب المسيء ويثيب المحسن آمنوا به وصدّقوه دون ان يقيم لذلك ذليلاً. ولم يكن ايمان هؤلاء مهزوزاً بل كان ايماناً عميقاً وكان

---

(١) البحار، ج ٧٠، ص ٢٢٩.

(٢) البحار، ج ٧٠، ص ٢٤٩.

أقوىٰ من ايمان الذين آمنوا عن طريق الدليل والبرهان.

فهؤلاء نهض ايمانهم علىٰ ثقتهم برسول الله أولاً فصدّقوا ماجاء به، ومن هنا يمكن ان يكون ذلك طريقاً لكسب المعرفة والعلم.

■ **تلقين الآباء**

يقوم ايمان الكثير من الناس علىٰ اساس تلقين من الآباء والامهات والمعلمين. فالطفل يسمع كلمة (الله) من والديه ومن معلمه، ثم يتعرف علىٰ اصول الدين بشكل مبسط، فيحفظها عن ظهر قلب، ويتعلم الصلاة والوضوء وقراءة بعض سور القرآن وحفظها، فينشأ الطفل وهو في احضان الايمان بالله ويوم القيامة، كما ان مطالعة الكتب الدينية تعزز من الايمان وتجذّره في النفوس، وتخلق في الاعماق حالة من الطمأنينة والصفاء.

وعندما يكبر الاطفال ويصبحون رجالاً تنتاب بعضَهم الشكوك فيبحثون عن الدليل الذي يقوّي ايمانهم ويحمي عقيدتهم.

والايمان لدىٰ اكثر الناس ينهض علىٰ اساس ما تلقّوه في صغرهم من مبادئ وافكار؛ وهو أمر لا غبار عليه، مع أن الايمان الذي ينهض **علىٰ الدليل** اكثر ثباتاً وعمقاً من غيره.

ومن هنا يتعين علىٰ المرء اذا حامت الشكوك حول اصل من اصول دينه ان يبحث ويحقق ويُعمل عقله بالتفكير ليطرد ظلام الشك بنور الادلة ويستقر ايمانه علىٰ اساس ثابت.

وما مرّ ذكره عن وجوب التحقيق والبحث والاستدلال حتى حصول اليقين يخصّ اصول العقائد فقط، اما العقائد الفرعية فيكفي فيها الدليل الظني الذي يأتي عن خبر الواحد، مع التأكيد علىٰ ارجحية الدليل القطعي حتى في العقائد الفرعية.

الاسئلة

١ ـ ما هي الاصول في العقائد وما هي فروع العقائد؟

٢ ـ ما هو دور اصول الدين في سعادة الانسان؟

٣ ـ بيّـن طرق المعرفة.

٤ ـ ما هو رأي القرآن في الاستدلال العقلي؟

٥ ـ ماذا يجب علىٰ الانسان لو شك في عقائده؟

٦ ـ متىٰ يصحّ الاكتفاء بالادلة الظنية؟

الاخلاق في الاسلام

الاخلاق جمع خُلق، وهو سجية، وصفة راسخة في النفس. يقول المرحوم الفيض الكاشاني في تعريفه للاخلاق بأنها ملكة في نفس الانسان راسخة فتصدر الافعال عنها دون حاجة الىٰ تفكير او تأمل، فان كانت الافعال الصادرة مرضية شرعاً وعقلاً كانت اخلاقاً حسنة، وان كانت افعالاً سيئة كانت اخلاقاً سيئة[1].

وقد يعني الخلق الاعمال الحسنة مطلقاً كالصدق والاستقامة **والعفو**، رعكسه: الكذب والخيانة والبخل.

وقال العلماء في تعريف الاخلاق بأنها افعال أو صفات يستحسنها العقل السليم أو يقبحها، وفي هذا الجانب تشترك الانسانية في كل زمان ومكان علىٰ ما هو سيئ وحسن. فالفعل الاخلاقي عمل يشعر العقل السليم بحسنه ويعدّه من صميم الانسانية وينبغي التحلّي به، أو يدرك قبحه ويعدّه متنافياً مع الانسانية وينبغي تركه.

وللاخلاق في الاسلام منزلة رفيعة، فالتخلّق بالاخلاق الحسنة وتجنب الاخلاق السيئة من علامات الكمال. وان الانسان يقاس بمكارم اخلاقه، وقد

---

(١) الحقائق، ص ٥٤.

قال سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم): «انما بعثت لأتمّم مكارم الاخلاق»[١]. وقال تعالىٰ: «لقد منّ الله علىٰ المؤمنين اذ بعث فيهم رسولاً من انفسهم يتلو عليهم آياته ويزكّيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين»[٢].

وقال سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم): عليكم بمكارم الاخلاق فان الله عزّ وجل بعثني بها[٣].

وعن الباقر (عليه السلام) قال: ان اكمل المؤمنين ايماناً أحسنهم خلقاً[٤].

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ما يوضع في ميزان امرئ يوم القيامة افضل من حسن الخلق[٥].

وقال الامام الصادق (عليه السلام): ان الله تبارك وتعالىٰ ليعطي العبد من الثواب علىٰ حسن الخلق كما يعطي المجاهد في سبيل الله يغدو عليه ويروح[٦].

وعن سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله) قال: حسن الخلق نصف الدين[٧].

لقد أولىٰ الاسلام اهمية فائقة للخلق الكريم وأكّد علىٰ تزكية النفس وتربيتها وتهذيبها، وتؤلف الآيات في الاخلاق مساحة واسعة من القرآن الكريم، بل ان القصص القرآني عادة ما تختتم باثارة مسألة اخلاقية.

ثم تأتي احاديث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والائمة من بعده لتصب في ذات الاتجاه، فهناك تأكيد علىٰ الخلق الحسن، وتحذير من الخلق السيئ، وهناك الثواب الجزيل للحسن، والعقاب الوبيل للسيئ، وهي لا تقل في ذلك شأناً من الواجبات أو المحرّمات.

---

(١) مستدرك الوسائل، ج ٢، ص ٢٨٢.
(٢) آل عمران، الآية ١٦٤.
(٣) بحار الانوار، ج ٦٩، ص ٣٧٥.
(٤) الكافي، ج ٢، ص ٩٩.
(٥) الكافي، ج ٢، ص ٩٩.
(٦) الكافي، ج ٢، ص ١٠٠.
(٧) مشكاة الانوار، ص ٢٢٣.

واذا كان هناك تأكيد علىٰ الاخلاق الحسنة فلأنها الطريق الىٰ تهذيب النفس وتكاملها والقربىٰ من الله عزّ وجل، وبالعكس تكون الاخلاق السيئة سبباً في انحدار النفس وانحطاطها وابتعادها عن الله سبحانه.

ومن هنا يتوجب جعل الاخلاق رديفاً للاحكام أو مقدمة عليها. ولا مكان للتعلّل في اهمال الاوامر الاخلاقية بأي ذريعة كانت.

لقد اكدت الرسالات السماوية وكل الانبياء علىٰ مسألة الاخلاق، بل انها من عماد الامم علىٰ طول التاريخ.

وانما الامم الاخلاق ما بقيتْ فإنْ همُ ذهبتْ اخلاقهمْ ذهبوا.

والاخلاق بشكل عام علىٰ محورين؛ الاول: يقود الانسان الىٰ السعادة، والآخر: الىٰ الشقاء من ناحيتين:

الاولىٰ: الحياة الدنيا

عندما يدرك افراد المجتمع حقوقهم وواجباتهم المتبادلة ويحترمونها، ويعطف بعضهم علىٰ بعض ويتعاونون فيما بينهم في السرّاء والضراء، دون عدوان علىٰ أحد ولا هضم لحقوق أحد، ويرىٰ الفرد سعادته في سعادة المجتمع الذي يعش فيه، فان ذلك ولا ريب سيكون طريقهم الىٰ السعادة والحياة الآمنة المطمئنة.

وعلىٰ العكس لو انتفت الضوابط الاخلاقية في حياتهم، ووجد كل واحد منهم نفسه حرّاً يفعل ما يشاء، ويحاول أن يحقق رغبته حتىٰ ولو بشقاء الآخرين فان مجتمعاً يعيش افراده بهذا الاسلوب لهو مجتمع مفكك، محكوم عليه بالتعاسة والشقاء.

ومن هنا جاءت الاحاديث لتؤكد علىٰ الجانب الاخلاقي في حياة الانسان.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): من سعادة المرء حسن الخلق،

ومن شقاوته سوء الخلق[١].

وقال الصادق عليه السلام: لا عيش اهنأ من حسن الخلق[٢]. وقال:

- حسن الخلق يزيد في الرزق[٣].
- البرّ وحسن الخلق يعمران الديار ويزيدان في الاعمار[٤].
- من ساء خلقه عذّب نفسه[٥].

وما اكثر الاحاديث في آداب المعاشرة والاخلاق الاجتماعية التي تؤكد اهميّة الاخلاق في الحياة الانسانية.

الثانية: التكامل والانحطاط الروحي

تؤثر الاخلاق الحسنة في تهذيب النفس وتكامل الروح تأثيراً كبيراً. فالخلق الكريم يسمو بالنفس الانسانية عالياً ويجعلها قريبة من الله عزّ وجل، وبالعكس تعمل الاخلاق السيئة علىٰ الانحطاط بالنفس الىٰ الهاوية؛ حيث الشقاء والعذاب والبعد عن الله سبحانه.

قال امير المؤمنين علي (عليه السلام) يعظ ولده: ان الله عزّ وجل جعل محاسن الاخلاق وصلة بينه وبين عباده، أفلا يحب احدكم ان يمسك بخلق متصل بالله[٦].

وقال الامام الصادق (عليه السلام): الخلق الحسن جمال في الدنيا ونزهة في الآخرة وبه كمال الدين والقربة الىٰ الله[٧].

وعن سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) انه قال: اكثر ما تلج به امتي الجنّة تقوىٰ الله وحسن الخلق[٨].

---

(١) المستدرك، ج ٢، ص ٨٣.
(٢) بحار الانوار، ج ٧١، ص ٣٨٩.
(٣) المصدر السابق، ص ٣٩٦.
(٤) الكافي، ج ٢، ص ١٠٠.
(٥) المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٢١.
(٦) المستدرك، ج ٢، ص ٢٨٣.
(٧) المستدرك، ج ٢، ص ٨٣.
(٨) الكافي، ج ٢، ص ١٠٠.

وعن الصادق (عليه السلام) قال: ان الخلق الحسن يميث الخطيئة كما تميث الشمس الجليد[١].

ان النفس الانسانية جوهر نوراني وملكوتي، وهي اسمىٰ من المادّة والمادّيات، وبها امتاز الانسان علىٰ سائر الحيوانات.

ولأن روح الانسان ارقىٰ من المادّة فهي من نفس سنخية عالم النور والرحمة والفيض والخير.

ومن هنا يتبين ان مكارم الاخلاق هي جوهر انسانية الانسان. فاذا انتفت هذه الصفات، لا يبقىٰ لديه فرق مع الحيوان.

ومن هنا اكّد الاسلام علىٰ روح الانسان وشرفه الذاتي؛ لأنه الاطار لانسانيته، ويذكّره دائماً بانه انسان لا حيوان، وعليه ان يتجه الىٰ مكارم الاخلاق وان يجتنب الخلق السيئ.

عن علي عليه السلام قال: من كرمت عليه نفسه هانت عليه شهواته[٢].

- من شرفت نفسه نزهها عن ذلّة المطالب[٣].
- من كرمت عليه نفسه لم يهنها بالمعصية[٤].
- ان النفس لجوهرة ثمينة من صانها رفعها ومن ابتذلها وضعها[٥].
- من شرفت نفسه كثرت عواطفه[٦].

فمكارم الاخلاق قيم انسانية تسمو بروح الانسان نحو الكمال، وهي تعزز من انسانية الانسان، فيدرك في اعماقه الطيبات من الاعمال والصفات وينشدها.

ومن هنا قالوا: ان الناس جميعاً في كل زمان ومكان يتفقون علىٰ الحسن من الصفات، فالفطرة الانسانية السليمة والتي لم تتلوث بما يشوبها تدرك ذلك،

---

(١) الكافي، ج ٢، ص ١٠٠.
(٢) نهج البلاغة، كلمة رقم ٤٤٩.
(٣) غرر الحكم، ص ٦٦٩.
(٤) غرر الحكم ص ٦٧٧.
(٥) غرر الحكم، ص ٢٢٦.
(٦) غرر الحكم، ص ٣٦٨.

فتشعر بما ينبغي فعله وما لا ينبغي.

فمعرفة النفس وحفظ انسانية الانسان الذي يجعل للروح حاكمية علىٰ الجسد، تهذب غرائزه وتكبح شهواته.

وكانت رسالة الانبياء في هذا الطريق، طريق الاخلاق ونصرة الانسان في جهاده المقدّس، وتهذيب النفس وتربيتها، وتعزيز القيم الانسانية في اعماقه.

فالانبياء لا يفتأون يُذكّرون الانسان بنفسه بأنه انسان لا حيوان وان لا ينسىٰ البشر انسانيتهم فيستسلموا لشهواتهم الحيوانية دون قيد أو شرط؛ ذلك ان اخطر ما يواجه الانسان من مخاطر هو سقوطة في حمأة الرذائل، فيفقد انسانيته ويتحول الىٰ حيوان، وهكذا يبعث يوم القيامة.

قال تعالىٰ: «قل ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيامة الا ذلك هو الخسران المبين»[1].

وقال امير المؤمنين علي (عليه السلام): عجبت لمن ينشد ضالّته وقد أضل نفسه فلا يطلبها[2].

الاسئلة

١ ـ ما معنىٰ الاخلاق؟

٢ ـ اذكر حديثاً لسيدنا محمد يشير الىٰ اهميّة الاخلاق؟

٣ ـ وما هو الهدف من وراء بعثة الانبياء؟

٤ ـ هل يصحّ اهمال الاوامر الاخلاقية؟

٥ ـ ما هو تأثير الاخلاق في النفس الانسانية؟

٦ ـ ما هو الشيء الذي يعزز من سيطرة الروح علىٰ الغرائز؟

٧ ـ ما هو منشأ الاخلاق في ذات الانسان؟

---

(١) الزمر، الآية ١٥.

(٢) غرر الحكم، ص ٤٩٥.

طرق الاخلاق

تبحث الاخلاق في سلوك الانسان وصفاته واعماله وواجباته، واسلوب حياته الذي يكفل سعادته، وكل ما يتعلق في ذلك. وكل من بحث في الاخلاق لابدّ وان ينتخب احد ثلاثة طرق:

■ طريق الانبياء:

دعا سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وكل الانبياء (عليهم السلام) الناس الىٰ مكارم الاخلاق، وكان طريقهم الموعظة واثارة المشاعر الانسانية؛ ذلك ان غايتهم هو النفوذ في النفوس والتأثير عليها من خلال الوعظ.

ونجد آيات القرآن الكريم واحاديث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) تطرح مسائل الاخلاق في مناسبات مختلفة متفرقة، فلقد كان سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وفي كل مناسبة يحدّث اصحابه ويعلّمهم خلقاً كريماً، وكان يحثهم علىٰ التحلّي به وتجسيده في سلوكهم ومواقفهم، أو يحدّثهم عن خلق سيئ ثم ينهاهم عنه، وهكذا كانت سيرته عليه صلوات الله، وكان علي ابن ابي طالب امتداداً لهذا الطريق، وسائر ائمة اهل البيت (عليهم السلام)، فسيرتهم(عليهم السلام)، وفي كل الاحوال، كانت مواعظ وحكماً، ولكنها لم تطرح في صورة علم بل موعظة وعبرة.

■ الطريق العلمي:

طرح بعض العلماء المسائل الاخلاقية في صورة علم يبحث في سلوك الانسان الذي يؤثر في حياته سعادةً وشقاءً، وفي هذا العلم يجد المرء الطريق الامثل للحياة والانسان الامثل، فهو يرسم طريق السعادة ويحدد معالمالدروب التي تؤدي الىٰ الشقاء.

فعلم الاخلاق يبحث في موضوع محدّد، وهو بهذا يقسّم مسائله وقضاياه الىٰ فروع وفصول وابواب، فيخضع الخلقالحسن للبحث والدراسة فيحدّد معالمه وطرق تمثله والاتصاف به.

كما يشرح الاخلاق السيئة ويشير الىٰ عواقبها وتبعاتها وطرق اجتنابها والتخلص منها.

ولقد أولىٰ العلماء والحكماء منذ القدم علم الاخلاق اهمية فائقة، وكان سقراط وافلاطون (٤٢٧ ق.م) وارسطو (٣٨٤ ق.م) من أوائل فلاسفة اليونان الذين قالوا في علم الاخلاق، وأطلقو عليه اسم «الحكمة العملية». ثم استكمل الفلاسفة فيما بعد هذا العمل. ولقد تأثر الغرب حديثاً بالفلسفة اليونانية فتعمقوا في بحثها، فألفوا في ذلك كتباً وظهرت مكتبات. وقد شهد القرن الماضي تسارعاً في هذا الاتجاه.

ولان الاخلاق جزء من دينَي موسىٰ وعيسىٰ (عليهما السلام) فقد اولىٰ علماء اليهود والنصارىٰ للمباني الاخلاقية عناية فائقة، وألفوا ـ وبالاستفادة من الفلسفة اليونانية ـ كتباً في هذا المضمار.

وأواسط القرن الثالث الهجري ظهرت محاولات لتحديد معالم علم للاخلاق فتم تبويب الآيات والاحاديث التي تهتم بالجانب الاخلاقي، وكانت البداية علىٰ ايدي اصحاب الائمة عليهم السلام، فنجد محمد بن الحسن المولود عام ٢٥٨هـ.

وهو من اصحاب الامام موسىٰ بن جعفر يؤلف كتاباً اخلاقياً تحت عنوان «السنن والآداب ومكارم الاخلاق»[١].

كما نجد سليمان بن الحسن الجهم (٢٣٧ ـ ٣٠١ هـ) يؤلف «الآداب والمواعظ»[٢]، وهناك كتب أخرىٰ ضبطتها فهارس الرواة، ولكنها ضاعت ومع الاسف، ولا يعرف أحد كيفية تأليفها، ولكن اغلب الظن أنها أُلفت بطريقة تبويب الاحاديث والآيات التي تحمل دلالات أخلاقية في السلوك وآداب المعاشرة وغير ذلك من مجالات الاخلاق.

ويعدّ كتاب «الكافي» اول كتاب اخلاقي وصل الينا، وقد الفه محمد بن يعقوب الكليني المتوفى سنة ٣٢٨ هـ. وقد صنّفه في مدّة عشرين سنة، وكان الكليني (رحمه الله) قد عاش زمن الغيبة الصغرىٰ، ويعدّ كتابه (الكافي) واحداً من ابرز واغنىٰ المصادر العلمية، ويمتاز باسلوبه الجميل، وقد ضبطت فيه احاديث الشيعة؛ خاصّة في الاخلاق، حيث تشكل مساحة واسعة من الكتاب، ثم ظهرت بعد ذلك مؤلفات اخرىٰ ترسمت ذات الخطىٰ. ويمكن الاشارة هنا الىٰ كتاب «ثواب الاعمال» للشيخ الصدوق المتوفى سنة ٣٨١ هـ.

وفي عصور متأخرة ظهرت كتب اخلاقية اكثر شمولاً وتفصيلاً؛ في طليعتها كتاب «بحار الانوار»، و «مرآة العقول» في شرح الكافي، وهما من تأليف محمد باقر المجلسي المتوفىٰ سنة ١١١١ هـ وكتاب «وسائل الشيعة» للشيخ الحرّ العاملي (١١٠٤ هـ.) و «مستدرك الوسائل» للحاج النوري المتوفىٰ سنة ١٣٢٠ هـ و «الوافي» للفيض الكاشاني المتوفىٰ سنة ١٠٩١ هـ. و «جامع احاديث الشيعة» الذي ألف باشراف آية الله البروجردي (١٢٩٢ ١٣٨٠ هـ.).

والكتب المذكورة ـ في الحقيقة ـ كتب حديثية تضم في جملتها احاديث

---

(١) مجمع الرجال، ج ٥ ص ١٨٧.

(٢) مجمع الرجال، ج ٥، ص ٢١٩.

الاخلاق.

واعقب ذلك ظهور كتب أخرىٰ صنفت أحاديث الاخلاق والآيات وشرحت مضامينها بالاستفادة من التفسير، وهي جهود تمت علىٰ أيدي العلماء، فتكوّن لذلك ميراث ضخم وثري في علوم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والائمة من اهل بيته (عليهم السلام).

وكان هناك منحىٰ آخر في هذا المجال؛ وهو تدوين الاخلاق بصورة علم، وهو ما نراه في كتاب «تهذيب الاخلاق وتطهير الاعراق» لاحمد بن محمد بن يعقوب بن مسكويه المتوفىٰ سنة ٤٢١ هـ. ولعلّه أول من يؤلف بهذه الطريقة، اذ نشاهد عرضاً للاخلاق في الاسلام في اطار علمي معتمداً في ذلك القرآن والحديث، وعقائد الفلاسفة اليونان.

واعقب ذلك نصير الدين الطوسي (٥٩٧ ـ ٦٧٢ هـ.) الذي اعتمد ذات المصادر السابقة في تأليفاته الاخلاقية، فكتب «الناصريات والمحتشميات».

ويعدُّ الغزّالي بين من ألفوا في الاخلاق معتمداً القرآن والسنّة وتراث الحكماء والعرفاء، فألف «احياء العلوم» باللغة العربية و «كيميا السعادة» باللغة الفارسية، ويعدّ «احياء العلوم» من ارقىٰ الكتب، لولا نقاط الضعف الكثيرة، وهذا ما دعا بالملا محسن المعروف بالفيض الكاشاني (١٠٠٧ ـ ١٠٩١ هـ.) الىٰ اجراء اصلاحات هامّة ليظهر الكتاب بحلّة جديدة تحت عنوان «الحجّة البيضاء في تهذيب الاحياء».

وكان محمد مهدي النراقي المتوفىٰ ١٢٠٩ هـ. قد ألف كتاباً قيماً تحت عنوان «جامع السعادات». وبالرغم من وجود تأليفات أخرىٰ في علم الاخلاق ولكن ينبغي الاعتراف ـ ومع الاسف ـ بأن ماكتب في هذا الحقل يبقىٰ دون المستوىٰ المطلوب بكثير.

لقد أولىٰ الاسلام اهمية كبرىٰ لهذا الجانب الحياتي في الانسان، وكان المتوقع من العلماء أن يولوا هذا الامر عناية بنفس هذا المستوىٰ، ولكننا نجد ـ وبرغم التحولات الهائلة في حياة الافراد ـ أن رفوف الاخلاق مقفرة في المكتبة الاسلامية وبالتحديد الامامية.

■ فلسفة الاخلاق:

وتعدّ فلسفة الاخلاق علماً حديثاً، فهي لا تبحث في امثلة الخير والشر وسلوك الانسان وما ينبغي عليه بل أنها تبحث مسألة الاخلاق وفي معنىٰ الحسن والقبح، والخير والشر، والجمال، وهل أن الخير يتمتع بقيمة ذاتية أو اعتبارية وهل أن قضايا الاخلاق خبرية أم انشائية؟ وكيف يمكن الحصول علىٰ القضية الانشائية من القضية الاخبارية؟ وما معنىٰ السعادة والشقاء؟ وغير ذلك.

وتشهد فلسفة الاخلاق رواجاً في البلاد الغربية وتعد علماً حيّاً. ولعلماء الغرب تخصص في هذا المضمار، ولهم في ذلك مئات الكتب التي تزخر بها مكتباتهم.

وهناك مدارس اخلاقية عديدة لها آراؤها في فلسفة الاخلاق، ولها في ذلك مبانٍ وأصول.

وللاسلام في فلسفة الاخلاق رأي وفلسفة نشير اليه باختصار:

الاخلاق في ضوء الاسلام

نشأت العقائد المختلفة في موضوع الاخلاق غالباً علىٰ اساس رؤية معينة للكون والانسان، وطالماً وجدت عقيدة ما تحدد نظرتها الىٰ مسألة الكون والحياة والانسان، فان فلسفة اخلاقية لابدّ وأن تنجم عنها اثر ذلك.

وبما ان للاسلام ـ كعقيدة ـ رؤيته للكون والانسان والحياة؛ تتلخص في ان

الله هو خالق الانسان والعالم، وان الانسان موجود خالد وأبدي، وأنه لا يزول بمجرّد موته، وان الموت هو رحلة الىٰ العالم الآخر، وهناك يتحدد نوع حياته علىٰ اساس جزاء الاعمال في الدنيا، فالانسان مخلوق مخيّر ومسؤول عن انتخاب الطريق الذي يسلكه، وانه لم يوجد في الدنيا عبثاً بل لكي يتكامل ويتحرك نحو الله عزّ وجل والقربىٰ حيث عالم السعادة والنور والنعيم الخالد.

والاسلام يعتبر الانسان مخلوقاً ذا بُعدين: بعد حيواني يتمثل في غرائزه وشهواته وما يموج في اعماقه من رغبات؛ ترتبط بجسده المادّي. وبعد روحي يتمثل في نفسه الملكوتية، وهو بهذا البعد قد امتاز علىٰ سائر الحيوانات، واصبح به خليفة الله في الارض، وعليه يتوقف شقاء الانسان وسعادته. فالتكامل الروحي يقوده نحو مصاف الملائكة وأسمىٰ، وانحطاطه يهوي به نحو الدرك الاسفل.

وبين هذين البعدين تتجلّىٰ القيم الاخلاقية المثلىٰ لتحفظ للانسان انسانيته، وتكفل له التكامل باتجاه الهدف المنشود.

وبالعكس فان القيم الخلقية الدنيئة ستعزز من جموح غرائزه وشهواته وتغرقه في حياة حيوانية؛ تفقده انسانيته فتصبح روحه الملكوتية اسيرة في قبضة حيوان كاسر لا يعرف غير غرائزه ورغباته الدنيئة، فيسقط الانسان في اعماق الهاوية المظلمة.

ومع ان الاسلام يعتبر القيم الاخلاقية انعكاساً للفطرة الانسانية كما جبلها الله سبحانه، فانه لا يكتفي بدعوة الانسان الىٰ امتثال الاخلاق الحسنه واجتناب الاخلاق السيئة، بل يتعدّى ذلك الىٰ غرس الايمان بالله والمعاد وفكرة الجزاء والحياة في الآخرة، وهذا من شأنه ان يوفر مناخاً ملائماً لنمو الاخلاق الحسنة وازدهارها، وبالمقابل يحول دون استفحال الاخلاق السيئة التي تعطل من

مسيرة الانسان الىٰ الله.

فعلىٰ اساس العمل في الدنيا يتوقف نوع الجزاء في الآخرة، فالانسان المسلم المؤمن بالله الواحد الأحد بالثواب والعقاب والحياة بعد الموت وما يترتب علىٰ اعماله من ثواب وعقاب سوف يتحرك باتجاه مستقبله الحقيقي في الآخرة، فنراه يضحي ويهب لنصرة المظلوم ويواجه الظالم، ونراه صادقاً مجاهداً حتىٰ الشهادة، أميناً، وكل ذلك اخلاق حسنة، يحوطها الايمان بالله بالرعاية والتربية.

فالاخلاق الحسنة تؤتي اكلها مرّتين؛ مرّة في الدنيا عندما يعيش الانسان آمناً مطمئناً، ومرة في الآخرة حيث رضا الله والنعيم الخالد.

وقد لا تنبع الاخلاق الحسنة من الايمان بالله والآخرة، ولكن الايمان هو وحده الذي يوفر لها المناخ لنموها وتربيتها وتوجيهها.

وهناك من يتحرك اخلاقياً علىٰ اساس وجداني بحت أو بدافع آخر. ومن هنا تنسلخ عنها قيمتها الحقيقية في الآخرة بالرغم من قيمتها الاعتبارية في الدنيا.

المجال الاخلاقي:

تنقسم قضايا الاخلاق الىٰ قسمين:

فردية: وهي مجموعة الاخلاق التي تنحصر في الاطار الفردي والتي تتمثل في ذكر الله، وحبّه والتوكل عليه والرضا بقضائه والاخلاص له، والرجاء، والصبر، وغنىٰ النفس، والشجاعة والثبات والطمأنينة، والحزم. وهذا بالطبع الجانب الايجابي من الاخلاق، وهناك الجانب السلبي الذي يبرز في: الرياء والحسد والانانية، والقلق، واليأس، والجزع، وحبّ الدنيا والجاه والمنصب،

والجبن، والحرص، والطمع، وضعف الارادة. وهذه كلها رذائل تتنافىٰ وانسانية الانسان.

اجتماعية: وهي مجموعة الصفات التي تتجسد اجتماعياً؛ من قبيل: حسن المعاشرة، البشاشة، الاحترام، العدالة، الايثار، الدفاع عن المظلوم، حب الخير للناس، الامانة، الوفاء بالعهد، الصدق، الرفق، المداراة، العفو، صلة الرحم، غض البصر عن عيوب الآخرين، برّ الوالدين، احترام حقوق الآخرين، الاهتمام بامور المسلمين، القيام بالواجب، حسن الجوار، وكل هذه اخلاق تتجلىٰ في الوسط الاجتماعي فتزيد من وشائج المجتمع وتعزز تكافله وتضامنه في سبيل الخير.

وهناك ايضاً الجانب السلبي كسوء المعاشرة، وسلاطة اللسان، وإهانة الناس، وأذىٰ الاخرين، الخيانة، الغدر، الكذب، افشاء السرّ، البحث عن العيوب، عقوق الوالدين، قطع الرحم، سوء الجوار، البخل، معاضدة الظالمين، الفتنة، المكر، البهتان، الغيبة، النميمة، الاسراف والتبذير وخداع الناس. وكل هذه رذائل اخلاقية تفتك بالمجتمع وتجعل الحياة فيه جحيماً لا يطاق.

الاسئلة

١ ـ ما هو طريق الانبياء في الاخلاق؟

٢ ـ اشرح الاخلاق كعلم.

٣ ـ ماذا تبحث الفلسفة الاخلاقية؟

٤ ـ من اين تستمد الاخلاق الاسلامية فلسفتها؟

٥ ـ ما هو رأي الاسلام في الانسان؟

٦ ـ ما هو التأثير الاخلاقي في النفس الانسانية؟

العبادة في الاسلام

تعني العبادة في اللغة التسليم والطاعة واظهار اقصىٰ درجات التذلل. يقول الراغب: العبودية بمعنىٰ اظهار الذلّة، اما العبادة فأسمىٰ؛ لانها تعنى اقصىٰ درجات التذلل، وإذن فليس سوىٰ الله أهلاً للعبادة[1]. ومن هنا جاءت كلمة عبد، فالعبيد اشخاص لا يملكون امام اسيادهم سوىٰ الطاعة والتسليم، ولأسيادهم حق التدخل في كل شؤونهم.

فالناس هم عبيد لله لأن الله هو مالك الناس. علىٰ ان هناك **اختلافا اساسياً** في مالكية الله لعباده، ومالكية السادة للعبيد. فمالكية السادة هي **في الواقع** مالكية اعتبارية، في حين ان مالكية الله حقيقية تكوينية. كما ان الموجودات جميعاً ما هي الّا معلولات لعلّة كبرىٰ هو الخالق سبحانه، وهي في وجودها وتداوم هذا الوجود محتاجة الىٰ الخالق، الذي له القدرة في التصرف في شؤون خلقه، فيما يبقىٰ الفقر والحاجة جزءاً من وجود المخلوقات. يقول القرآن الكريم: «يا ايها الناس انتم الفقراء الىٰ الله والله هو الغني الحميد»[2].

وهذا خطاب عام للناس جميعاً؛ مؤمنهم وكافرهم يؤكد حقيقة كبرىٰ هي الحاجة الدائمة في الخلق والحياة والاستمرار، الىٰ الله سبحانه.

---

(١) المفردات، ص ٣١٩.

(٢) فاطر، الآية ١٥.

«انْ كلّ من في السماوات والارض الاّ آتي الرحمٰن عبدا»[١].

وما اشرنا اليه هو العبادة في معناه اللغوي والتكويني، اما العبادة اصطلاحاً فتعني اظهار العبودية والخضوع لاوامر الله ونواهيه. وللاديان طقوس خاصّة في التعبير عن العبادة والعبودية حيث يقوم اتباع دين ما باداء مجموعة مراسم وشعائر للتقرّب الىٰ الله.

وللدين الاسلامي الحنيف شعائره العبادية كالصلاة والصيام والحج.

الانسان عبد مملوك لله سبحانه، وكل ما لدىٰ الانسان هو من الله خالق العالم وواهب الحياة وربّ الكون. فكل شيء يمضي بارادته سبحانه، وكل المخلوقات محتاجة اليه، والله وحد الغني المطلق، ولا يوجد شيء آخر يمكنه أن يوفر حاجات الخلق وغيره.

ومن هنا فليس هناك من يصلح للعبادة غير الله، ولا يحق لأحد ان يعبد شيئاً الاّ الله.

فدعوة الانبياء جميعاً كانت الىٰ عبادة الله الواحد، والتحذير من عبادة غيره.

وكان سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) لما بشّر بدعوته اعلن ان لااله الاّ الله وحده لا شريك له، وكان الاسلام دين التوحيد الخالص، وبهذا نزل القرآن الكريم.

قال تعالىٰ: «كتاب أُحكمت آياته ثم فصّلت من لدن حكيم خبير الاّ تعبدوا الاّ الله اني لكم نذير و بشير»[٢].

فكل عبادة يجب ان تكون**خالصة لله تعالىٰ** تنطوي علىٰ نية القربىٰ منه، وهذا شرط صحة العبادة وأساس قبولها من الله سبحانه.

فالعبادة التي تقوم علىٰ اساس كالرياء باطلة وهي لا تنهض بالانسان في طريق تكامله بل تنحط به وتقوده الىٰ سوء العذاب. انها عبادة فارغة من

---

(١) مريم، الآية ٩٣.

(٢) هود، الآية ١ و ٢.

جوهرها الحقيقي في خلوصها الىٰ الله.

ولهذا نجد ذمّاً للرياء في الاسلام ويُعتبر وجها من أوجه الشرك بالله.

قال الامام الصادق (عليه السلام): كل رياء شرك. انه من عمل للناس كان ثوابه علىٰ الناس، ومن عمل لله كان ثوابه على الله[١].

ولهذا ينبغي علىٰ الانسان ان يسعىٰ في ان تكون عبادته خالصة لله من دون الناس، وأن تكون نيته التقرّب الىٰ الله عزّ وجل بعيداً عن كل اشكال الرياء والمباهاة والاهداف الدنيوية الاخرىٰ. وكلما خلص العمل لله كان ثوابه أجزل من لدنه سبحانه.

وهنا ينبغي الاشارة الىٰ مسألة هامّة وهي ان طقوس العبادة وشعائرها تتعين من قبل الله سبحانه أو الرسول او الائمة المعصومين، ولا يحق لا حد كائناً من كان ان يشرع عبادة ما ليجعلها طريقاً للتقرّب الىٰ الله سبحانه. ومثل هكذا عمل سيكون منتفياً من كل ثواب بل عليه تبعات الاثم لانه بدعة.

فالعبادات الواجبة والمستحبة لابدّ وأن يكون وراءها دليل شرعي يؤيد صحتها سواء كان ذلك من القرآن اوالسنة. فالمسلم يتبع في عبادته الشريعة فيتقرب الىٰ الله من خلالها، ولا مكان هنا للرغبة والعاطفة في تحديد شكل العبادة وطبيعة ادائها. فالبدعة من المحرّمات التي اوجب العلماء محاربتها.

عن الامام الصادق (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): كل بدعة ضلاله وكل ضلالة في النار[٢].

وعن يونس بن عبد الرحمن قال: قلت لابي الحسن (الكاظم عليه السلام): بمَ أُوحّد الله؟ فقال: يا يونس لا تكونن مبتدعاً. من نظر برأيه هلك، ومن ترك أهل بيت نبيه (صلى الله عليه وآله) ضلّ، ومن ترك كتاب الله وقول نبيه كفر[٣].

---

(١) الكافي، ج ٢، ص ٢٩٣.
(٢) الكافي، ج ١، ص ٥٧.
(٣) المصدر السابق، ص ٥٦.

وعن زرارة قال سألت ابا عبد الله (الصادق عليه السلام) عن الحلال والحرام فقال: حلال محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) حلال ابداً الىٰ يوم القيامة وحرامه حرام ابداً الىٰ يوم القيامة. لا يكون غيره ولا يجيء غيره. وقال: قال علي (عليه السلام): ما احد ابتدع بدعة الا ترك بها سنّة[١].

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: اذا ظهرت البدع في امّتي فليظهر العالم علمه فمن لم يفعل فعليه لعنة الله[٢].

والعبادات في الاسلام تنقسم الىٰ قسمين: واجبة ومستحبة، فالواجب من العبادات ما الزمه الشرع علىٰ المكلّف الذي بلغ سن التكليف من طقوس وشعائر بقصد القربة الىٰ الله عزّ وجل، وهي مطلوبة منه ما لم يكن هناك عذر يؤيده الشرع نفسه، وهي من قبيل: الصلوات الخمس وصيام شهر رمضان والحج لمن استطاع اليه سبيلا. وهي اعمال يأثم تاركها ويحاسب عليها يوم القيامة.

اما المستحبات فاعمال عبادية ندب اليها الشرع، فاداؤها من المكلّف **يترتب عليه** ثواب، اما تركها فلا يترتب عليه ذنب. وهي من قبيل: نافلة الليل **ونوافل** الصلوات الاخرىٰ والحج والعمرة المندوبة وتلاوة القرآن الكريم والدعاء وصيام بعض الايام. وشرط قبول هذه العبادات الالهية هي القربة الى الله ايضاً.

الاسئلة

١ ـ ما معنىٰ العبادة لغة؟

٢ ـ اشرح معنىٰ العبادة تكويناً و تشريعاً.

٣ ـ لماذا لا تجوز عبادة غير الله؟

٤ ـ ما هو الشرط في صحة العبادة؟

٥ ـ ما هي البدعة؟

٦ ـ ما هو موقف العلماء عند ظهور البدع؟

---

(١) المصدر السابق، ص ٥٨.

(٢) المصدر السابق، ص ٥٤.

الصلاة

الصلاة عمود الدين وأفضل العبادات، فالمسلم الذي يستغرق خلال يومه وليلته في اعمال دنيوية، يدعها جانبها ليتجه الىٰ الله خمس مرّات.

فهو يتوضأ ثم يتجه الىٰ الكعبة يصلّي لله خالق الانسان وواهب الحياة، ويقف امامه في خشوع وأدب طالباً منه العفو والمغفرة ويستمدّه القوة في مواجهة اعباء الحياة، فيمتلئ قلبه نوراً واملاً بما عند الله. فالصلاة في طليعة العبادات الالهية التي اكد عليها القرآن الكريم، والاحاديث الشريفة.

قال تعالىٰ:

ـ «وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين»[1].

ـ «يا ايها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين»[2].

ـ «قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سرّاً وعلانية قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه ولاخلال»[3].

ـ «اتل ما اوحي اليك من الكتاب وأقم الصلاة ان الصلاة تنهىٰ عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله اكبر والله يعلم ما تصنعون»[4].

---

(١) البقرة، الآية ٤٣.
(٢) البقرة، الآية ١٥٣.
(٣) ابراهيم، الآية ٣١.
(٤) العنكبوت، الآية ٤٥.

وعن زيد الشحام عن الامام الصادق (عليه السلام) قال: سمعته يقول: «أحب الاعمال الىٰ الله عزّ وجل الصلاة، وهي آخر وصايا الانبياء، فما أحسن الرجل يغتسل أو يتوضأ فيسبغ الوضوء ثم يتنحىٰ حيث لا يراه انيس فيشرف عليه وهو راكع أو ساجد. ان العبد اذا سجد فاطال السجود نادىٰ ابليس: يا ويلاه اطاع وعصيت، وسجد وأبيت»[١].

وعن سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: «اذ قام العبد المؤمن في صلاته نظر الله اليه ـ أو قال: أقبل الله عليه ـ حتىٰ ينصرف أظلّته الرحمة من فوق رأسه الىٰ افق السماء، والملائكة تحفّه من حوله الىٰ افق السماء ووكل الله به ملكاً قائماً علىٰ رأسه يقول ايها المصلّي لو تعلم من ينظر اليك ومن تناجي ما التفت ولا زلت من موضعك ابداً»[٢].

وعنه (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: اذا كان يوم القيامة يدعىٰ بالعبد، فأول شيء يسأل عنه الصلاة فاذا جاء بها تامّة والّا زجّ في النار[٣].

وعنه (صلى الله عليه وآله وسلم) أيضاً: ليس مني من استخف بصلاته، لا يرد علىٰ الحوض والله[٤].

فالاسلام لم يأمر باداء الصلاة فحسب بل طلب من المسلمين اقامتها كواجب الهي عظيم، فهم مسؤولون عن تعلّمها وادائها في وقتها، وحبذ اقامتها في المساجد جماعة، وتقديمها علىٰ كل عمل، فاذا حضر وقت الصلاة وجب اداؤها في حال السفر والحضر، في السلامة والمرض، في المزارع والمصانع، في المدارس والجامعات، في الاسواق والمحلّات، في السفن والطائرات، وحتىٰ في ساحات المعارك.

---

(١) الكافي، ج ٣، ص ٢٦٤.
(٢) الكافي، ج ٣، ص ٢٦٥.
(٣) الوسائل، ج ٣، ص ١٩.
(٤) المصدر السابق، ج ٣، ص ١٦.

فالصلاة تحتل مرتبة عظيمة في الاسلام وعدّ تاركها دون عذر مرتكباً للكبيرة بل يرقىٰ ذلك الىٰ درجة الكفر.

عن الامام الصادق (عليه السلام) قال: جاء رجل الىٰ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: يا رسول الله! اوصني فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): لا تدع الصلاة متعمداً. فان من تركها متعمداً فقد برئت منه ملّة الاسلام[١].

وعن جابر الانصارى قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ما بين الكفر والايمان الّا ترك الصلاة [٢].

الصلاة عبادة تؤدىٰ بقصد القربة الىٰ الله، فاذا كان باعثها الرياء بطلت ولم تقبل منه.

كما ان حضور القلب اثناء ادائها، والتوجه الىٰ الله سبحانه مطلوب ايضاً بالرغم من أن عدم حضور القلب لا يوجب بطلانها، ولكنه يعدّ روحاً لهذه العبادة السامية، فالنفس الانسانية تسمو الىٰ الاعالي اذا وقف المرء أمام الله بقلب خاشع مطمئن. وقد اكّدت الاحاديث علىٰ هذه الجنبة في الصلاة.

فعن سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) انه قال: ان من الصلاة لما يقبل نصفها وثلثها وربعها وخمسها الىٰ العشر. وان منها لما يلفّ كما يلفّ الثوب الخلق فيضرب بها وجه صاحبها، وانما لك من صلاتك ما اقبلت عليه بقلبك[٣].

وعنه (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: أيما عبد التفت في صلاته قال الله: يا عبدي! من تقصد ومن تطلب؟ أربّاً غيري تريد؟ أو رقيباً سواي تطلب؟ أو جواداً خلاي تبغي؟ وانا اكرم الاكرمين واجود الاجودين، وافضل المعطين، أثيبك ثواباً لا يحصىٰ قدره. أقبل الىٰ فانّي عليك مقبل وملائكتي عليك مقبلون.

---

(١) المصدر السابق، ص ٢٩.
(٢) الوسائل، ج ٣، ص ٢٩.
(٣) البحار، ج ٨٤، ص ٢٦٠.

فان اقبل زال عنه اثم ماكان منه. فان التفت ثانية اعاد الله عليه مقالته، فان اقبل علىٰ صلاته غفر الله له وتجاوز عنه ما كان منه، فان التفت ثالثة اعاد الله مقالته، فان اقبل علىٰ صلاته غفر الله ما تقدم من ذنبه، فان التفت رابعة اعرض الله عنه وأعرضت الملائكة عنه ويقول: ولّيتك يا عبدي ما تولّيت[1].

اقسام الصلاة

الصلوات قسمان: واجب ومستحب، والواجب منها خمس:

ـ صلاة الجمعة

ـ الصلاة اليومية وهي ١٧ ركعة في اليوم والليلة؛ اربعة ركعات في الظهر واربعة في العصر وثلاثة في المغرب واربعة في العشاء واثنتان في الفجر.

ـ صلاة الآيات وهي ركعتان تؤدى بطريقة خاصّة، وهي تجب في بروز ظواهر طبيعية مثل كسوف الشمس وخسوف القمر والزلازل وبعض الظواهر الاخرىٰ المخيفة.

ـ صلاة الميت وتؤدىٰ ايضاً بطريقة خاصّة يؤديها المسلمون علىٰ الميت منهم.

ـ صلاة الطواف في الحج الواجب وهي ركعتان وتؤدىٰ بعد الطواف في الحج والعمرة.

ـ اداء مافات من الاب بعد موته فقضاؤها واجب علىٰ الابن الاكبر.

اما المستحب من الصلوات فهو كثير؛ منها النوافل اليومية التي تؤدىٰ مع الصلوات الواجبة اليومية. فنافلة الظهر ثمان ركعات والعصر ثمان ركعات وتؤدىٰ ركعتين ركعتين، والمغرب اربع ركعات والعشاء ركعتان، والفجر ركعتان

---

(١) البحار، ج ٨٤، ص ٢٤٤.

ايضاً.

وتعد صلاة الليل من النوافل المستحبة التي اكّدت عليها الروايات والاحاديث، وتؤدىٰ وقت السحر، وهي احدىٰ عشرة ركعة؛ ثمان منها تؤدىٰ ركعتين ركعتين بنية صلاة الليل، وركعتان بنية الشفع وواحدة بنية الوتر.

وهناك صلوات مستحبة أخرىٰ يجدها من يريد في كتب الاذكار والادعية.

الاسئلة

١ ـ ما هو آخر ما وصىٰ به الانبياء امهم؟

٢ ـ ما هي آخر وصية سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)؟

٣ ـ ممن يتبرأ سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)؟

٤ ـ ما هو الفارق بين الكفر والايمان؟

٥ ـ ما هو الاساس في قبول الصلاة؟

٦ ـ متىٰ تؤدىٰ صلاة الآيات؟

الصيام

يعدّ الصوم من عبادات الاسلام الكبرىٰ، يمتنع فيه المسلم من طلوع الفجر الىٰ غياب الشمس عن الطعام والشراب، والكذب علىٰ الله ورسوله، والارتماس في الماء، والبقاء علىٰ الجنابة، وممارسة الجنس. وشرط قبوله نيّة التقرّب الىٰ الله عزّ وجل. فاذا ادىٰ المرء هذه العبادة رياءً بطلت ولم تقبل منه.

ويحتل الصيام بين العبادات درجة رفيعة، وقد اكّدت الروايات والاحاديث اهميته، وهذه طائفة من الاحاديث:

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): الصوم جُنّة من النار[1].

وعن الامام الصادق (عليه السلام) قال: ان الله يقول: الصوم لي وانا اجزي عليه[2].

وعنه عليه السلام قال: نوم الصائم عبادة وصمته تسبيح وعملهُ متقبل ودعاؤه مستجاب[3].

وقال سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم): قال الله عزّ وجل: كل اعمال بني آدم بعشرة اضعافها الىٰ سبعمئة ضعف الّا الصبر فانه لي وانا اجزي به

---

(١) الكافي، ج ٤، ص ٦٢.
(٢) المصدر السابق، ص ٦٣.
(٣) الوسائل، ج ٧، ص ٢٩٧.

فثواب الصبر مخزون في علم الله والصبر الصوم[١].

وعن الباقر (عليه السلام) قال: بني الاسلام علىٰ خمسة اشياء: الصلاة والزكاة والحج والصوم والولاية[٢].

وقد اوجب الله عزّ وجل الصوم في شهر رمضان المبارك، فالمسلم البالغ اي الذي بلغ سن الرشد مكلف بالصوم في شهر رمضان اذا لم يكن له عذر شرعي فمن أفطر في هذا الشهر دون عذر عدّ مرتكباً للكبيرة، وعليه ان يقضي عن كل يوم افطر فيه صيام ستين يوماً او اطعام ستين مسكيناً أو عتق رقبة في سبيل الله.

ويسقط الصوم عن:

ـ المريض اذا اضرّ به الصوم

ـ المسافر الذي يقطع مسافة ٨ فراسخ ذهاباً وإياباً.

ـ المرأة اذا كانت حائضاً أو نفساء.

ـ المرأة الحامل اذا كان وضعها قريباً ويضرّ الصوم بها أو بجنينها.

ـ المرأة المرضع اذا كان الصوم يؤثر في نسبة الحليب فيضرّ بها وبوليدها.

وهذه خمسة حالات تجيز الشريعة الافطار فيها في شهر رمضان، ثم قضاء ايام الافطار هذه في وقت آخر عند انتفاء الموانع.

والافطار في هذه الحالات لا تترتب عليه كفارة.

ـ الشيخ والمرأة العجوز اذا صعب عليها الصوم، فيمكنهما الافطار كما لا يجب عليهما القضاء.

وما ذكرناه آنفاً هو خلاصة فتاوىٰ الفقهاء، علىٰ ان علماء الاخلاق يتوسعون في معنىٰ الصوم فيقولون ان ماذكره الفقهاء عن الصوم هو ما يؤيد صحته فقط اما قبوله فيشترط امساكاً من نوع آخر وهو اجتناب كل الذنوب، فالصوم لا يكمل ما لم تشترك كل جوارح الانسان فيه، فالعين لها صومها في

---

(١) المصدر السابق، ص ٢٩٥.

(٢) الكافي، ج ٤، ص ٦٢.

غض النظر عن المحرّمات والسمع له صومه في عدم الاصغاء الىٰ ما هو حرام وكذا اللسان واليدان؛ كل جارحة ولها في الصوم سهم.

فالفقهاء يقصرون صحة الصوم علىٰ الامتناع عن المفطرات، أما الاخلاقيون فيشترطون لكماله حضور القلب وذكر الله؛ لان رمضان شهر الضيافة علىٰ الله عزّ وجل، وهم لا يقولون ذلك من عند انفسهم، انما يعتمدون فيه احاديث أهل البيت عليهم السلام، وهذه امثلة:

عن محمد بن عجلان قال: سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول: ليس الصيام من الطعام والشراب ان لا يأكل الانسان ولا يشرب، ولكن اذا صمتَ فليصم سمعك وبصرك ولسانك وبطنك وفرجك، واحفظ يدك وفرجك وأكثر السكوت الا من خير وارفق بخادمك[1].

وعنه عليه السلام قال: اذا صمت فليصم سمعك وبصرك من الحرام والقبيح ودع المراء واذىٰ الخادم، وليكن عليك وقار الصيام ولا تجعل يوم صومك كيوم فطرك[2].

قال سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في خطبة له: ومن صام شهر رمضان في انصات وسكوت وكفّ سمعه وبصره ولسانه وفرجه وجوارحه من الكذب والحرام والغيبة تقرباً قرّبه الله حتىٰ تمس ركبتاه ركبتي ابراهيم خليل الرحمن[3].

والصائم ضيف في رحاب الله، فمن الأدب احترام الضيافة فلا يصدر عن الضيف خطأ او عمل سيئ، فان الله عزّ وجل يريد لضيوفه الخير والثواب الكبير.

عن ابي حمزة الثمالي قال: سمعت ابا عبد الله (الصادق) يقول: ان الصائم

---

(١) وسائل الشيعة، ج ٧، ص ١١٨.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.

منكم ليرتع في رياض الجنّة، وتدعو له الملائكة حتىٰ يفطر[١].

وعن امير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) انه قال في ليلة المعراج: يا ربّ ما اول العبادة؟ قال: أول العبادة الصمت والصوم، قال: وما ميراث الصوم؟ قال: يورث الحكمة والحكمة تورث المعرفة والمعرفة تورث اليقين، فاذا استيقن العبد لا يبالي كيف اصبح بعسر أم بيسر[٢].

عن الحسن بن صدقة قال: قال ابو الحسن (عليه السلام): قيلوا، فان الله يطعم الصائم ويسقيه في منامه[٣].

وعن علي عليه السلام قال: ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خطبنا ذات يوم فقال: ايها الناس انه قد أقبل اليكم شهر الله بالبركة والرحمة والمغفرة شهر هو عند الله أفضل الشهور وايامه افضل الايام، ولياليه افضل الليالي، وساعاته افضل الساعات، هو شهر دعيتم فيه الىٰ ضيافة الله وجعلتم فيه من اهل كرامة الله، انفاسكم فيه تسبيح، ونومكم فيه عبادة وعملكم فيه مقبول ودعاؤكم فيه مستجاب[٤].

فلسفة الصوم

الصوم من افضل الطرق الىٰ تزكية النفس وتهذيبها، فهو يغسل القلوب من الذنوب ويزيدها صفاءً، ويملأها نوراً، والصوم اذا ما جاء طبقاً لموازين الشرع يطرد الشياطين من الصدور، عندها تلج الملائكة فتشع من اضواء المعرفة والحكمة والايمان ما يجعل الانسان يشعر بالطمأنينة والسلام. فالصائم امرؤ

---

(١) وسائل الشيعة، ج ٧، ص ٢٩٦.
(٢) مستدرك الوسائل، ج ١، ص ٥٩.
(٣) الكافي، ج ٤، ص ٦٥.
(٤) وسائل الشيعة، ج ٧، ص ٢٢٧.

لبّىٰ دعوة الله فحلّ ضيفاً عليه واضحىٰ بذلك اهلاً لان يتلقىٰ هبات السماء، وفيوضات العالم الاقدس.

ومن فلسفة الصوم ان يذوق الانسان طعم الجوع فيستشعر آلام الجائعين من الفقراء والمساكين فيرق قلبه عليهم ويمدّ اليهم يد العون.

سأل هشام بن الحكم ابا عبد الله (الصادق) عليه السلام عن علّة الصيام فقال: «انما فرض الله الصيام ليستوي به الغني والفقير، وذلك ان الغني لم يكن ليجد مسّ الجوع فيرحم الفقير لان الغني كلما اراد شيئاً قدر عليه، فاراد الله ان يسوي بين خلقه وان يذوق الغني مسّ الجوع والالم فيرقّ علىٰ الضعيف ويرحم الجائع»[1].

وكتب ابو الحسن علي بن موسىٰ الرضا (عليه السلام) الىٰ محمد بن سنان فيما كتب من جواب مسائله: علّة الصوم لعرفان مسّ الجوع والعطش ليكون ذليلاً مستكيناً مأجوراً صابراً، ويكون ذلك دليلاً علىٰ شدائد الآخرة مع ما فيه من الانكسار له عن الشهوات، واعظاً له في الاجل، دليلا له علىٰ الاجل، ليعلم شدة مبلغ ذلك من اهل الفقر والمسكنة في الدنيا والآخرة[2].

فالصوم في اصوله المذكورة سوف يساهم في حل مشكلة الجوع العالمية الىٰ حدّ ما، فلو اقتصر اثرياء العالم مثلاً علىٰ وجبة واحدة من الطعام طوال شهر رمضان، لعرفنا مقدار ما يتوفر من الطعام الذي سيكون من نصيب الفقراء، وقد يتحول هذا بدوره الىٰ مبالغ طائلة تسهم في اغاثة الفقراء كما ان زكاة الفطرة التي يدفعها المسلم الغني عن نفسه واسرته سوف يكون لها دور هي الاخرىٰ في هذا المضمار، غير غافلين عن الصدقات والاعمال الخيرية التي ندب اليها الشرع في هذا الشهر الكريم. فاذا ما خضعت كل هذه الامور الىٰ تخطيط صحيح فان ذلك

---

(١) الوافي، ج ١١، ص ٣٣.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٤.

سيكون رقماً له اهميته في حل مشكلة الفقراء.

وثالثة فوائد الصوم انه يعزز من ارادة الانسان، فالصوم يروّض النفس ويعلّمها التقوىٰ، فالصائم لا يغض بصره عن المحارم في هذا الشهر، بل ويمتنع عن الطعام والشراب. وهل هناك من امتحان للارادة اقوىٰ من هذا؟ فهو يجوع وفي منزله الطعام فلا يمدّه يده اليه ولا يفكر فيه كل ذلك تقرباً الىٰ الله عزّ وجل، يفعل ذلك علىٰ مدىٰ شهر كامل. فهذه مدرسة يتعلم المؤمن فيها الارادة وقهر النفس وترويضها علىٰ اتباع امر الله ونبذ وساوس الشيطان.

وقد قرن الله الصوم بالتقوىٰ تأكيداً علىٰ هذا الجانب من فلسفة الصوم. قال تعالىٰ: «يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب علىٰ الذين من قبلكم لعلكم تتقون»[1].

الاسئلة

١ ـ ماذا يتوجب علىٰ الصائم اجتنابه؟

٢ ـ الصوم جنّة من النار، اشرح هذه العبارة؟

٣ ـ في اي الحالات يجوز فيها الافطار للمكلّف؟

٤ ـ ما هي فوائد الصوم؟

٥ ـ كيف يسهم الصوم في حل مشكلة الفقر؟

٦ ـ كيف يربّي الصوم الانسان علىٰ التقوىٰ؟

---

(١) البقرة، الآية ١٨٣.

الحج

الحج من اكبر العبادات في الاسلام ومن اعظم اركانه، فعن الامام الباقر (عليه السلام) قال: بني الاسلام علىٰ خمسة اشياء: علىٰ الصلاة والزكاة والحج والصوم والولاية. فالحج من العبادات التي يشترط في قبولها نية القربة الىٰ الله عزّوجل، فمن اداها بقصد الرياء بطل حجه.

والحج شعائر تؤدىٰ في مكّة في أوقات معلومات من شهر ذي الحجة الحرام، وهذا ما يخصّ الحج الواجب. وما عدا ذلك فحج مستحب.

الحج عبادة كبرىٰ تنطوي علىٰ غايات عديدة وفوائد **عظيمة للامة** الاسلامية. قال تعالىٰ في محكم كتابه الكريم:

«واذّن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلىٰ كل ضامر يأتين من كل فج عميق. ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في ايام معلومات علىٰ ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير»[1].

رحلة للروح

من غايات الحج ومنافعه انه يزكي النفس ويربيها ويجعلها قريبة من الله عزّوجل، فالحج رحلة للروح، والحاج ينوي منذ انطلاقته الاولىٰ زيارة بيت

---

(١) الحج، الآيتان ٢٧ و ٢٨.

الله. وما اعظم أن يستشعر الانسان انه ذاهب الىٰ الله سبحانه وافد عليه، ولذا فهو يتخفف من ذنوبه ومظالمه، فاذا كانت لديه أموال للناس أعادها واذا كانت عليه حقوق أداها او آذىٰ احداً من جيرانه أو اخوانه اعتذر اليه؛ وهو بهذا يتخفف من ادران الدنيا متوجهاً بقلبه الىٰ الله، وبروحه الىٰ الحياة في الآخرة.

فالحاج يتحرك بهذه الحالة بهذا المستوىٰ من الشعور فيطوف بجسمه حول بيت الله الحرام وبقلبه حول العرش ممتلئاً فؤاده بذكر الله واليوم الآخر.

فاذا وقف في عرفات تذكر موقفه القادم يوم القيامة فيتضرع الىٰ الله بالمغفرة والرحمة.

فاذا رمىٰ الجمرات فكأنما يرمي الشيطان ونفسه الامارة بالسوء، وعندما يقدّم القرابين الىٰ الله يتذكر خليل الرحمن ابراهيم يوم همّ بذبح ابنه اسماعيل امتثالاً لامر الله. وهكذا تنطوي مراسم الحج وروحه تنتقل من مدرسة الىٰ **اخرىٰ، فاذا** انتهت شعر بأن روحه قد تطهرت من الادران، فيعقد العزم في نفسه **الاّ يعصي الله** بعد ذلك أبداً، فيعود وعليه وقار الحج الاكبر، وقد امتلأت روحه بالنور وقلبه بالسرور. وهذه من ابرز منافع الحج التي اشارت اليها الاحاديث.

عن الامام الصادق (عليه السلام) قال: الحج والعمرة سوقان من اسواق الآخرة، والعامل بهما في جوار الله، ان ادرك ما يأمل غفر الله له وان قصر به اجله وقع اجره علىٰ الله[١].

وعنه عليه السلام ايضاً: «اذا اخذ الناس منازلهم بمنى نادىٰ مناد: لو تعلمون بفناء من حللتم لأيقنتم بالخلف بعد المغفرة»[٢].

وعنه عليه السلام، قال: اذا اردت الحج فجرّد قلبك لله تعالى من كلّ شاغل وحجاب، وفوّض امورك الى خالقها، وتوكل عليه في جميع حركاتك

---

(١) الكافي، ج ٤، ص ٢٤٠.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٦٣.

وسكناتك، وسلّم لقضائه وحكمه وقدره، ودع الدنيا والراحة والخلق، واخرج من حقوق تلزمك من جهة المخلوقين، ولا تعمد علىٰ زادك وراحلتك واصحابك وقوتك وشبابك ومالك مخافة ان يصير ذلك عدواً ووبالاً. فان من ادعى رضى الله واعتمد على ما سواه صيره عليه وبالا وعدوا؛ ليعلم انه ليس له قوة ولا حيلة الا بعصمة الله وتوفيقه. فاستعد استعداد من لا يرجو الرجوع، وأحسن الصحبة، وراع اوقات فرائض الله وسنن نبيّه وما يجب عليك من الادب والاحتمال والصبر والشكر والشفقة والسخاوة وايثار الزاد علىٰ دوام الاوقات، ثم اغسل بماء التوبة الخالصة ذنوبك، والبس كسوة الصدق والصفا والخضوع والخشوع، واحرم من كلّ شيء يمنعك عن ذكر الله ويحجبك عن طاعته، ولبّ بمنى اجابة صادقة صافية خالصة زاكية لله في دعوتك متمسكاً بالعروة الوثقى، وطف بقلبك مع الملائكة حول العرش كطوافك مع المسلمين بنفسك حول البيت، وهرول هرباً من هواك. وتبرّأ من حولك وقوّتك، واخرج من غفلتك وزلاتك بخروجك الىٰ منى ولا تتمن ما لا يحل لك ولا تستحقّه، **واعترف** بالخطايا بعرفات، وجدّد عهدك عند الله بوحدانيته وتقرّب اليه **واتقه بمزدلفة**، واصعد بروحك الى الملأ الاعلى بصعودك الى الجبل، واذبح حنجرة الهوى والطمع عنك عند الذبيحة، وارم الشهوات والخساسة والدناءة والذميمة عند رمي الجمار، واحلق العيوب الظاهرة والباطنة بحلق شعرك، وادخل في امان الله وكنفه وسّره وكلاءته من متابعة مرادك بدخول الحرم ودخول البيت متحققاً لتعظيم صاحبه ومعرفة جلاله وسلطانه واستلم الحجر رضاً بقسمته وخضوعاً لعزته، ودع ما سواه بطواف الوداع، واصف روحك وسرك للقائه يوم تلقاه بوقوفك على الصفا، وكن بمرئى من الله تقياً عند المروة واستقم على شرط حجتك هذه ووفاء عهدك الذي عوهدت به مع ربّك وأوجبت له يوم لقائك،

واعلم ان الله لم يفرض الحج ولم يخصه من جميع الطاعات بالاضافة الىٰ نفسه بقوله تعالىٰ: (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا) ولا شرع نبيه صلّى عليه وآله سنة في خلال المناسك علىٰ ترتيب ما شرعه، الا للاستعداد والاشارة الىٰ الموت والقبر والبعث والقيامة وفصل بيان السبق من دخول الجنة اهلها ودخول النار اهلها بمشاهدة مناسك الحج من اولها الىٰ آخرها لاولي الالباب واولى النهى.[١].

وعن سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «من علامة قبول الحج اذا رجع الرجل عما كان عليه من المعاصي، هذا علامة قبول الحج، وان رجع من الحج ثم انهمك فيما كان عليه من زنا أو خيانة أو معصية فقد ردّ عليه حجه[٢].

وعنه (صلوات الله عليه وآله) في خطبة الغدير؛ قال: معاشر الناس حجّوا البيت بكمال الدين والتفقه، ولا تنصرفوا عن المشاهد الاّ بتوبة واقلاع **الخطيئة**»[٣].

مؤتمر عالمي

للحج فائدة ثانية تتجلّىٰ في ذلك المجتمع المليوني الكبير حيث يتدفق المسلمون من كل حدب وصوب للاشتراك جميعاً في اداء مراسم تجسّد وحدتهم واتحادهم، وفي هذه البقعة المباركة يلتقي أخوة من كل الالوان والاعراق وكلٌ يحمل همومه وهموم امته فيتعرّفون علىٰ بعضهم البعض في صفاء ومودّة ويصغي كل منهم الىٰ معاناة الآخر في تراحم وتضامن، وهذا ما اشارت اليه الآية الكريمة في قوله تعالىٰ «ليشهدوا منافع لهم» فالمسلمون امّة واحدة وهمّ مشترك واعضاء في اسرة كبيرة، وهم يتفقون جميعاً علىٰ:

---

(١) مستدرك الوسائل، ج ٢، ص ١٨٧. (٢) المصدر السابق، ص ١٨٦.
(٣) المصدر السابق، ص ١٨٨.

- نشر الثقافة الاسلامة الاصيلة بينهم وبين الامم الاخرى
- مواجهة الشرك والالحاد والطاغوت
- الدفاع عن استقلال الامة الاسلامة
- الدفاع عن الارض الاسلامية
- الدفاع عن حريم الاسلام ومواجهة مؤامرات الاعداء
- الدفاع عن الحق الاسلامي في كل مكان
- مواجهة الثقافة الغربية والمفاسد الاخلاقية
- تربية الجيل الصاعد تربية اسلامية
- الدفاع عن حقوق المرأة في ضوء ما يقرر الاسلام
- الدفاع عن حقوق الاطفال
- التضامن مع المحرومين والمستضعفين في العالم

وإلىٰ غير ذلك من الاهداف الانسانية والاخلاقية الاخرىٰ.

واذن فالحج يجسد امكانية اتحاد الامة الاسلامية في ظل الاستقلال والاخوة التي تربط بين افرادها، ومن هنا فان تشكيل جامعة اسلامية تضمّ كافة البلدان الاسلامية هو الخطوة الاولىٰ في هذا الطريق.

فيلتقي ممثلو الشعوب بعضهم لتبادل الهموم والاماني المشتركة، واتخاذ ما من شأنه تعزيز استقلال البلدان الاسلامية وامن شعبوها، فما اعظم الحج الذي يجسد ذلك في كل عام، وهل هناك ما هو اقدس من مكة مهبط الوحي وبيت الله العتيق. قال تعالىٰ:

ـ «ان اول بيت وُضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدىٰ للعالمين. فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمناً ولله علىٰ الناس حج البيت من استطاع

اليه سبيلاً ومن كفر فان الله غني عن العالمين»[١].

ـ «واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلّىٰ وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل ان طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود»[٢].

ـ «جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض وان الله بكل شيء عليم»[٣].

وفي هذه الآيات نجد ان الكعبة مكان مبارك وقيام ومثابة للناس وهدىٰ للعالمين، ومن دخله كان آمنا. واذن فان بيت الله الحرام هو افضل مكان للجامعة الاسلامية، وان تشكيلها سيكون من ابرز منافع الحج، وان تأسيس هذه الجامعة سيكون لها ولا ريب تأثير كبير في الحفاظ علىٰ استقلال الدول الاسلامية والدفاع عن حقوق المسلمين في العالم.

وفي هذه الظروف وقبل تحقيق مثل هذا الهدف الكبير، يمكن الاستفادة من مناسبات الحج لاقامة المؤتمرات المختلفة والندوات في الحرمين الشريفين، والسعي ما امكن لتوثيق العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية بين الدول الاسلامية، والاعداد لتشكيل الجامعة الاسلامية.

الوحدة

وللحج فائدة ثالثة تتجسد في تجديد التضامن بين المسلمين واستعراض قوّتهم أمام العالم، فالاسلام دين التوحيد الخالص الذي يرفض كل اشكال الشرك. والمسلمون مأمورون برفع راية التوحيد في كل ربوع العالم ومواجهة

---

(١) آل عمران، الآيتان ٩٦ و ٩٧.
(٢) البقرة، الآية ١٢٥.
(٣) المائدة، الآية ٩٧.

الكفر والطاغوت والوثنية، وهم لا يخافون في ذلك لومة لائم، يبرأون من الشرك والمشركين كما فعل ذلك علي بن ابي طالب (عليه السلام) في الكعبة بامر رسول الله سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) عندما تلا سورة (براءة) التي اعلنت بشكل قاطع ان المشركين نجس فلا يدخلوا المسجد الحرام.

«وأذان من الله ورسوله الىٰ الناس يوم الحجّ الاكبر ان الله بريء من المشركين ورسولُه فان تبتم فهو خير لكم وان توليتم فاعلموا انكم غير معجزي الله وبشّر الذين كفروا بعذاب اليم»[1].

وكان هذا اعلانا بانتهاء وسقوط الوثنية فاصبح المسلمون مسؤولين عن تنفيذ ذلك بعد رحيل الرسول الاكرم الىٰ الرفيق الاعلىٰ.

واذن فان اعلان البراءة من المشركين في مراسم الحج الاكبر ما يزال حتىٰ اليوم امراً ضرورياً ومطلوباً من المسلمين كافّة؛ ذلك ان راية التوحيد ماتزال في مهبّ عواصف الكفر وما يزال الشرك ضارباً اطنابه في العالم، وما يزال الظالمون والجبابرة يسومون الشعوب سوء العذاب، وما يزال اليهود يحتلون الارض المقدسة في فلسطين. وهل هناك مكان افضل لاعلان البراءة من الشرك والكفر، من الكعبة؛ رمز التوحيد في العالم كلّه.

---

(١) التوبة، الآية ٣.

الاسئلة

١ ـ لاي شيء يرمز الوقوف في عرفات؟

٢ ـ ماذا يجسّد رمي الجمرات؟

٣ ـ ما هي علامة قبول الحج في ضوء حديث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)؟

٤ ـ ما هو انسب مكان لاقامة الجامعة الاسلامية ولماذا؟

٥ ـ ما هو اعلان البراءة؟ اشرح الآية التي تضمنت ذلك.

٦ ـ ما هو افضل مكان لاعلان البراءة من المشركين ولماذا؟

الدعاء

الدعاء في اللغة الطلب الممزوج بالضراعة، ولابدّ ان يكون المدعو عـاقلاً مدركاً لما يقوله الداعي وقادراً علىٰ اجابة طلبه في الوقت نفسه. ومن هنا فلا الجمادات ولا الحيوانات تطلب شيئاً.

امّا الانسان فهو يمد يده الىٰ الله متضرعاً لانه يدرك تماماً بان الله عزّ وجل هو وحده السميع العليم القادر.

والدعاء لدى الانسان حاجة طبيعية، ذلك أنه موجود معلول متعلّق بعلّته الاولىٰ وهو الله عزّ وجل. وهو بدون الفيض الالهي لا يعيش حتىٰ لحظة واحدة، وهو في ذاته وصفاته متعلّق بالله، بل هو عين الفقر.

وهكذا موجودٍ عاجزٍ، محتاجٍ فقير، ليس أمامه سوىٰ طريق واحد؛ هو ان يتجه الىٰ الخالق المالك الغني الفياض، يمّد اليه يداً ويخاطبه بانكسار يعبّر له عن عبوديته وحاجته ويعترف له بعجزه وفقره.

ومن هنا فالدعاء في جوهره ارتباط المخلوق العاجز بالخالق العظيم، ومثل هكذا علاقة تمنح الانسان شعوراً بالطمأنينة والسلام، فهو يواجه كل مـصاعب الحياة بروح قوية تستمد قوّتها من الله القدير خالق الانسان وصانع الحياة.

والدعاء من افضل العبادات لانه يجسد اقصىٰ درجات التضرع والخضوع.

وهذا ما اشار اليه القرآن الكريم في آيات عديدة.

قال تعالىٰ: «ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين»[١].

وتشير الآية هنا الىٰ ان ترك الدعاء هو من مظاهر الاستكبار في الارض.

عن حنان بن سدير عن ابيه قال: قلت لابي جعفر (الباقر) عليه السلام: أيّ العبادة افضل؟ فقال: ما من شيء افضل عند الله عزّ وجل من ان يسأل ويطلب مما عنده وما من احد ابغض الىٰ الله عزّ وجل ممن يستكبر عن عبادته ولا يسأل ما عنده[٢].

وعن سيف بن التمّار قال: سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول: عليكم بالدعاء فانكم لا تقربون بمثله، ولا تتركوا صغيرة لصغرها ان تدعوا بها، ان صاحب الصغار هو صاحب الكبار[٣].

وعن حماد بن عيسى عن ابي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: ادع ولا تقل قد فرغ من الامر، فان الدعاء هو العبادة، ان الله عزّ وجل يقول: «ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين» وقال: «ادعوني استجب لكم»[٤].

فالدعاء عبادة تتم بقصد التقرّب الى الله عزّ وجل ويترتب عليها ثواب الله في يوم القيامة. وعلىٰ العبد المؤمن أن يدعو ربّه في كل شيء صغيراً أو كبيراً لان العبد محتاج، والرب قادر على كل شيء، رحيم بعباده.

والدعاء يتم بكل لغة كانت وان كان من الافضل ان نعبر عن حاجاتنا بلغة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وبأدب الائمة من اهل البيت عليهم السلام.

---

(١) غافر، الآية ٦٠.
(٢) الكافي، ج ٢، ص ٤٦٦.
(٣) المصدر السابق، ص ٤٦٧.
(٤) المصدر السابق.

سؤال وجواب

لقد وعدنا الله سبحانه باجابة دعائنا، ولكننا ندعو في بعض الاحيان فلا نجد جواباً لدعائنا ولا استجابة لطلبنا، فما هو السبب في ذلك؟

قال تعالىٰ في محكم كتابه الكريم:

«واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعاني، فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون»[١]

وفي الجواب عن السؤال: ان الله عزّ وجل اشترط في اجابة الدعاء بـ «اذا دعان» وهذه دلالة مهمّة، وهي ان علىٰ الداعي حصر الدعاء لله فقط وان يكون ذلك متجسّداً في اعماق النفس وصميم القلب وأنه لا يأمل ذلك من غير الله، فالانقطاع الىٰ الله هو من شروط اجابة الدعاء. فكلما تجلّىٰ هذا المعنىٰ في ذات الانسان تضاعف الامل باجابة الدعاء.

ولكن الغالب فيما نراه من الدعاء انه لا يتعدىٰ لقلقة اللسان فقط، اما اعماق النفس فنجد تعلّقاً باسباب اخرىٰ زائلة دون الله القادر المتعال.

وهذا ما نجد في بعض الاحاديث:

عن سليمان بن عمر قال: سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول: ان الله عزّوجل لا يستجيب دعاء بظهر قلب ساه، فاذا دعوت فأقبل بقلبك ثم استيقن الاجابة[٢].

وعن امير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) قال: لا يقبل الله عزّوجل دعاء قلب لاه[٣].

---

(١) البقرة، الآية ١٨٦.
(٢) الكافي ج ١، ص ٤٧٣.
(٣) المصدر السابق.

وعن موسىٰ بن جعفر الكاظم (عليه السلام) قال: قال قوم للصادق (عليه السلام): ندعو فلا يستجاب لنا؟ قال لأنكم تدعون من لا تعرفونه[١].

وعن موسىٰ بن جعفر (عليه السلام) عن ابيه جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: يقول الله عزّ وجل: ما من مخلوق يعتصم بمخلوق دوني الّا قطعت به اسباب السماوات واسباب الارض من دونه، فان سألني لم اعطه، وان دعاني لم اجبه. وما من مخلوق يعتصم بي دون خلقي الا ضمنت السماوات والارض رزقه، فان دعاني اجبته وان سألني اعطيته وان استغفرني غفرت له»[٢].

وقد لا يستجاب الدعاء لمصلحة لا يدركها المرء عند دعائه، فالانسان لا يدعو الا لمصلحة ما، ولكنه غافل عن ان اجابة دعائه سيكون في ضرره هو، وهو لا يدرك ذلك. ومن هنا فان الله لا يجيب دعاءه لأنه يريد الخير لعبده.

وربّما اراد الله لعبده ثواب الآخرة وهو اعظم وابقىٰ من اجابة دعائه في الدنيا؛ وهي مهما بلغت فانها الىٰ زوال وفناء.

وهذا ما اشارت اليه بعض الاحاديث:

عن اسحاق بن عمّار عن ابي عبد الله (عليه السلام) قال: ان المؤمن ليدعو الله عزّ وجل من حاجته، فيقول الله عزّ وجل: أخّروا اجابته؛ شوقاً الىٰ صوته ودعائه، فاذا كان يوم القيامة قال الله عزّ وجل: عبدي! دعوتني فأخرت اجابتك وثوابك كذا وكذا، ودعوتني في كذا وكذا فاخرت اجابتك وثوابك كذا وكذا، قال: فيتمنىٰ المؤمن انه لم يستجب له دعوة في الدنيا مما يرىٰ من حسن

---

(١) بحار الانوار، ج ٩٣، ص ٣٨٦.

(٢) بحار الانوار، ج ٧١، ص ١٥٥.

الثواب.[١]

واذن فلا دعاء يبقىٰ دون اثر. وهو في كل الاحوال عبادة تطهّر النفس، وعليها ثواب.

سؤال آخر

ربّ قائل يقول: انه لا جدوى من الدعاء، لان ما يطلبه الانسان من الله واحد من امرين: اما ان يكون قدَراً الٰهياً له اسبابه الطبيعية، فتوفير الاسباب يؤدي الىٰ النتيجة، أو انه ليس مقدراً وليس له اسبابه الطبيعية، وهنا ايضاً لا معنىٰ للدعاء لأن الله جعل لكل شيء سبباً وقد ابىٰ الله ان يجري الامور الا باسبابها؛ فلا طائل من وراء الدعاء.

الجواب

في الجواب عن هذا السؤال نقول: ان الاسلام لا ينكر تأثير الاسباب في المسببات وحاجة المعلول الىٰ علته، ولكن يمكن القول في شأن الدعاء انه جزء من الاسباب والعلل وحلقه من حلقاتها، وبه تصبح العلّة تامة فيأتي المعلول اثرها.

فالدعاء سبب من الاسباب وعلّة من العلل وبه يتحقق السبب التام في الاجابة وبه يردّ القضاء، كما ورد ذلك في الاحاديث:

عن بسطام الزيّات عن ابي عبد الله (عليه السلام) قال: ان الدعاء يردّ القضاء وقد نزل من السماء وقد ابرم ابراما[٢].

وعن عمر بن يزيد قال: سمعت ابا الحسن (موسىٰ بن جعفر) عليه السلام

---

(١) الكافي، ج٢، ص٤٩٠ (٢) الكافي، ج ٢ ص ٤٦٩.

يقول: ان الدعاء يردّ ما قد قُدّر وما لم يقدّر، قلت: وما قدّر عرفته، فما لم يقدّر؟ قال: حتىٰ لا يكون[١].

عن عبد الله بن سنان قال: سمعت ابا عبد الله الصادق (عليه السلام) يقول: الدعاء يردّ القضاء بعد ما ابرم ابراما. فأكثر من الدعاء فانه مفتاح كل رحمة ونجاح كل حاجة، ولا ينال ما عند الله عز وجل الا بالدعاء وانه ليس باب يكثر قرعه الا يوشك ان يفتح لصاحبه[٢].

وعن ابي ولاد قال: قال ابو الحسن موسىٰ (عليه السلام): عليكم بالدعاء فان الدعاء لله والطلب الىٰ الله يردّ القضاء وقد قدّر وقضي ولم يبق الا امضاؤه، فاذا دعي الله عزّ وجل وسئل صرف البلاء صرفه[٣].

الاسئلة

١ ـ ما معنىٰ الدعاء في الفقه؟

٢ ـ لماذا يتجه الانسان بالدعاء الىٰ الله؟

٣ ـ لماذا كان الدعاء عبادة؟

٤ ـ ما هو شرط استجابة الدعاء؟

٥ ـ لماذا لا يستجاب الدعاء احيانا؟

٦ ـ كيف نردّ علىٰ من يقول: لا جدوىٰ من الدعاء؟

٧ ـ الدعاء جزء من الاسباب الطبيعية. اشرح ذلك.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) الكافي، ج ٢، ص ٤٧٠.

(٣) المصدر السابق.

الجهاد والدفاع

الجهاد في اللغة يعني السعي وتحمل المشاق في طريق تحقيق الهدف. واصطلاحاً هو عبارة عن بذل اقصىٰ درجات السعي في الحرب من اجل نشر الاسلام واعلاء كلمة التوحيد او الدفاع عن الاسلام والمسلمين.

والجهاد احد احكام وتكاليف الاسلام الهامّة ويحتل منزلة خاصّة في الشريعة؛ ذلك ان بقاء الاسلام واستمرار قوّته واستقلال المسلمين وتطبيق شرع الله في الارض ينهض علىٰ اساس هذه الفريضة. ومن هنا نجد تأكيداً واسعاً في العمل به. قال تعالىٰ:

ـ «ام حسبتم أن تدخلوا الجنّة ولمّا يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين»[1].

ـ «يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير»[2].

ـ «كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسىٰ ان تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسىٰ ان تحبّوا شيئاً وهو شرٌ لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون»[3].

---

(١) آل عمران، الآية ١٤٢.
(٢) التوبة، الآية ٧٣.
(٣) البقرة، الآية ٢١٦.

ـ «لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولى الضرر والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم فضّل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم علىٰ القاعدين درجة وكلاً وعد الله الحسنىٰ وفضّل الله المجاهدين علىٰ القاعدين اجراً عظيما»[١].

ـ «ان الله يحبّ الذين يقاتلون في سبيله صفّاً كأنهم بنيان مرصوص»[٢].

وعن امير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) قال: امّا بعد فان الجهاد باب من ابواب الجنّة فتحه الله لخاصة اوليائه وسوغهم كرامة منه لهم ونعمة ذخرها، والجهاد هو لباس التقوىٰ ودرع الله الحصينة وجنته الوثيقة، فمن تركه رغبة عنه البسه الله ثوب الذلّ وشمله البلاء وفارق الرضا وديث بالصغار والقماءة وضرب علىٰ قلبه بالاسداد واديل الحق منه بتضييع الجهاد وسيم الخسف ومنع النصف[٣].

وعن سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: للجنّة باب يقال له: باب المجاهدين، يمضون اليه فاذا هو مفتوح، وهم متقلّدون بسيوفهم والجمع في الموقف والملائكة ترحب بهم. ثم قال: فمن ترك الجهاد البسه الله عزّ وجل ذلاً وفقراً في معيشته، ومحقاً في دينه، ان الله عزّ وجل أغنىٰ امتي بسنابك خيلها ومراكز رماحها[٤].

وعن امير المؤمنين علي (عليه السلام) قال: ان الله عزّ وجل فرض الجهاد وعظّمه وجعله نصره وناصره، والله ما صلحتْ دنيا ولا دين الّا به[٥].

الجهاد ينقسم الىٰ قسمين: جهاد ابتدائي وجهاد دفاعي.

---

(١) النساء، الآية ٩٥.
(٢) الصف، الآية ٤.
(٣) الكافي، ج ٥، ص ٦.
(٤) المصدر السابق، ص ٢.
(٥) المصدر السابق، ص ٨.

الجهاد الابتدائي:

بعث الله عزّ وجل سيدنا محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) لمواجهة الشرك والكفر ودعوة الناس الىٰ دين الاسلام. والاسلام يدافع عن المحرومين والمظلومين، ويشن حرباً علىٰ الظالمين.

وكان سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في مطلع الدعوة الاسلامية يدعو قومه بالتي هي أحسن ويبين لهم الحكمة والموعظة الحسنة وما هم عليه من الضلالة في عبادة الاصنام والاوثان وظلم القوي للضعيف، وكان في كل ذلك ثابتاً لا تأخذه في الله لومة لائم. ولكن رؤوس الشرك والكفر وقفت في طريق الاسلام وعدّته خطراً يتهدد مصالحها بالزوال، فراحوا يحوكون المؤامرات تلو المؤامرات لتقويض رسالة الاسلام.

ولم يكن امام سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) واصحابه الّا استخدام القوّة والجهاد في سبيل الله واعلاء كلمة الحق، فهؤلاء الظالمون يقفون سدّاً منيعاً في طريق تحقيق حكم الله في الارض.

وهكذا يمكن القول ان الجهاد الابتدائي كان نوعاً من انواع **الدفاع عن** النفس. قال تعالىٰ:

ـ «وان نكثوا أَيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا ائمة الكفر انهم لا أَيمان لهم لعلّهم ينتهون. الا تقاتلون قوماً نكثوا أَيمانهم وهمّوا بإخراج الرسول وهم بدأوكم اول مرّة اتخشونهم فالله احق ان تخشوه ان كنتم مؤمنين»[1].

ـ «وقاتلوهم حتىٰ لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الّا علىٰ الظالمين»[2].

---

(١) التوبة، الآيتان ١٢ و ١٣.

(٢) البقرة، الآية ١٩٣.

الجهاد الدفاعي:

الجهاد الدفاعي جهاد من اجل الدفاع عن حياض الاسلام وكيان المسلمين وبلادهم، وهو يتحقق في حالات:

■ **هجوم العدو علىٰ الدولة الاسلامية أو التآمر علىٰ الاسلام.**

قال تعالىٰ: «وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين»[١].

■ **تخطيط العدو لاحتلال ارض اسلامية**

قال تعالىٰ: «أُذن للذين يقاتَلون بانهم ظُلموا وان الله علىٰ نصرهم لقدير. الذين أُخرجوا من ديارهم بغير حق الّا ان يقولوا ربّنا الله»[٢].

■ **وقوع العدوان من دولة اسلامية علىٰ دولة اسلامية اخرىٰ**

وفي هذه الحالة يحق للدولة المعتدىٰ عليها الدفاع عن نفسها كما يجب **علىٰ سائر** الدول الاسلامية الاخرىٰ السعي من اجل احلال السلام وردع المعتدي؛ والاّ فدخول الحرب ضدّها.

قال تعالىٰ: «وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما علىٰ الاخرىٰ فقاتلوا التي تبغي حتىٰ تفيء الىٰ امر الله فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ان الله يحب المقسطين»[٣].

■ **وقوع العدوان علىٰ ثروات ومقدّرات الدولة الاسلامية.**

■ **تعرّض حرمات المسلمين لانتهاكات العدو**

قال تعالىٰ: « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدّمت صوامع وبيع

---

(١) البقرة، الآية ١٩٠.
(٢) الحج، الآية ٣٩.
(٣) الحجرات، الآية ٩.

وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز[١].

■ **الدفاع عن المحرومين عند تعرضهم لعدوان المستكبرين**

قال تعالىٰ: «ومالكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربّنا أخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيرا»[٢].

■ **الدفاع عن الاخلاق والثقافة الاسلامية ومنع الثقافة المضادة للاسلام**

وهذا يعد دفاعاً عن كرامة واستقلال وشرف المسلمين، وليس ذلك حقاً فحسب بل مسؤولية تقع علىٰ عاتقهم جميعاً. وفي غير ذلك سيحيق بهم عذاب الله في الآخرة وذلّة الحياة في الدنيا.

قال تعالىٰ: «قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتىٰ يأتي الله بامره والله لا **يهدي القوم الفاسقين**»[٣].

ومن هنا فان الجهاد والدفاع في سبيل الله من احكام الاسلام وتكاليفه الكبرىٰ وعليه يتوقف مجد الاسلام وعظمته، ومادام الجهاد في سبيل حيّاً في ضمير المسلمين كان استقلالهم وعزّتهم وكرامتهم ومجدهم محفوظاً وكيانهم مصوناً.

وعندما يسقط الجهاد من ثقافة المسلمين يكون نصيبهم الذل والخسران وانكسرت شوكتهم وأصبحوا لقمة سائغة للطامعين.

---

(١) الحج، الآية ٤٠.
(٢) النساء، الآية ٧٥.
(٣) التوبة، الآية ٢٤.

وما أوضاع المسلمين المؤسفة اليوم الّا نتيجة لتركهم الجهاد وركونهم الىٰ حياة الدعة التي لا تجلب لهم في النهاية غير الهوان. واذا ما اردنا النهوض بامتنا الاسلامية اليوم فما علينا الا ان نبعث روح الجهاد في ضمير الامّة واحيائه في الثقافة الاسلامية من جديد.

الاسئلة

١ ـ ما هو الجهاد لغة؟

٢ ـ متى يتحقق الجهاد الابتدائي في الشريعة الاسلامية؟

٣ ـ متى يتوجب الجهاد الدفاعي؟

٤ ـ ما هي اسباب انحطاط المسلمين اليوم وما هو الطريق للنهوض بالامة من جديد؟

الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

المعروف ما كان خيراً، والمنكر ماكان شرّاً، فالامر بالمعروف دعوة للخير والصلاح من الاعمال، والنهي عن المنكر تحذير من شرور الاعمال وردعها، وهما من واجبات الاسلام وتكاليفه العامّة، وعليهما يتوقف إقامة كثير من الفرائض بما في ذلك الجهاد في سبيل الله، ولهذا اكدت الآيات القرآنية الكريمة على ضرورة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال تعالىٰ: «ولتكن منكم امّة يدعون الىٰ الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون»[1].

وقال تعالىٰ علىٰ لسان لقمان: «يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانهَ عن المنكر واصبر علىٰ ما اصابك ان ذلك من عزم الامور»[2].

وقال تعالىٰ: «كنتم خير امّة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكروتؤمنون بالله»[3].

عن محمد بن عمر بن عرفة قال: سمعت أبا الحسن (عليه السلام) يقول: اتأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر او ليستعملن عليكم شراركم فيدعو

---

(١) آل عمران، الآية ١٠٤.
(٢) لقمان، الآية ١٧.
(٣) آل عمران، الآية ١١٠.

خياركم فلا يستجاب لهم[١].

وعن حذيفة بن اليمان عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف وتنهن عن المنكر أو ليوشكنّ الله ان يبعث عليكم عقاباً ثم تدعونه فلا يستجاب لكم[٢].

وعن جابر عن ابي جعفر عليه السلام قال: يكون في آخر الزمان قوم ينبع فيهم قوم مراءون يتقرأون يتنسكون، حدثاء سفهاء، لا يوجبون امراً بمعروف ولا نهياً عن منكر الّا اذا أمنوا الضرر ويطلبون لانفسهم الرخص والمعاذير، يتبعون زلّات العلماء وفساد عملهم، يقبلون على الصلاة والصيام وما لا يكلمهم في نفس ولامال، ولو اخرت الصلاة بسائر ما يعملون باموالهم وابدانهم لرفضوها كما رفضوا اسمى الفرائض واشرفها، وان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فريضة عظيمة بها تقام الفرائض، هنالك يتمّ غضب الله عزّ وجل عليهم فيعمهم بعقابه فيهلك الابرار في دار الفجار، والصغار في دار الكبار. ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الانبياء ومنهاج الصلحاء فريضة عظيمة تقام بها الفرايض وتأمن المذاهب وتحلّ المكاسب وتردّ المظالم وتعمر الارض وينتصف من الاعداء ويستقيم الامر، فانكروا بقلوبكم والفظوا بألسنتكم وسكوا بها جباههم ولا تخافوا في الله لومة لائم، فان اتّعظوا وإلى الحق رجعوا فلا سبيل عليهم، انما السبيل علىٰ الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق اولئك لهم عذاب اليم. هنالك فجاهدوا بابدانكم وابغضوا بقلوبكم غير طالبين سلطاناً ولا باغين مالاً ولامريدين بظلم ظفراً حتىٰ يفيئوا الىٰ امر الله ويمضوا علىٰ طاعته[٣].

وهناك سند كبير من الآيات والاحاديث التي تؤكد اهمية الامر بالمعروف

---

(١) الكافي، ج ٥، ص ٥٩.

(٢) سنن الترمذي، ج ٤، ص ٤٦٨.

(٣) الكافي، ج ٥، ص ٥٥.

والنهي عن المنكر ومدىٰ ما اولاهما الاسلام من عناية خاصّة كعبادة في مصاف العبادات الكبرىٰ، حتىٰ صارت طابعاً لأفضل امّة اخرجت للناس.

وهذه الوظيفة الشرعية لا تقع علىٰ عاتق شخص دون آخر فالكل مسؤلون عن نشر المعروف ومحاربة المنكر؛ وبهذا يحتفظ المجتمع الاسلامي بنظافته اخلاقياً واجتماعياً من كل الموبقات والمفاسد.

فالاسلام لا يطلب من الفرد المسلم أن يكتفي بتطهير نفسه وروحه وسلوكه من الشوائب والمنكرات وان يقوم بالصالحات من الاعمال بل يلزمه ايضاً في محاربة المنكر من حوله ونشر الفضيلة والخير وصالح الاعمال بين المسلمين، فهم اخوته في الدين والعقيدة والحياة، يسوؤه ما يسوؤهم ويسعده ما يسعدهم. قال تعالىٰ: «والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون وينهون عن المنكر»[1].

ان كل الاحاديث تؤكد ان المسلمين وفي كل مكان من هذا العالم يشكلون امّة واحدة وكل فرد في هذه الامّة يتحمل مسؤوليته امّته فهو مسؤول عن نشر قيم الاسلام وثقافته والارتقاء بثقافة المسلمين الىٰ المستوىٰ الاسلامي، ومحاربة الرذائل والمفاسد الاخلاقية والاجتماعية والعدوان علىٰ حقوق الآخرين، وان يسعىٰ في أن يكون فرداً نافعاً لامته. والاسلام لا يكتفي بأن يكون المسلمون متضامنين فيما بينهم في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بل يطلب منهم ان يكونوا امّة وسطاً تدعو سائر امم العالم بالمعروف وتنهاها عن المنكر، وفي هذا ما يجعلها وجهاً لوجه امام قوىٰ الكفر والظلم في العالم بأسره، وحامية عن حقوق الانسان في كل مكان.

قال تعالىٰ: «هو الذي ارسل رسوله بالهدىٰ ودين الحق ليظهره علىٰ الدين

---

(١) التوبة، الآية ٧١.

كلّه ولو كره المشركون»[١].

وقال تعالىٰ: «الذين ان مكّناهم في الارض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأَمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور»[٢].

وقال عزّ وجل: «وكذلك جعلناكم امّة وسطاً لتكونوا شهداء علىٰ الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً»[٣].

وفي ضوء ما تقدم كيف تنهض الامّة الاسلامية بواجبها تجاه العالم؟

ان ذلك يتطلب اعداداً واستعداداً كبيراً، ويمكن الاشارة هنا الىٰ ما يلي:

- تشخيص المعروف والمنكر ومعرفة حدودهما؟
- الاحاطة بالاوضاع السياسية والاقتصادية، والاجتماعية والدينية والاخلاقية لشعوب وامم العالم.
- الاطلاع الكافي علىٰ اديان ومذاهب وتقاليد الشعوب.
- البث الاذاعي وبمختلف اللغات
- اصدار الصحف والمجلات الدينية وبمختلف اللغات
- تأليف وترجمة الكتب اللازمة والمناسبة وتوزيعها في العالم
- اعداد مبلغين مثقفين اسلامياً يتقنون مختلف اللغات الاجنبية.
- ويبقىٰ تأسيس مركز ثقافي عالمي علىٰ رأس كل هذه التدابير.

مراحل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

للامر بالمعروف والنهي عن المنكر مراحل تتم باشكال مختلفة.

المرحلة الاولىٰ: الانكار القلبي والاحساس بالالم جرّاء ممارسة عمل

---

(١) التوبة، الآية ٣٣.
(٢) الحج، الآية ٤١.
(٣) البقرة، الآية ١٤٣.

منكر ما امام عينيه وهو خلاف للشرع، وبالطبع فمثل هكذا مشاعر اذا تجسدت لدىٰ الآخرين احساساً بالمرارة، فان ذلك الفرد قد يتراجع ويشعر بالندم، وبالتالي انتفاء المراحل الاخرىٰ.

المرحلة الثانية: الانكار علناً وابداء الاعتراض حول ممارسة منكر معين وبالطبع يبدأ ذلك بالموعظة والنصيحة والحديث بهدوء فاذا لم يؤثر ذلك يرفع الآمر بالمعروف صوته ويخاطبه بحزم والتهديد باستخدام القوّة.

المرحلة الثالثة: التوسل بالقوة؛ ويتم ذلك تدريجياً ايضاً منع مرتكب المنكر بدفعه فاذا لم يؤثر فضربه ويكون الضرب متدرجاً ايضاً. ويشترط في كل ذلك الا يتحول الىٰ صراع.

فهدف هذه العبادة ليس الفوضىٰ والشجار وتقييد الحرّيات. ان هدفها الاسمىٰ هو تطهير المجتمع من الرذائل وجعله مجتمعاً صالحاً سليماً من كل الامراض الاخلاقية. ومن المنطقي ان تكون الاساليب حسبما تتطلبه الحاجة.

وهناك اجراءات اكثر شدّة للامر بالمعروف والنهي عن المنكر مثل تنفيذ الحدود الشرعية، القصاص، التعزيرات، ولكن ذلك كلّه ينبغي ان يتم باشراف الاجهزة القضائية ومقرراتها.

الاسئلة

١ ـ ماذا يعني الامر بالمعروف والنهي عن المنكر؟

٢ ـ ماهو موقع الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بالنسبة لسائر الاحكام الاخرىٰ؟

٣ ـ ما هي مسؤولية المسلمين تجاه بعضهم؟

٤ ـ ما هو دور الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في المجتمع؟

٥ ـ ما هي مسؤولية الامّة الاسلامية تجاه العالم؟

٦ ـ عدّد مراحل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وطرق الاستفادة منها؟

اوضاع المسلمين في العالم ومسؤوليتنا

يتجاوز عدد المسلمين في العالم اليوم ألف مليون انسان، وهم يقطنون المناطق الحساسة والاستراتيجية، وتزخر ارضهم بخزين هائل من الثروات الطبيعية والانسانية. ويشهد تاريخهم بالحضارة والتمدّن والثقافة. وكانوا فيما مضىٰ قوّة عظيمة بل القوة الاولىٰ في العالم، وتحتل دولتهم اراضٍ شاسعة حيث يرتفع العلم الاسلامي خفاقاً في الربوع المترامية. ولقد كان عليهم ان يحافظوا علىٰ ذلك الكيان المهيب والمجد المشرق ولكن...

لقد ولّىٰ ذلك المجد واندثرت تلك الحضارة العريقة، وشيئاً فشيئاً تمزق الكيان الاسلامي حتىٰ اصبح نهباً للمغيرين، وها نحن اليوم نشهد هذا الوضع المؤسف في ارضنا الاسلامية في هذه النقطة او تلك من دنيا الله.

بالرغم من ان الاسلام يعتبر المسلمين في العالم امّة واحدة وان عليهم الانضواء تحت لواء دولة واحدة أو دول تضمها جامعة كبرىٰ، تجسد مصالحهم واهدافهم، الا اننا نشاهد هذه الكتلة البشرية الهائلة موزعة في دول صغيرة وكبيرة متفرقة؛ كل ذلك بسبب الجهل والتعصب القومي ومؤامرات الاعداء. فالمسلمون اليوم ـ ومع بالغ الاسف ـ لا يمثلون مقومات الامّة الواحدة في الهمّ والمصير. كما ان الاسلام لا يمتلك حاكميته في هذه الدول المتناثرة هنا وهناك،

فالنفوذ بايدي افراد بعيدين عن روح الاسلام وغاياته السامية. كما ان اغلب الحكومات في هذه الدول حكومات لا دينية بل ومناهضة للدين في بعض الاحيان. وهكذا اصبحت بلادنا الاسلامية في دوائر النفوذ الاجنبي، فالاجانب هم اصحاب القرار في شؤوننا الداخلية وعلىٰ جميع الاصعدة من سياسة واقتصاد، وعلوم وصناعات، وادارة وقوانين وفي الزراعة وتربية الماشية.

كما اضحت تروانتا الطبيعية نهباً للغرباء يتخطفونها بثمن بخس.

ونجح الاعداء في زرع روح الفرقة والخلاف بين البلدان الاسلامية. وبين فترة وأخرى تجتاح دولة اسلامية اراضي الدولة الاخرىٰ، وتتضاعف استيرادات الاسلحة من اجل حروب بين الاخوة، ويعقدون الاتفاقيات مع الاعداء في التعاون الامني والعسكري ضد بعضهم البعض.

ومع الاسف فان اغلب الدول الاسلامية اليوم مبتلاة بهذا المرض الوبيل بصورة مباشرة أو غير مباشرة، وفي كل فترة نجد تقارباً بين دولة اسلامية ما مع العدو، وتتوحد الاهداف والغايات فتزداد غربة عن الدول الاسلامية الاخرىٰ، حتىٰ اصحبت الثقة معدومة فيما بينها.

والانكىٰ من هذا أن بعض الدول قد اصبحت ألعوبة بايدي الاجانب يحرّكونها في الاتجاه الذي يريدون فيحققون مصالح الاجانب ضاربين مصالح شعوبهم عرض الجدار.

اليس من المؤسف اليوم أن نجد اكثر الحكومات في البلاد الاسلامية لادينية بل ومتناقضة مع الدين، وتعلن صراحة محاربتها للحركات الاسلامية أو الاصولية علىٰ حدّ تعبير الساسة من الذين باعوا انفسهم للاجنبي؟!

وفي خضم هذه الحرب المعلنة ضد الاسلام ضاعت القدس واغتصبت الارض المقدسة في فلسطين واصبح المسجد الاقصىٰ اسيراً في قبضة اشرس

اعداء الاسلام وهو قبلة المسلمين الاولىٰ.

ومنذ نصف قرن واصحاب الارض مشرّدون في بقاع العالم لا وطن لهم، ولا ارض لديهم، فيما نهضت اسرائيل دولة متغطرسة تمارس العدوان يومياً ضد المسلمين مستخدمة في ذلك كل اسلحة الدمار والفناء، فاسرائيل اليوم لا تعدّ خطراً محدوداً. انها خطر يهدد وجود الكيان الاسلامي برمّته. ولهذا فهي تحظىٰ بدعم دول الاستكبار.

واذا كانت فلسطين تمثل جرحاً قديماً تعوّدنا آلامه ومرارته، فاننا نشهد اليوم جروحاً نازفة في ارض البوسنة، حيث شهد ويشهد الشعب البوسني المظلوم مذابح مروّعة ينفذها الصرب المتوحشون. كل ذلك والعالم يقف متفرجاً كأنه يشاهد مسرحية لا غير.

ورغم كل هذه الجرائم وانتهاك الاعراض، وبرغم المقابر الجماعية، فلم يتحرك الرأي العام لوقف مسلسل الفناء في قلب أوربا التي يدّعي ساستها انها تدافع عن حقوق الانسان.

انهم لم يكتفوا بعدم مساعدة هذا الشعب الاعزل، بل حرموه من تسليح نفسه لصدّ العدوان الهمجي ووقفوا بكل وقاحة في وجه كل من يريد تقديم العون له، وراحوا يمدّون الصرب بمساعدات في الافراد والمعدّات.

فاين هي الحضارة والمدنية وشعارات حقوق الانسان؟ وليس الامس ببعيد يوم اجتاحت الجيوش الروسية افغانستان وراحت تقتل وتنهب وتهلك الحرث والنسل، ولم تغادر البلاد الّا بعد ان حولتها الىٰ انقاض، غير ان الشعب الافغاني الابي لم يخلد الىٰ الراحة بل حمل السلاح ونهض بمسؤوليته في الجهاد فكتب بدمائه الطاهرة واحدة من اعظم ملاحم الكفاح الدامي في التاريخ. وعندما يئس العدو ولّىٰ الادبار مهزوماً، ولكن الشعب الافغاني وعندما أراد أن يؤسس

حكومته الاسلامية اذا بالاستكبار العالمي يطلّ رأسه من نافذة أخرىٰ، فراح يغذي الصراعات بين فصائل الشعب المسلم، وبدأ التناحر بين الحركات الجهادية، واقتتال الاخوة، وماتزال الاخبار تحمل الينا كل يوم ارقاماً مريرة عن الخسائر في الارواح وخراب البيوت.

ثم يأتي الاجتياح لاراضي آذربيجان، واستعار الحرب الداخلية في تاجيكستان، والمذابح في كشمير، وتدمير مسجد بابري بأيدي الهندوس المتعصّبين، وعشرات الامثلة الاخرىٰ؛ ليضيف ارقاماً أخرىٰ لمأساة المسلمين في العالم والمؤامرات المستمرة التي تحاك في عواصم الاعداء.

كما ان اصرار الغرب علىٰ تصدير نموذجه الثقافي المبتذل واللاخلاقي الىٰ الدول الاسلامية ورصد مبالغ طائلة في هذا الطريق، وتشجيع الاقلام القذرة كسلمان رشدي وتسليمة نسرين للنيل من كرامة الاسلام وانتهاك حرماته يمثل بعداً آخر من المؤامرة ضد العالم الاسلامي.

وخلاصة القول ان العدوان علىٰ الاسلام قد بدأ منذ بداية الاسلام نفسه واستمر خلال فصول التاريخ ولكننا نشهد اليوم حرباً شاملة وفي كل الميادين؛ في السياسة والاقتصاد والثقافة والفن والعلم وحتىٰ في شن حروب الابادة

ان العدو اليوم يشعر بخطر الصحوة الاسلامية ويقظة الشعوب، فهو يحاول تمزيق الامّة الاسلامية لكي يتسنىٰ له اذلالها واستعبادها. وهنا نتساءل:

ـ هل أن سيدنا محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) راضٍ عن هذا الوضع؟

ـ لماذا اصبحنا كذلك؟

ـ ما هو الحل؟

ـ من هو المسؤول؟

ان الاجابة عن هذه التساؤلات واضحة، فكل مسلم غيور علىٰ دينه وامته

يدرك ان سيدنا محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يرضىٰ بذلك ابداً وهو يرىٰ امته التي كانت في قمّة المجد تنحدر الىٰ الحضيض. وكيف يرضىٰ وهو يراها تتولّىٰ الكفار من دون المؤمنين، وهو يراها تبيع استقلالها وكرامتها للاجنبي، وهو يراها تهدر ثرواتها بلا عائد، وهو يراها تنغمس في سباق التسلح بينما يتضور الجياع من ألم الجوع والحرمان.

كلّا انه لن يرضىٰ لأمته الهوان والذل ابداً.

ولكن لماذا اصبحنا هكذا؟

الجواب لأننا لم نتبع شريعة الله ولم نعمل باحكام القرآن الكريم، وهذا كتاب الله يدعو المسلمين جميعاً ويخاطبهم بقوله:

ـ «واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا»[١].

ـ «واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين»[٢].

ـ «ولن يجعل الله للكافرين علىٰ المؤمنين سبيلاً»[٣].

ـ «الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ايبتغون عندهم العزّة فان العزة لله جميعاً»[٤].

غير ان المسلمين تناسوا هذا وراحوا يعقدون اتفاقيات الصداقة ضد إخوة لهم في الدين والتاريخ والمصير.

ـ «يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطاناً مبيناً»[٥].

ـ «يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارىٰ اولياء بعضهم اولياء بعض

---

(١) آل عمران، الآية ١٠٢.
(٢) الانفال، الآية ٤٦.
(٣) النساء، الآية ٤١.
(٤) النساء، الآية ١٣٩.
(٥) النساء، الآية ١٤٤.

ومن يتولّهم منكم فانه منهم ان الله لا يهدي القوم الظالمين»[١].

هل هناك ماهو اكثر صراحة من هذا البلاغ، ومع هذا نجد من يتولّىٰ اليهود والنصارىٰ ضد إخوانه من المسلمين.

ـ «وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا ان الله مع المتقين»[٢].

ـ «وقاتلوا ائمة الكفر انهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون»[٣].

لقد ترك المسلمون حياة الجهاد وركنوا الىٰ حياة الذلّة والهوان، فظلت تلك الامجاد العظيمة مجرّد تاريخ يذكر الاجيال بصفحات الجهاد المشرقة.

ـ «ولتكن منكم امّة يدعون الىٰ الخير يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون»[٤].

غير ان المسلمين تركوا فريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وهي من اهم الفرائض. فكان ذلك سبباً لتسلّط الحكام الخونة والظالمين؛ وراحوا يعيثون في الارض الفساد، كل هذا نتيجة لتخاذلنا في تطبيق احكام الله عزّ وجل.

عن ابي هريرة قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول لثوبان: كيف بك يا ثوبان اذا تداعت عليكم الامم كتداعيكم علىٰ قصعة الطعام تصيبون منه ؟ قال ثوبان: بأبي انت وامي يا رسول الله من قلّة منا؟ قال: لا. انتم يومئذ كثير ولكن يلقى في قلوبكم الوهن، قال: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: حبكم الدنيا وكراهتكم القتال[٥].

وعن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): انتم علىٰ بينة من ربكم ما لم تظهر فيكم سكرتان: سكرة الجهل وسكرة حب العيش

---

(١) المائدة، الآية ٥١.
(٢) التوبة، الآية ٢٦.
(٣) التوبة، الآية ١٢.
(٤) آل عمران، الآية ١٠٤.
(٥) مجمع الزوائد، ج ٨، ص ٢٨٧.

وانتم تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتجاهدون في سبيل الله. واذا ظهر فيكم حب الدنيا فلا تأمرون بالمعروف ولا تنهون عن المنكر ولا تجاهدون في سبيل الله. والقائلون يومئذ بالكتاب والسنّة كالسابقين الاولين من المهاجرين والانصار[١].

وعن ابي هريرة قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): لتأمرن بالمعروف وتنهُن عن المنكر او ليسلطنّ الله عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم[٢].

فما هو الحلّ وكيف نخرج من هذا المأزق؟

ان الطريق الوحيد لانقاذ امتنا مما هي فيه هو العودة الىٰ احضان الاسلام، الىٰ قيم الشريعة السمحاء وتجسيدها في الحياة؛ لتكون الوحدة شعار المسلمين في كل مكان، والجهاد والمقاومة الطريقَ لتحقيق الاهداف العليا للاسلام، في تحرير بلادنا وثرواتنا من قبضة الاجانب ونفوذ الاعداء.

ولكن ينبغي الاقرار بأن الظروف الحالية للمسلمين تجعل **تحقيق هذه** الاهداف في غاية الصعوبة، وان الطريق يمرّ عبر منعطفين: العذاب **والالم الذي** يتطلب ايثاراً وتضحية وصبراً.

غير ان طريق المجاهدين هو الشهادة والسجن والنفي، وهذا هو طريق الاحرار الذين يدركون ان نصر الله من نصيب المجاهدين، وقد قال الله تعالىٰ:

«ان تنصروا الله ينصركم ويثبّت اقدامكم»[٣].

قال امير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام): «اذا حضرت بلية فاجعلوا اموالكم دون انفسكم، واذا نزلت نازلة فاجعلوا انفسكم دون دينكم.

---

(١) المصدر السابق، ص ٢٧٠.
(٢) المصدر السابق، ص ٢٦٦.
(٣) محمد، الآية ٧.

واعلموا ان الهالك من هلك دينه، والحريب من حرب دينه.الا وانه لا فقر بعد الجنّة، الا وانه لا غنىٰ بعد النار، لا يفك اسيرها ولا يبرأ ضريرها»[١].

من هو المسؤول اذن؟

المسؤول هو نحن جميعاً؛ ذلك ان الدفاع عن الدين مسؤولية الجميع. فكل فرد يساهم في ذلك الهدف حسب موقعة وظروفه وامكاناته المتاحة. غير ان العلماء، والمصلحين والفقهاء يتحمّلون القسم الاكبر في طريق النهوض بهذه المهمّة، لأنهم النخبة في المجتمع وهم الذين يمثلون الضمير الاسلامي وهم طلائع الامّة الذين يتحسسون الخطر ويدركون طبيعة مصادره، وهم الذين تصغي الامّة الىٰ آرائهم وتقتدي باعمالهم وتتأثر بمواقفهم.

يقول امير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام): «اما والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر وما اخذ الله علىٰ العلماء ان لا يقارّوا علىٰ كظّة ظالم ولا سغب مظلوم لألقيت حبلها علىٰ غاربها»[٢].

وعن السبط الشهيد الحسين بن علي (عليه السلام) قال: «ذلك بأن مجاري الامور والاحكام علىٰ ايدي العلماء بالله الامناء علىٰ حلاله وحرامه فانتم المسلوبون تلك المنزلة وما سلبتم ذلك الّا بتفرقكم عن الحق واختلافكم في السنّة بعد البينة الواضحة. ولو صبرتم علىٰ الاذىٰ وتحملتم المؤونة في ذات الله كانت امور الله عليكم ترد، وعنكم تصدر، واليكم ترجع، ولكنكم مكّنتم الظلمة من منزلتكم واسلمتم امور الله في ايديهم، يعملون بالشبهات ويسيرون في الشهوات، سلطهم علىٰ ذلك فرارُكم من الموت وإعجابكم بالحياة التي هي مفارقتكم، فأسلمتم الضعفاء في ايديهم؛ فمن بين مستعبد مقهور وبين مستضعف

---

(١) الوسائل، ج ١١، ص ٤٥١.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة ٣.

علىٰ معيشته مغلوب يتقلبون في الملك بآرائهم ويستشعرون الخزي باهوائهم اقتداء بالاشرار وجرأة علىٰ الجبّار»[1].

اجل ان العلماء هم وحدهم الذين يتحملون القسط الاوفر في حمل المسؤولية والنهوض بالامّة، ورفع لواء الاسلام والقيم الالهية، وادامة الطريق الذي عبّده سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بجهاده وصبره وتضحياته الكبيرة، لتعود الامّة الىٰ غابر مجدها وتحتل موقعها الرائد في العالم.

---

(١) تحف العقول، ص ٢٤٢.

الاسئلة

١ ـ تحدّث عن اوضاع المسلمين في العالم.

٢ ـ هل أن سيدنا محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) راضٍ عن وضع المسلمين اليوم؟ ولماذا؟

٣ ـ لماذا اصبحنا هكذا؟

٤ ـ ما هو الحل؟

٥ ـ من الذي يتحمل المسؤولية في ذلك؟

الزكاة في الاسلام

فرض الله عزّ وجل الزكاة ضريبة علىٰ الاغنياء لسدّ عوز اخوانهم الفقراء. فالزكاة فريضة الٰهية كثيراً ماورد ذكرها في القرآن الكريم. قال تعالىٰ:

ـ «واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين»[1].

ـ «واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدّموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله ان الله بما تعملون بصير»[2].

ـ «والذين يكنزون الذهب والفضّة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشّرهم بعذاب اليم»[3].

كما تضافرت الاحاديث لتؤكد اهمية هذه الفريضة في الشريعة الاسلامية.

عن الامام الباقر (عليه السلام) قال: ان الله تبارك وتعالىٰ قرن الزكاة بالصلاة فقال: «اقيموا الصلاة وآتوا الزكاة». فمن أقام الصلاة ولم يؤت الزكاة فكأنه لم يقم الصلاة[4].

وعن الصادق عليه السلام: ما فرض الله علىٰ هذه الامّة شيئاً اشدّ عليهم من الزكاة وفيها تهلك عامتهم[5].

---

(١) البقرة، الآية ٤٣.
(٢) البقرة، الآية ١١٠.
(٣) التوبة، الآية ٣٥.
(٤) الوسائل، ج ٦، ص ٣١.
(٥) المصدر السابق، ص ١٥.

وعنه ايضاً قال: من منع قيراطاً من الزكاة فليمت ان شاء يهودياً أو نصرانياً[١].

وعن الباقر عليه السلام قال: ما من عبد منع زكاة ماله شيئاً الّا جعل الله ذلك يوم القيامة ثعباناً من نار مطوقاً في عنقه ينهش لحمه حتىٰ يفرغ من الحساب؛ وهو قول الله عزّ وجل «ليطوّقون ما بخلوا به يوم القيامة» يعني ما بخلوا به من الزكاة[٢].

وعن الصادق عليه السلام قال: انما وضعت الزكاة اختباراً للاغنياء ومعونة للفقراء. ولو ان الناس ادوا زكاة اموالهم ما بقي مسلم فقيراً محتاجاً، ولاستغنىٰ بما فرض الله له، وان الناس ما افتقروا أو احتاجوا ولا جاعوا ولا عروا الاّ بذنوب الاغنياء. وحقيق علىٰ الله تبارك وتعالىٰ ان يمنع رحمته من منع حق الله في ماله[٣].

وعن امير المؤمنين علي (عليه السلام) قال: ثم ان الزكاة جعلت مع الصلاة قرباناً لاهل الاسلام. فمن اعطاها طيّب النفس بها فانها تجعل له كفارة، ومن النار حجازاً ووقاية. فلا يتبعها احد نفسه ولا يكثرن عليها لهفة، فان من اعطاها غير طيب النفس بها يرجو ما هو افضل منها فهو جاهل السنة مغبون الاجر، ضال العمل، طويل الندم[٤].

وعن الامام موسىٰ بن جعفر (عليه السلام) قال: حصنوا اموالكم بالزكاة[٥].

وتتضمن هذه الاحاديث نقاطاً عديدة منها:

ـ ان الزكاة تحتل المرتبة الثانية بعد الصلاة مباشرة، ولذا نجد القرآن يقرن ذكرها مع الصلاة. فالذي يمنع الزكاة لا يعدّ مقيماً للصلاة، وبالتالي فهو ليس

---

(١) المصدر السابق، ص ١٨.
(٢) الوسائل، ج ٦، ص ١١.
(٣) المصدر السابق، ص ٤.
(٤) نهج البلاغة، الخطبة ١٩٩.
(٥) الوسائل، ج ٦، ص ٦.

بمسلم وليمت اذا شاء يهودياً أو نصرانياً.

ـ ان الزكاة اختبار للاغنياء، وانها ينبغي ان تدفع عن رضاً وطيب خاطر.

ـ ان الزكاة تتحرك في حجمها حسب حاجة الفقراء وانها يجب أن تسدّ عوزهم.

ـ ان الزكاة اذا ما طبقت بشكلها الصحيح وصرفت في وجهها الصحيح لم يبق فقير بين المسلمين، وان ظاهرة الفقر تعود في احد اسبابها الىٰ منع الاثرياء الزكاة.

ـ ان الزكاة بركة للمال وأمان له من الضياع.

مستحقو الزكاة

الزكاة ضريبة اسلامية مفروضة علىٰ اموال الاغنياء وتقع مسؤولية تنفيذها علىٰ الحاكم الشرعي فهو يتولّىٰ استيفاءها من الاغنياء وصرفها علىٰ الفقراء.

قال تعالىٰ مخاطباً لرسوله الكريم: «خذ من اموالهم صدقة تطهّرهم وتزكيهم بها وصلِّ عليهم ان صلاتك سكن لهم والله سميع عليم»[1].

وقد صدع سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بامر الله وعيّن الزكاة في تسعة اشياء مهمة آنذاك وأعفىٰ سائر الاشياء منها.

فكانت الزكاة في الجِمال والابقار والغنم التي ترعىٰ في المروج، لا بتقديم العلف لها، وفي الذهب والفضة المسكوكة اي الدرهم والدينار اذا كان كنزا لم يتحرك في اعمال البيع والشراء مدّة عام كامل، وفي الحنطة والشعير والتمر والزبيب.

عن الامام الصادق عليه السلام قال: «لما نزلت آية الزكاة «خذ من اموالهم

---

(١) التوبة، الآية ١٠٣.

صدقة تطهرهم وتزكيهم بها» في شهر رمضان فامر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مناديه فنادىٰ في الناس: ان الله تبارك وتعالىٰ قد فرض عليكم الزكاة كما فرض عليكم الصلاة، ففرض الله عليكم من الذهب والفضة والابل والبقر والغنم ومن الحنطة والشعير والتمر والزبيب. ونادىٰ فيهم بذلك في شهر رمضان وعفا لهم عما سوىٰ ذلك»[1].

وعن الامامين الباقر والصادق عليهما السلام: فرض الله عزّ وجل الزكاة مع الصلاة في الاموال وسنها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في تسعة اشياء وعفا رسول (صلى الله عليه وآله وسلم) عمّا سواهن: في الذهب والفضة والابل والبقر والغنم، والحنطة والشعير، والتمر والزبيب، وعفا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عمّا سوىٰ ذلك.

وكل ما ورد من هذه الاشياء فهي تخصّ ظروفاً كانت سائدة في عهد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث برزت هذه الاشياء؛ لانها كانت موفورة وتحتل الصدارة في البناء الاقتصادي آنذاك.

اما اليوم فقد تراجعت أو تغيرت، فالعالم الاسلامي ـ مثلاً ـ لا يعرف حاليا الجِمال كوسيلة للتنقل الّا في حالات محدودة جداً؛ بينما احتلت الطائرات والسفن والسيارات هذا الدور، كما لا توجد ابقار أو خراف ترعىٰ في المروج المشاعة وتحوز شروط الزكاة، فهناك اماكن لتربية المواشي، امّا العملات الذهبية والفضية فقد انتفىٰ استخدامها في الوقت الحاضر وتحولت الىٰ سيولة في البنوك والمصارف واستبدلت بالاوراق النقدية المختلفة.

وخلاصة القول أن تلك الاشياء التي فرضت عليها الزكاة لم تعد تغطي حاجة الفقراء واليتامىٰ والمساكين اليوم، كما أن الشريعة لن تترك هؤلاء دون ان

---

(١) الوسائل، ج ٦، ص ٣٢.
(٢) المصدر السابق، ص ٣٤.

تفكر في حل لمشكلتهم، وفي هذه الظروف يتعين علىٰ الفقهاء والعلماء استنباط الاحكام الشرعية المناسبة للظروف الحالية ووضع النتائج في تصرف الحكومة الاسلامية.

مصارف الزكاة

للزكاة مصارف متعددة، كما ان ولى أمر المسلمين الذي يتولىٰ جبايتها من الاغنياء هو المسؤول عن صرفها لـ :

■ الفقير الذي لا يملك قوت سنته ولا يملك القدرة علىٰ ذلك، فالشخص الذي يملك القدرة علىٰ العمل مع وجود فرصة عمل لا يعدّ فقيراً ولا يستحق الزكاة.

■ المسكين الذي لا ينهض دخله لتلبية حاجاته الضرورية.

■ الذي لا يمكنه تسديد قرض عليه.

■ ابن السبيل الذي الذي انقطع به الطريق ولا يملك مالاً يمكّنه من العودة الىٰ الوطن، ففي هذه الحالة يمكن صرف الزكاة له وتغطيه نفقات عودته.

■ اعمال البرّ والخير والصالح العام من قبيل شق الطرق، وبناء الجسور ومدّ شبكات مياه الشرب، بناء المدارس والمساجد والجامعات، الدعوة للاسلام، اصدار الكتب والمجلات المفيدة، الجهاد في سبيل الدين عن المسلمين، تأسيس المكتبات العامة، بناء المستشفيات وغير ذلك.

■ العاملين عليها، وهم الافراد الذين عينهم الحاكم الشرعي لجمع اموال الزكاة.

■ المؤلفة قلوبهم من ضعاف الايمان أو الكفار يجذبهم للايمان بالاسلام.

■ تحرير العبيد والرقيق واسترداد حرّيتهم.

فهذه مصارف الزكاة التي اشار اليها القرآن في قوله تعالىٰ:

«انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم»[1].

الاسئلة

١ ـ كيف يموت مانع الزكاة؟

٢ ـ ما هي بواعث تشريع الزكاة في ضوء ما تفيده الاحاديث؟

٣ ـ ما هي اسباب الفقر لدىٰ بعض الافراد؟

٤ ـ ما هي الاشياء التي تتعين عليها الزكاة؟

٥ ـ اين تصرف اموال الزكاة ؟

---

(١) التوبة، الآية ٦٠.

الخمس في الاسلام

يعدّ الخمس ايضاً من الضرائب الاسلامية المفروضة على الاغنياء والاثرياء، وهي بمقدار ٢٠٪ من الربح، ويتعين على سبعة اشياء:

١ ـ غنائم الحرب

٢ ـ استخراج انواع المعادن

٣ ـ الكنز

٤ ـ ما يستخرج من البحر من اللآلي والاشياء الثمينة

٥ ـ الارباح التجارية

٦ ـ الارض التي يشتريها احد اهل الذمّة من المسلم

٧ ـ المال المخلوط بالحرام والذي لا يعرف صاحبه نسبة ذلك.

وهكذا فان الخمس يتعين في اي من هذه الحالات، ويتولّى الحاكم الشرعي ايضاً استيفاءه وصرفه في موارده الشرعية.

والخمس من الفرائض الالهية والواجبات الشرعية التي اشار اليها القرآن الكريم في قوله تعالى: «واعلموا ان ما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ان كنتم آمنتم بالله وما انزلنا على

عبدنا يوم الفرقان يوم التقىٰ الجمعان والله علىٰ كل شيء قدير»[١].

والغنيمة في اللغة: ما يحصل عليه المرء دون مسقة. وفي «المنجد»: ما ينتزع من العدو بالقوّة خلال الحرب، ولدىٰ العلامة الطباطبائي: ما يفيده المرء عن طريق التجارة والعمل أو الحرب، اما الآية فهي مصداق للغنائم الحربية[٢].

فالآية وان اطلقت ذلك علىٰ الغنائم الحربية فهي لا تحصره فيها؛ خاصّة اذا التفتنا الىٰ «من شيء» التي لها دلالة عامّة

كما ان الاحاديث تشير الىٰ هذا المعنىٰ:

عن الصادق عن آبائه (عليهم السلام) في وصية النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي (عليه السلام) قال: يا علي ان عبد المطلب سنّ في الجاهلية خمس سنن اجراها الله له في الاسلام ـ الىٰ ان قال ـ ووجد كنزاً فأخرج منه الخمس وتصدّق به فانزل الله «واعلموا ان ما غنمتم من شيء فان لله خمسه.. الآية»[٣].

وعن الامام الباقر في حديث كتبه الىٰ علي بن مهزيار الىٰ ان قال: «فامّا الغنائم والفوائد فهي واجبة عليهم في كل عام. قال الله تعالىٰ: «واعلموا ان ما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربىٰ واليتامىٰ والمساكين وابن السبيل ان كنتم آمنتم بالله وما انزلنا علىٰ عبدنا يوم الفرقان يوم التقىٰ الجمعان والله علىٰ كل شيء قدير» فالغنائم والفوائد يرحمك الله فهي الغنيمة يغنمها المرء والفائدة يفيدها، والجائزة من الانسان للانسان التي لها خطر، والميراث الذي لا يحتسب من غير اب ولا ابن، ومثل عدو يصطلم فيؤخذ ماله، ومثل مال يؤخذ ولا يعرف صاحبه»[٤].

وعن سماعة قال: سألت ابا الحسن (موسىٰ بن جعفر) عليه السلام عن

---

(١) الانفال، الآية ٤١.
(٢) الميزان، ج ٩، ص ٨٩.
(٣) الوسائل، ج ٦، ص ٣٤٥.
(٤) المصدر السابق، ص ٣٦٠.

الخمس فقال: في كل ما افاد الناس من قليل او كثير[١].

نستنتج من كل ما مضىٰ ان الخمس لا ينحصر في الغنائم الحربية بل يتعدىٰ ذلك الىٰ الارباح في الانشطة التجارية والعمل وغير ذلك مما وردت الاشارة اليه.

مصرف الخمس

يصرف الخمس في ستة اشياء ذكرتها الآية الكريمة وهي الله والرسول، ذي القربىٰ، اليتامىٰ، المساكين، وابن السبيل، وكان سيدنا محمد يأخذ ثلاثة اسهم منها وهي سهم الله، سهم الرسول، وسهم ذي القربىٰ (وهم الائمة المعصومون؛ كما فسرت ذلك الاحاديث) فيتصرف فيها بالإنفاق علىٰ نفسه وأسرته وقرباه، وما فاض عن ذلك أنفقه علىٰ عامة المسلمين. أما سهم اليتامىٰ والمساكين وابن السبيل فكان رسول الله ينفقه بنفسه أو يشرف علىٰ انفاقه في موارده، وهو يتصرف بذلك بصفته ولي أمر المسلمين.

عن احمد بن محمد عن الامام الرضا (عليه السلام) قال: سئل عن قول الله عزّ وجل: «واعلموا ان ما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربىٰ» فقيل له: فما كان لله فلمن هو؟ فقال: لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وماكان لرسول الله فهو للامام. فقيل له: أفرأيت ان كان صنف من الاصناف اكثر وصنف اقل ما يصنع به؟ قال: ذلك الىٰ الامام أرأيت (صلى الله عليه وآله وسلم) كيف يصنع؟ اليس انما كان علىٰ ما يرىٰ؟ كذلك الامام[٢].

ومن هنا فان الخمس حق الله في اموال الاغنياء وقد حدّدت مصارفه وكان سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) يصرفه في موارده، ثم اصبح ذلك من مسؤولية الائمة من اهل‌البيت (عليهم‌السلام) بعد وفاة النبي (صلى‌الله عليه وآله).

عن محمد بن مسلم، عن الامام الباقر (عليه السلام) في قوله تعالىٰ:

---

(١) المصدر السابق، ص ٣٥٠.

(٢) الكافي، ج ١، ص ٥٤٤.

«واعلموا انما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربىٰ» قال: هم قرابة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والخمس لله وللرسول ولنا[١].

وعن عمران بن موسىٰ عن موسىٰ بن جعفر (عليه السلام) قال: قرأت عليه آية الخمس، فقال: ما كان لله فهو لرسوله، وماكان لرسوله فهو لنا[٢].

وبناء علىٰ هذا، وحسب العقيدة الشيعية لدىٰ الاماميين، فان الخمس يتعلّق اليوم بالامام الثاني عشر محمد المهدي عجل الله تعالىٰ فرجه، وهو الذي يتصرف فيه، ولكن ذلك غير ممكن في الوقت الحاضر بسبب غيبته.

والسؤال هنا: ما هو مصير الخمس كفريضة في زمن الغيبة؟

لقد بحثت هذه المسألة في كتب الفقه، وهناك آراء مختلفة في ذلك. وفي النهاية اصبح الرأي ان الخمس من حق الفقيه الجامع الشرائط الذي يتولّىٰ ادارة شؤون المسلمين ويمثل ولي أمر المسلمين، فهو يستلمها وينفقها في اعلاء كلمة الله ورفع راية التوحيد الاسلامي في المعمورة وسدّ عوز المحتاجين من الذين ينتسبون لآل بيت الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لأن ذلك لابدّ وأن يحظىٰ برضا الامام المهدي (عليه السلام).

الاسئلة

١ ـ عدّد الحالات التي تستوجب دفع فريضة الخمس.

٢ ـ ماذا يعني الخمس؟

٣ ـ فسّر آية الخمس التي ورد ذكرها في الدرس.

٤ ـ حدد الموارد التي يصرف فيها الخمس.

٥ ـ من هو المالك الاصلي في هذا العصر؟

٦ ـ ما هو مصير فريضة الخمس في زمن الغيبة؟

---

(١) المصدر السابق، ص ٥٣٩.

(٢) الوسائل، ج ٦، ص ٣٣٨.

القسم الثامن

حقوق المرأة في الاسلام

منزلة المرأة في الاسلام

تحتلّ المرأة في الاسلام موقعها الانساني الشامخ؛ لان الرجل والمرأة في الشريعة الالهية علىٰ حدّ سواء، ولقد كرّم الله الانسان، وجعله خليفة له في الارض. قال تعالىٰ:

«ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البرّ والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم علىٰ كثير ممن خلقنا تفضيلاً»[1].

ولقد سجدت له الملائكة يوم خلقه الله.

«فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين»[2].

وعلمه الله الاسماء كلها

«وعلّم آدم الاسماء كلّها ثم عرضهم علىٰ الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين. قالوا سبحانك لا علم لنا الّا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم. قال يا آدم انبئهم باسمائهم فلما انبأهم باسمائهم قال الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون»[3].

لقد أودع الله في خلقته صفة الانسانية، وكان ذلك ميزة له، والمرأة والرجل

---

(١) الاسرا، الآية ٧٠.
(٢) الحجر، الآية ٢٩.
(٣) البقرة، الآيات ٣١ ـ ٣٤.

في هذا سواء.

ومن هنا فان الاسلام ينظر الىٰ الرجل كما ينظر الىٰ المرأة، فهما يشتركان في صفة الانسان، ولهما في الارض مسؤوليات متساوية:

■ انهما متساويان في المنشأ وفي التكاثر واستمرار النسل.

قال تعالىٰ: «يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثىٰ وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم»[١].

وقال عزّ وجل: «يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا»[٢].

فهما ركنان في المجتمع يتناصفان تكوينه واستمراره.

■ ان العمل الصالح هو وحده الذي يتقرّب به الانسان الىٰ الله، ولا فرق في ذلك بين المرأة والرجل.

قال تعالىٰ: «من عمل صالحاً من ذكر أو انثىٰ وهو مؤمن لنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم باحسن ما كانوا يعملون»[٣].

وقال تعالىٰ:

«فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثىٰ بعضكم من بعض»[٤].

لقد مجدّ القرآن الرجل الصالح والمرأة الصالحة في قوله تعالىٰ:

«ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات، والصادقين والصادقات، والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات

---

(١) الحجرات، الآية ١٣.
(٢) النساء، الآية ١.
(٣) النحل، الآية ٩٧.
(٤) آل عمران، الآية ١٩٥.

والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعدّ الله لهم مغفرة واجراً عظيماً»[١].

وكما اثنىٰ الله علىٰ بعض الرجال الصالحين، فانه امتدح كثيراً من النساء المؤمنات الصالحات.

قال تعالىٰ في مريم بنت عمران:

«فتقبّلها ربّها بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسناً وكفّلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم انّىٰ لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب»[٢].

«واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك علىٰ نساء العالمين»[٣].

وقال تعالىٰ في آسية امرأة فرعون:

«وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون اذ قالت رب ابن لي عندك بيتاً في الجنّة ونجّني من فرعون وعمله ونجّني من القوم الظالمين»[٤].

وبلغت فاطمة الزهراء القمّة في العفة والطهر والصلاح **فطهرها الله من** الرجس وانزل فيها وفي ابيها وبعلها وبنيها آية التطهير في قوله تعالىٰ:

«انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا»[٥].

وعن سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: سيدات اهل الجنّة اربع: مريم بنت عمران وفاطمة بنت محمد وخديجة بنت خويلد وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون»[٦].

فالمرأة والرجل، متساويان في نيل الفضائل والسمو في مراتب الكمال.

وكما ذمّ الله بعض الرجال فقد ذم بعض النساء كامرأة نوح وأمرأة لوط

---

(١) الاحزاب، الآية ٣٥.
(٢) آل عمران، الآية ٣٧.
(٣) آل عمران، الآية ٤٢.
(٤) التحريم، الآية ١١.
(٥) الاحزاب، الآية ٣٣.
(٦) كشف الغمة، ج ٢، ص ٧٦.

«ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وأمرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين»[١].

«وامرأةابي لهب» في قوله تعالىٰ:

تبّت يدا ابي لهب وتبّ. ما أغنىٰ عنه ماله وما كسب.

سيصلىٰ ناراً ذات لهب. وامرأته حمالة الحطب. في جيدها حبل من مسد[٢].

■ الاسلام يعتبر المرأة والرجل ركني المجتمع ولهما دور مشترك في بنائه واستمراره، وسلامة المجتمع تعود الىٰ صلاح كل منهما كما انها يتحملان المسؤولية في فساده وانحطاطه.

قال تعالىٰ: «والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله اولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم»[٣].

صحيح أن الله لم يوجب حضور النسوة في ميدان الجهاد ومواجهة الاعداء ولكنها لم تسلب سائر المسؤوليات الاخرىٰ؛ من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والدفاع عن حريم الدين وحق المحرومين، وفي اعمال البرّ والخير، ومحاربة الفساد الاجتماعي والانحطاط الاخلاقي وتربية النشء تربية صحيحة، وفي البناء الاقتصادي وادارة البلاد.

■ ان الله فرض طلب العلم وكشف اسرار الطبيعة علىٰ الرجل والمرأة سواء، والاستمتاع بنصيبهم في الحياة الدنيا.

---

(١) التحريم، الآية ١٠.
(٢) سورة المسد ١١١).
(٣) التوبة، الآية ٧١.

عن الامام الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «طلب العلم فريضة علىٰ كل مسلم، الا ان الله يحبّ بغاة العلم»[١].

وعن الامام الباقر (عليه السلام) قال: «عالم ينتفع بعلمه افضل من سبعين الف عابد»[٢].

وهناك العشرات بل المئات من الاحاديث التي تخاطب المسلم، فلا تفرق بين رجل أو امرأة، خاصّة الاحاديث التي تحثّ علىٰ طلب العلم في المجالات الحياتية.

فهناك ميادين تبرز فيها الحاجة الملحة الىٰ حضور المرأة بشكل فاعل كالطب وطب الاسنان وتصنيع الادوية، والتمريض وعلم التوليد، والتربية والتعليم، وعلم النفس، والبيئة، والكيماء، والادارة والمحاسبة، والعلوم الاسلامية كالتفسير، والعقائد، والفقه والتاريخ والأدب، والفن، واللغات، والحقوق والاقتصاد وغير ذلك من المجالات العلمية.

فالمرأة نصف المجتمع، وهي في ذلك تتحمل المسؤولية مناصفة مع الرجل، واذن فان حضورها ينبغي ان يكون بنفس هذا المستوىٰ وفي كل الميادين.

ومن الظلم الاجتماعي اننا نرىٰ الرجل وعلىٰ طول التاريخ يحتل كل الميادين بما يفيض عن الحاجة، في حين لا نجد للمرأة مكاناً حتىٰ في المواقع التي تستدعي وجود المرأة وحضورها. وللاسف تساهم المرأة نفسها في تكريس هذه الحالة بانصرافها الىٰ حياة الدعة والمظاهر المزيفة من الحياة، غير مدركة لنفسها ودورها في الحياة.

---

(١) الكافي، ج ١، ص ٣٠.

(٢) الكافي، ج ١، ص ٣٣.

الاسئلة

١ ـ ما هي منزلة المرأة في الاسلام؟

٢ ـ ما هو دور المرأة في استمرار النوع البشري؟

٣ ـ ما هو معيار السعادة الانسانية في ضوء القرآن الكريم؟

٤ ـ اذكر مثالاً عن تمجيد القرآن الكريم للمرأة.

٥ ـ هل فرض الاسلام طلب العلم علىٰ المرأة؟ ولماذا؟

المرأة والحرية

خلق الله المرأة حرّة، وهي كما الرجل تنشد الحرّية في حياتها. وحبّ الحرّية من فطرة الانسان ومن حقه.

ولكن هل يمكن ان يعيش الانسان طليقاً في المجتمع؟ الانسان بطبيعته اجتماعي، وهو يحتاج الىٰ ابناء نوعه، ومن هنا فان الحياة الاجتماعية تتطلب احتراماً لحقوق الآخرين وحرّياتهم، واذن فهناك نوع من القيود تفرضها طبيعة الحياة الاجتماعية علىٰ الافراد، وهي في نهاية الأمر في مصلحة الفرد نفسه.

كما أن الحرّية المطلقة التي قد يطمح اليها الانسان لا تعود عليه بالنفع بل العكس اذ أن اللهاث وراء الرغبات الثائرة في النفس وما يموج في اعماق الانسان من شهوات سوف تكلفه ثمناً باهظاً ينعكس علىٰ انسانيته وكرامته وشخصيته كانسان. والاسلام هو الآخر يحترم الحرّية الانسانية، ولكنه يعتبر الحرّية المطلقة امراً مستحيلاً من الناحية العملية، كما أنها تتناقض مع مصلحته ايضاً. ولهذا جاء التشريع الاسلامي وهو يحمل في طيّاته المصالح الفردية والاجتماعية بنظر الاعتبار، انطلاقاً من تركيبة الانسان الجسمية والنفسية ومصلحته الحقيقية في الدنيا والآخرة.

فقد تصطدم بعض القيود الشرعية مع حرّية الافراد ظاهرياً ولكنها تحقق

مصالحهم الحقيقية، وعليه ينبغي احترام هذه القيود والتسليم لها. وهذه القاعدة تنسحب علىٰ السيدات ايضاً، فالاسلام وبالرغم من احترامه لحرّية المرأة ولكنه وضعها في موقعها الطبيعي من المجتمع في تشريع كامل يوفّر افضل اجواء التعايش الاجتماعي. وهنا اشارة الىٰ جانب من حرّيات المرأة في الاسلام.

▣ حرّية العمل: يعتبر الاسلام المرأة ركناً في المجتمع وهي تناصف الرجل فيذلك، تتحمل في ذلك مسؤوليات وعليها واجبات ولها حقوق، واذن فلا ينبغي ان يبقىٰ نصف المجتمع مشلولاً عاجزاً عن العمل والانتاج. واذا اخذنا بنظر الاعتبار ان الاسلام يعدّ العمل عبادة، ومحذّراً من البطالة والكسل عرفنا ان المرأة موضع للخطاب الاسلامي في هذا المضمار.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): العبادة سبعون جزءاً افضلها طلب الحلال[1].

وقال الامام موسىٰ الكاظم (عليه السلام): ان الله عزّ وجل يبغض العبد النوّام الفارغ[2].

فالعمل من وجهة نظر الاسلام ليس حقاً للمرأة فحسب بل هو واجب عليها، وأن عليها أن تنتخب عملاً ينسجم مع طبيعتها وتكوينها الجسماني والنفسي، فالمرأة موجود جميل لطيف فلا ينبغي انتخاب عمل ما يوجه ضربة لهذا الجانب الحياتي فيها. فليس من مصلحة السيدات الخوض في الاعمال الشاقة كقيادة الشاحنات أو اعمال المناجم، أو مصانع الفولاذ وغيرها من الاعمال المرهقة التي تتطلب سواعد مفتولة، فهذه اعمال فوق قدرة المرأة وطاقتها، وهي تهدد في الصميم جمالها ولطافتها وجاذبيتها.

ومن هنا نجد وصايا اسلامية للرجال في هذا المضمار؛ ففي رسالة لامير

---

(١) الكافي، ج ٥، ص ٧٨.

(٢) المصدر السابق، ص ٨٤.

المؤمنين (عليه السلام) الىٰ ابنه الحسن (عليه السلام) جاء فيها: لا تملك المرأة من الامر ما يجاوز نفسها، فان ذلك انعم بحالها وارخىٰ لبالها وادوم لجمالها، فان المرأة ريحانة وليست قهرمانة[1].

وهنا ما يجدر ذكره وهو أن الجمال واللطافة والجاذبية جزء من تكوين المرأة وأمر لا ينفك عنها، مثلما أن عجز اغلب الرجال عن كبح غرائزهم عند الاغراء جزء من طبيعتهم، واذن فان من مصلحة المرأة الا تعمل في محيط يسوده الرجل أو يتحتم الاختلاط فيه مع الرجل؛ وذلك حماية لها من عدوان محتمل يتهدد كرامتها وعفتها وصيانة للبيئة الاجتماعية وخاصّة شريحة الشباب من مخاطر الانحراف والسقوط.

وينبغي الالتفات الىٰ نقطة مهمة وهي ان المرأة موجود عاطفي، وهي تنساق وراء عواطفها اكثر من الرجل، ولذا فان العمل في مجالات تحتاج الحزم والصلابة سيوقعها في احراجات ومتاعب نفسية، فلا يناسبها ابداً ان تعمل في سلك الجيش والشرطة والقضاء. كما لا نغفل ان علىٰ المرأة وهي تبحث عن العمل المناسب لها الا تنسىٰ مسؤوليتها تجاه ابنائها، ذلك ان تربية الجيل هي في حدّ ذاتها مسؤولية كبيرة، والمرأة مؤهلة اكثر من الرجل بما أودع الله في تكوينها من العاطفة والمشاعر الجياشة والحنان والحب في النهوض بهذه المسؤولية. واذن يترتب عليها انتخاب عمل ليس من شأنه أن يهدد دفء الاسرة ويعرّض كيانها للخطر.

وهنا يمكن للمرأة التفاهم مع زوجها بشأن هذه المسألة، كما ان علىٰ الرجل أن يتفهم زوجته ويفسح لها في ممارسة حق من حقوقها.

▣ حرّية التملّك: يحترم الاسلام ملكية المرأة كاحترامه لملكية الرجل، فهي

---

(١) الوسائل، ج ١٤، ص ١٢٠.

من حقها ان تكسب مالاً عن طريق العمل والتجارة، أو المهر أو الهبة وكل طريق مشروع آخر، وبالتالي امتلاكه. كما يحق لها التصرف باموالها كيف تشاء دون اجازة من أحد سواء كان ابا ام اما ام زوجاً أم ابناء. قال تعالىٰ:

«ولا تتمنوا ما فضل الله بعضكم علىٰ بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله ان الله كان بكل شيء عليماً»[١].

▣ الحريّة في الزواج:

من حق المرأة ان تنتخب من تريد الاقتران به، فلا يجوز تزويج الفتاة البالغة دون رضاها، وليس لأي احد كائناً من يكون ان يلغي حق المرأة في الزواج وانتخاب من تريد، حتىٰ لو كان ذلك اباها أو امها أو اخاها.

قال الامام الصادق (عليه السلام): تستأمر البكر وغيرها ولا تنكح الا بأمرها[٢].

وقال عليه السلام في رجل يريد أن يزوّج اخته: يؤامرها، فان سكتت فهو اقرارها، ولا تنكح الا بأمرها[٣].

واذن فان صحة عقد الزواج انما تتوقف علىٰ رضا الفتاة بكراً أو غير بكر.

امّا اذا كانت ثيباً فهي املك لنفسها ولا يشترط اذن الاب في ذلك.

عن الامام الصادق (عليه السلام) في المرأة الثيب تخطب الىٰ نفسها؟ قال: هي أملك بنفسها تولّي امرها من شاءت اذا كان كفواً بعد ان تكون قد نكحت رجلاً قبله[٤].

وعنه عليه السلام قال: لا بأس ان تزوّج المرأة نفسها اذ كانت ثيباً بغير اذن

---

(١) النساء، الآية ٣٣.
(٢) الوسائل، ج ١٤، ص ٢١٣.
(٣) الوسائل، ج ١٤، ص ٢٠٤.
(٤) الوسائل، ج ١٤، ص ٢٠٢.

ابيها اذاكان لا بأس بما صنعت[١].

اما الفتاة البكر فان زواجها يتم باذن ابيها أولاً أو جدّها.

فعن الصادق عليه السلام قال: «الجارية البكر التي لها اب لا تتزوج الّا باذن ابيها»[٢].

وقد يبدو ان هذا الشرط يتنافىٰ مع حرّية المرأة في الزواج، ولكن التأمل في حيثيات المسألة والتوقف أمام طبيعة الفتاة سوف يخرج بنتيجة مفادها: ان مصلحة المرأة نفسها تكمن في هذا القيد. فالفتاة وبطبيعة الحياء لا يمكنها التحقيق في من يتقدّم الىٰ خطبتها، كما انها لم تخض تجربة الزواج من قبل فتدرك مصلحتها الحقيقية، وهي تحتاج في هذه اللحظات الىٰ مستشار لا يفكر في شيء سوىٰ مصلحتها ومستقبلها في الحياة القادمة.

والاب في هذه الحالة هو انسب شخص لهذه المهمّة؛ لانه لن يتواني في تقديم مشورته الىٰ فلذة كبده.

واضافة الىٰ ذلك فان الصورة العامّة لهذه الطريقة سوف تجعل للاب منزلة رفيعة تعزز من العلاقات العائلية وأواصر المصاهرة في المستقبل.

وحتىٰ لا تبرز مشاكل في هذه المسألة فان الاسلام يلغي هذا الشرط في حالتين؛ الاولىٰ: صعوبة الحصول علىٰ الاذن من الاب والجدّ، والثانية: حاجة الفتاة الىٰ زوج، وتقدم من يتصف بالشروط المطلوبة في الزواج ولكن الاب يعاند في تزويجها بحجج واهية مختلقاً المعاذير في ذلك، وفي هذه الحالة يجمع الفقهاء علىٰ منح الفتاة الحق الكامل في اختيار من ترضاه دون الحاجة الىٰ اذن والدها.

▣ الحرّية في طلب العلم: للمرأة قبل الزواج الحق الكامل في طلب العلم اما

---

(١) المصدر السابق، ص ٢٠٤.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٠٥.

بعد زواجها فينبغي عليها مراعاة حقوق زوجها وابنائها، ويمكنها الاستمرار في دراستها بالتفاهم مع زوجها.

▣ حرية المسكن: للمرأة قبل الزواج الحق في انتخاب السكن وهي في ذلك حرّة، ولكنها بعد الزواج تتبع زوجها في انتخابه محلّ السكنىٰ. فالزوج هو المسؤول عن توفير السكن. وبطبيعة الحال فان السكن ينبغي ان يوفر للزوجة الشعور بالهدوء وراحة البال، فاذا كان ضيقاً وتعسر علىٰ المرأة الحياة فيه وكان في وسع زوجها استبداله بآخر افضل، وجب عليه ذلك؛ لأن ذلك من مصاديق المعاشرة بالمعروف في قوله تعالىٰ: «وعاشروهن بالمعروف»[1].

وقوله تعالىٰ: «ولا تضارّوهن لتضيقوا عليهن»[2].

وبالرغم من ان السكن هو من شؤون الرجل ولكن المرأة يمكنها جعله من حقها بدرج ذلك في عقد الزواج فاذا وافق الزوج وامضاه اصبح من حقّها انتخاب المسكن الذي ترغب ومن واجب الزوجب ان يتبعها والا اثم.

الاسئلة

١ ـ هل يمكن للانسان أن يمارس حرّيته المطلقة؟ ولماذا؟

٢ ـ ما هي وجهة نظر الاسلام في حرّية الانسان؟

٣ ـ ما هي الضوابط التي علىٰ المرأة مراعاتها عند انتخابها عملاً معيناً؟

٤ ـ هل يجيز الاسلام زواج الفتاة دون رضاها؟

٥ ـ متىٰ يحق للفتاة الباكر الزواج دون اذن والدها؟

٦ ـ متىٰ يصبح السكن من حق المرأة بعد الزواج؟

---

(١) النساء، الآية ١٩.

(٢) الطلاق، الآية ٦.

المرأة والحجاب

الحجاب لغة هو الغطاء، وهو لباس يستر جسم المرأة عن اعين الناظرين. ولقد فرض الله عزّ وجل الحجاب علىٰ المرأة فهي ملزمة بستر بدنها عن نظر الرجال الغرباء.

قال تعالىٰ في محكم كتابه الكريم:

«قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم ان الله خبير بما يصنعون. وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الّا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن علىٰ جيوبهن ولا يبدين زينتهن الّا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو ابنائهن أو ابناء بعولتهن او اخوانهن أو بني اخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن او ما ملكت ايمانهن أو التابعين غير اولي الاربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا علىٰ عورات النساء ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا الىٰ الله جميعاً ايها المؤمنون لعلكم تفلحون»[1].

تتوجه الآية بالخطاب للرجال والنساء علىٰ حدّ سواء وتطلب منهن غض البصر. وغض البصر يعنى تحاشي (النظر)، وبتعبير ادق (اطالة النظر) فقد يقع

---

(١) النور، الآيتان ٣٠ و ٣١.

بصر احدهم علىٰ آخر للوهلة الاولىٰ دون هدف، والمقصود هنا النظر مع هدف التلذذ، وهو الذي تحذر منه الآية وتنهىٰ عنه؛ لأنه ينجرّ الىٰ الفساد، اما النظر الذي لا ينطوي علىٰ قصد التلذذ فهو حلال لأنه من ضرورات الحياة الاجتماعية.

كما تطلب الآية من الجنسين حفظ الفروج، والفروج جمع فرج اي العورة، وحفظها يعني سترها أو التعفف بمعنىٰ اعم ومن خلال غض البصر والتزام الحجاب.

ثم تخاطب الآية النساء «ولا يبدين زينتهن الا ماظهر منها».

وهناك نوعان للزينة: زينة منفصلة عن البدن كالاقراط والخواتم والقلائد، وزينة ملتصقة مثل الكحل وصبغ الاظافر وصبغ الشعر، والآية تشمل الاثنين، فالآية تنهىٰ عنهما لأنهما من وسائل الاغراء واثارة الغرائز الجنسية.

وقد فسرت الاحاديث «الا ما ظهر منها» كالآتي:

عن زرارة عن الامام الصادق (عليه السلام) في قوله تعالىٰ: «الاّ ما ظهر منها» قال: الزينة الظاهرة الكحل والخاتم[1].

وعن ابي بصير عن ابي عبد الله قال: سألته عن قول الله عزّ وجل: «ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها» قال: الخاتم والمسكة وهي القلب[2].

ثم تصف الآية الحجاب المطلوب «وليضربن بخمرهن علىٰ جيوبهن» الخمر جمع خمار وهو ما تلف به المرأة رأسها، والجيوب جمع جيب ويعني فتحة القميص.

ويقال ان النسوة في عهد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كن يرتدين قمصاناً مفتوحة فيبدو جزء من الصدر، اما الخمار فكانت المرأة آنذاك تلفه من

---

(١) الوسائل، ج ١٤، ص ١٤٦.

(٢) المصدر السابق.

فوق أذنها فيبدو قرطاها وقسم من رقبتها وصدرها. ومن هنا جاء الامر القرآني بأن يلف الخمار تلك الاجزاء الظاهرة ويحجبها عن الانظار.

وتختم الآية خطابها للنساء بان لا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن، فهذا ايضاً يسبب اثارة للغرائز الجنسية لدىٰ الجنس الآخر، وبروز مشكلات اجتماعية.

وينطوي الخطاب القرآنى علىٰ عدة جوانب اخلاقية:

- غض البصر وعدم النظر بتلذذ بين الجنسين.
- علىٰ النسوة الا يستعرضن زينتهن للرجال.
- يتوجب علىٰ النسوة لف الخمار بطريقة تخفي الاقراط والرقبة والصدر بشكل كامل.
- ومن اجل الحفاظ علىٰ سلامة المجتمع اخلاقياً يتوجب علىٰ النسوة ايضاً وعند المشي الّا يضربن بارجلهن علىٰ الارض فيُصدرن عن حليهن صوتاً يثير الرجال جنسياً.
- هناك زينة يمكن للمرأة ابداؤها دون حرج وهي الكحل والخاتم.

آية اخرىٰ في الحجاب

قال تعالىٰ في محكم كتابه الكريم: «يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك ادنىٰ ان لا يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيما»[1].

الجلباب في القاموس بمعنىٰ القميص والثوب الواسع الذي ترتديه المرأة فيشتمل علىٰ البدن، وهو في المنجد ايضاً: اللباس الواسع ترتديه المرأة فوق

---

(١) الاحزاب، الآية ٥٩.

ثيابها.

والخطاب القرآني يتوجه الىٰ النسوة بان يرتدين الجلابيب بشكل يسترهن ويحفظهن من انظار واطماع الرجال.

فالمرأة التي تغادر بيتها ينبغي ان تكون مثالاً للوقار في مظهرها فلا تكون مصدراً للفتنة واثارة شهوات الآخرين وبالتالي يجب بقاء المجتمع نظيفاً من الامراض الاجتماعية.

آية اخرىٰ

قال تعالىٰ مخاطباً نساء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):

«يا نساء النبي لستن كأحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولاً معروفاً. وقرن في بيوتكن ولا تبرّجن تبرج الجاهلية الاولىٰ»[1].

والآيتان الكريمتان توصيان النساء برعاية نقاط ثلاث:

- عدم التميّع في الحديث لان من شأنه اثارة غرائز الآخرين.
- لزوم البيت.
- عدم التبرّج واظهار الزينة للغرباء.

بالرغم من ان الخطاب القرآني يخصّ نسوة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الّا انه يشمل كل نساء المؤمنين.

وقد يتساءل أحد عن معنىٰ «وقرن في بيوتكن» فليس المقصود منه لزوم البيت وعدم مغادرته. ولقد بحثنا هذه المسألة فيما سبق وقلنا ان المرأة نصف المجتمع وهي سهيمة في بنائه واستقراره وتتحمل المسؤولية مناصفة مع الرجل.

---

(١) الاحزاب، الآيتان ٣٢ و ٣٣.

كما ان التاريخ يؤكد ان النساء في عهد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كن يحضرن المساجد وبل ويشتركن في الغزوات لتضميد الجرحىٰ والقيام باعمال اخرىٰ باستثناء العمليات الحربية.

فالخطاب القرآني يؤكد ـ فقط ـ مسؤولية المرأة في بيتها وابنائها وأن المنزل هو مملكتها الاصلية، وهي المسؤولة بالدرجة الاولىٰ عن ادارته، لاالتجوال في الازقة والشوارع.

المحارم

ينقسم الرجال في علاقتهم مع المرأة الىٰ طائفتين: محارم، وغير محارم.

وآيات الحجاب التي تأمر المرأة بستر بدنها انما تعني امام انظار غير المحارم من الرجال، فالحجاب امام المحارم ليس واجباً عليها.

والمحارم من الرجال هم:

- الاب والجدّ فصاعداً
- الاب والجدّ من جهة الام فصاعداً
- الاخ وابناء الاخ فنازلاً
- ابناء الاخت وابناؤهم فنازلاً
- العمّ والعمّة فصاعداً
- الخال والخالة فصاعداً
- الزوج وابوه فصاعداً
- ام الزوج وابوها فصاعداً
- ابن الزوج وابناؤه فنازلاً
- الابن وابناؤه فنازلاً والبنت وابناؤها فنازلاً

▣ الصهر واصهاره فنازلاً

وهؤلاء هم المحارم الذين لا يجب علىٰ المرأة ستر بدنها عنهم مع التأكيد علىٰ شرط واحد وهو ان تخلو نظراتهم من الريبة والتلذذ.

الاسئلة

١ ـ ما هي الزينة المحرّم علىٰ المرأة ابداؤها؟

٢ ـ ما هي الزينة التي يجوز ابداؤها؟

٣ ـ فسّر هذا المقطع من الآية «وليضربن بخمرهن علىٰ جيوبهن»

٤ ـ كيف ترتدي المرأة خمارها بشكل شرعي؟

٥ ـ لماذا نهت الآية المرأة عن الضرب برجلها علىٰ الارض بقوة؟

٦ ـ كيف ينبغي للمرأة المسلمة ان تخرج من المنزل؟

٧ ـ ما المقصود بالمحارم؟

حدود الحجاب

يعدّ وجوب الحجاب من احكام الاسلام المؤكّدة التي اجمع عليها الفقهاء، فالمرأة مأمورة بارتداء الحجاب وستر بدنها عن الرجال الغرباء. وبالطبع لا توجد قيود علىٰ نوع الثياب التي يمكن ارتداؤها بشرط ان تحوز الشروط الشرعية.

وبشكل عام يجب ستر سائر بدن المرأة باستثناء قرص الوجه والكفين والقدمين، وان كان بعض الفقهاء يوجب سترها ايضاً، ولكن الادلّة تنهض في عدم وجوب ذلك.

▣ الاحاديث التي تشير الىٰ عدم وجوب ستر الوجه والكفين والقدمين، وهذه طائفة منها:

ـ عن مسعدة بن زياد قال: سمعت جعفراً عليه السلام وسئل عمّا تظهر المرأة من زينتها؟ قال: الوجه والكفين[1].

ـ وعن الصادق ايضاً وقد سئل: ما يحلّ للرجل ان يرىٰ من المرأة اذا لم يكن محرماً؟ قال: الوجه والكفان والقدمان[2].

ـ وعن علي بن جعفر عن اخيه موسىٰ عليه السلام قال: سألته عن الرجل ما يصلح ان ينظر اليه من المرأة اذا لم يكن محرماً؟ قال: الوجه والكف وموضع

---

(١) الوسائل، ج ١٤، ص ١٤٦.

(٢) الوسائل، ج ١٤، ص ١٤٦.

السوار[١].

ـ وعن علي بن سود قال: قلت لابي الحسن (الكاظم عليه السلام):

اني مبتلىٰ بالنظر الىٰ المرأة الجميلة يعجبني النظر اليها؟ فقال لي: يا علي! لابأس اذا عرف من نيتك الصدق وايّاك والزنا فانه يمحق البركة ويهلك الدين[٢].

وعن المفضل بن عمر قال: قلت لابي عبد الله (الصادق عليه السلام): جعلت فداك ما تقول في المرأة تكون في السفر مع الرجال ليس فيهم لها ذو محرم ولا معهم امرأة فتموت المرأة ما يصنع بها؟ قال: يغسل منها ما اوجب الله عليه التيمم ولا تمس ولا يكشف لها شيء من محاسنها التي أمر الله بسترها. قلت فكيف يصنع بها؟ قال: يغسل بطن كفيها ثم يغسل وجهها ثم يغسل ظهر كفيها[٣].

▣ الاحاديث التي لا تصرّح بعدم وجوب ستر الوجه والكفين بشكل مباشر **وهذه طائفة منها:**

ـ **عن** محمد بن ابي نصر عن الرضا (عليه السلام) قال: سألته عن الرجل يحلّ له أن ينظر الىٰ شعر اخت امرأته؟ فقال: لا الّا ان تكون من القواعد، قلت: اخت امرأته والغريبة سواء؟ قال: نعم. قلت: فما لي من النظر اليها منها؟ فقال شعرها وذراعها[٤]. والجواب الاخير يخص اخت المرأة اذا كانت من القواعد.

ـ وعن احمد بن ابي نصر عن الرضا (عليه السلام) قال: يؤخذ الغلام بالصلاة وهو ابن سبع سنين، ولا تغطي المرأة شعرها منه حتىٰ يحتلم[٥].

ـ وعن عبد الرحمن بن الحجاج قال: سألت ابا ابراهيم (موسىٰ بن جعفر عليه السلام) عن الجارية التي لم تدرك متى ينبغي الّا تغطي رأسها منه ممن

---

(١) تفسير نور الثقلين، ج ٣، ص ٥٩٠.
(٢) تفسير نور الثقلين، ج ٣، ص ٥٩٠.
(٣) الوسائل، ج ٢، ص ٧١٠.
(٤) الوسائل، ج ١٤، ص ١٤٤.
(٥) المصدر السابق، ص ١٦٩.

ليس بينها وبينه محرم؟ ومتىٰ يجب عليها ان تقنع رأسها للصلاة؟ قال لا تغطي رأسها حتىٰ تحرم عليها الصلاة[١].

والحديثان يوجبان ستر الشعر علىٰ المرأة حال البلوغ ولم يتعرضا الىٰ ذكر الوجه، ولو كان واجباً لذكر، وعدم الاشارة يدلّ علىٰ عدم وجوبه.

▣ وكما اشير سابقاً الىٰ تفسير «ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها» فانه يمكن استنباط عدم وجوب ستر الوجه والكفين؛ ذلك ان الاحاديث الواردة عن أهل البيت عليهم السلام تفسر «الا ما ظهر منها» اي من الزينة بالخاتم والكحل.

كما ان دلالة «وليضربن بخمرهن علىٰ جيوبهن» هي الاخرىٰ تدل علىٰ عدم وجوب ستر الوجه؛ لأنها تعرضت الىٰ فتحة القميص واطراف العنق والصدر، ولو كان ستر الوجه واجباً لأشارت اليه الآية.

▣ ان بعض الاحاديث والشواهد التاريخية تؤكد ان النسوة في عصر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كن سافرات الوجوه، وكن يذهبن الىٰ الاسواق وتقع عليهن الابصار ويتحدثن الىٰ الرجال وكان ذلك مشروعاً مالم يخرج عن اطار الشرعية في النظر المشوب بالتلذذ مثلاً.

وهذه الرواية لها دلالتها في هذا الموضوع:

عن جابر بن عبد الله الانصاري قال: خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يريد فاطمة (عليها السلام) وأنا معه، فلمّا انتهينا إلى الباب وضع يده عليه فدفعه ثم قال: السلام عليكم. فقالت فاطمة (عليها السلام): عليك السلام يا رسول الله، قال: أدخل؟ قالت: ادخل يا رسول الله! قال: أدخل أنا ومن معي؟ فقالت: يا رسول الله ليس علي قناع، فقال: يا فاطمة خذي فضل ملحفتك، فقنعي به رأسك، ففعلت، ثم قال: السلام عليكم، فقالت: وعليك السلام يا

---

(١) المصدر السابق.

رسول الله، قال: أدخل، قالت: نعم ادخل يا رسول الله قال: أنا ومن معي؟ قالت: أنت ومن معك، قال جابر: فدخل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ودخلت أنا وإذا وجه فاطمة أصفر كأنه بطن جرادة، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): مالي ارى وجهك اصفر؟ قالت: يا رسول الله الجوع، فقال: اللّهم مشبع الجوعة ورافع الضيعة أشبع فاطمة بنت محمد، فقال جابر: فوالله فنظرت الى الدم ينحدر من قصاصها حتى عاد وجهها احمر فما جاعت بعد ذلك اليوم[1].

وهذه القصة لها دلالتها القويّة. فجابر نظر الىٰ وجه فاطمة وكان اصفر من شدّة الجوع، ثم سرت الدماء فيه اثر دعاء رسول الله (صلى الله عليه وآله).

وقصة أخرىٰ تفيد بان شاباً من الانصار كان يمضي في طريقه فوقعت عيناه علىٰ امرأة جميلة وكان ذلك قبل نزول آية الحجاب، فلما مرّت امامه راح ينظر اليها وهو يسير فاصطدم بعظم في جدار أو زجاجة شجت وجهه وسالت دماؤه، فأقسم بالله ان يشكوها الىٰ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فلما لبث ان هبط جبريل بآيات الحجاب «قل للمؤمنين يغضّوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك ازكىٰ لهم ان الله خبير بما يصنعون»[2].

الاسئلة

١ ـ هل يتحتم ستر الوجه علىٰ المرأة؟

٢ ـ ما هو الدليل في عدم وجوب ستر الوجه؟

٣ ـ كيف تستدل من الآية الكريمة «ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها» علىٰ عدم وجوب ستر الوجه والكفين.

٤ ـ اذكر حديث جابر وبيّن دلالته في مسألة الحجاب.

---

(١) تفسير نور الثقلين، ج ٣، ص ٥٨٧. (٢) نور الثقلين، ج ٣، ص ٥٨٨.

فلسفة الحجاب

الحجاب حكم من احكام الاسلام، فما هي فلسفة الحجاب في الاسلام، وهل هو ظلم للمرأة في سلب حرّيتها في هذا الجانب ام لا؟

وفي معرض الجواب عن ذلك، فان تشريع الحجاب يأتي في اطار تشريع اجتماعي شامل يرمي الىٰ تعزيز العلاقات الاسرية والحؤول دون السقوط في الانحرافات الجنسية؛ وبالتالي تفسّخ الاسرة وانحلال المجتمع.

ولتسليط الضوء علىٰ الموضوع تنبغي الاشارة الىٰ عدّة نقاط كمقدّمة للبحث:

■ النقطة الاولىٰ: ان الرجل والمرأة يشكلان ركني المجتمع وهما معاً اساس سعادته، ومن هنا فهما يتحمّلان المسؤولية مناصفة في ذلك. وبالطبع فان الشعور بالمسؤولية سوف ينجم عنه التعاون من اجل بقاء المجتمع سليماً آمنا مطمئناً.

■ النقطة الثانية: هي أن المرأة موجود لطيف يتمتع بجاذبية لدىٰ الرجل، ولا ينكر أحد ما للزينة وعرض المفاتن من اثر كبير في النفوذ في قلوب الرجال.

اما الرجل فهو مخلوق ينشد الجمال وهو عاجز امام غريزته الجنسية، فاذا

ما استثيرت فانه لا يمكنه الوقوف بوجهها حتىٰ انها لتطغىٰ علىٰ العقل وتتفلت من ضوابط الارادة.

ان كل ما في المرأة يثير الرجل، خاصّة في مرحلة الشباب؛ الزينة، الثياب الجميلة، صوتها الناعم، نظراتها الحالمة، قدّها، شعرها بل حتىٰ صدىٰ انفاسها.

■ النقطة الثالثة: ان مجتمعنا يزخر بالكثير من الشباب والرجال ممن يمنعهم ضيق ذات اليد أو الفقر والبطالة، أو بسبب الاستمرار في الدراسة أو اداء الخدمة الالزامية وغير ذلك، من امكانية الزواج، ونسبة هؤلاء ليست قليلة، كما ان فترة المراهقة وبلوغ الفوران الجنسي مرحلة الاوج يجعل للمسألة ابعاداً حساسة لا يمكن التغاضي عنها.

وفي ظل هذا كله يبرز السؤال التالي:

ما هي مصلحة المرأة؟ هل هي في انقلاتها وارتدائها ما تشاء من الازياء؟ أم في احترام الحجاب، والتضحية بجزء من الحرّية؟

والجواب هنا يأتي في محورين:

الاوّل: في مجتمع تعيش المرأة فيه حرّة طليقة من كل قيد، فهي تعرض مفاتنها لمن شاء ولمن لا يشاء، تخالط الرجال كما تحب وترتدي من الازياء ما تريد وما يجعلها محط الانظار، تتجول في الاسواق وترتاد دور السينما وتعاشر الرجال دونما قيد، تتخطف القلوب المفتونة بجمالها. تقضي الليالي في الملاهي والحدائق العامّة والشوارع، وتقيم علاقات جنسية مع هذا وذاك.

ففي مجتمع كهذا يكون الرجل فيه ايضاً حرّاً في معاشرة النساء يقتنص هذه ويطارد تلك، يرتاد مراكز البغاء، ويمضي الليل في مراقصة النساء، ان مجتمعاً كهذا يحيا حرّيته مطلقة ويعيش فيه الرجال والنساء احراراً في علاقاتهم

الجنسية، لا بد وان يحمل معه الويلات لابنائه.

وأول الخسائر هو تفكك الاسرة واضمحلالها، فتسود علاقات الشك بين الزوجين، وبين الفترة والاخرىٰ ينفجر العراك وتسوء العلاقات العائلية بشكل يحطم الكيان الاسري وينسفه من الاساس. ولا ينحصر الامر في ذلك بل هناك ما هو اسوأ إذ تتصاعد نسبه الاطفال غير الشرعيين والتسيب، وتضاعف المستشفيات النفسية، وتنامي نسبة جرائم القتل والانتحار، وتضاعف اعداد الفتيات اللاتي يمضين حياتهن دون زواج، وكذا الشباب دون زوجات، وبالتالي العزوف عن تشكيل الاسرة، والاستغراق في المفاسد الاخلاقية والانحرافات الجنسية، واستفحال ظاهرة الطلاق.

ولعل اصدق مثال عن هذا المجتمع هو ما نشاهده في الغرب من انحلال وضياع.

فهل من مصلحة للفتيات والرجال والشباب في هكذا حرّية ؟

اننا لو تأملنا قليلاً في ذلك، لجاء الجواب نفياً.

الثاني: في مجتمع للمرأة فيه حضور فاعل ينسجم مع تكوينها، فهي تنهض بمسؤولياتها المختلفة كفرد له دور في بناء المجتمع، فهي معلمة في المدرسة أو طالبة في الجامعة، أو ممرضة في المستشفىٰ، أو طبيبة في المستوصف، ترتدي حجابها كما أمرها الله وتؤدي عملها في اطار الشرع، وتزاول حياتها كانسانة لها كرامتها، لا دمية تستقطب انظار الرجال.

إن هذه القيود التي تبدو لنا ظاهرياً، هي بالتأكيد في مصلحة المجتمع.

فالمرأة في الاسلام انسانة قبل ان تكون انثىٰ، والاسلام يهتم بأن تبدو في اطار انسانيتها، تحترم حجابها لانه يسترها عن اعين الطامعين ويحافظ عليها ويصون كرامتها وعفتها كما اللآلي في الاصداف.

ومجتمع كهذا؛ تتحرك فيه المرأة في اطار ما يرضي الله ويرضاه لها، سوف يكون مجتمعاً نظيفاً معافىٰ من الامراض الاجتماعية والمفاسد الاخلاقية. وهو مجتمع تسود اسره علاقات المحبّة ويغمرها الدفء العائلي، ينطلق فيه الفتيان والفتيات بعيدين عن الاغراءات، مستغرقين في دنيا العلم والايمان، حتىٰ اذا حان موعد الزواج اقترنت الفتاة بالذي تريد، وانتخب الشاب التي يحبّ؛ لاستئناف شوط آخر من الحياة.

وهنا تعيش المرأة في مملكتها: حرّة، تتزين لزوجها كما تهوىٰ، فالزينة حرام خارج المنزل امّا داخله فهو العكس.

عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في حديث المناهي: ونهىٰ ان تتزيّن لغير زوجها، فان فعلت كان حقاً علىٰ الله عزّ وجل ان يحرقها بالنار[١].

وعن الامام الباقر (عليه السلام) قال: ولا يجوز لها ان تتطيب اذا خرجت من بيتها[٢].

وعنه ايضاً قال: ولا يجوز للمرأة ان تصافح غير ذي محرم الّا من وراء ثوبها[٣].

ولا ننسىٰ ان نذكر قوله تعالىٰ:

«قل للمؤمنين يغضّوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك ازكىٰ لهم ان الله خبير بما يصنعون»[٤].

عن الامام الصادق عليه السلام قال: النظرة سهم من سهام ابليس مسموم وكم من نظرة اورثت حسرة طويلة[٥].

وعنه عليه السلام قال: النظرة سهم من ابليس مسموم، من تركها لله

---

(١) الوسائل، ج ١٤، ص ١٥٤.
(٢) المصدر السابق، ص ١٦٣.
(٣) المصدر السابق.
(٤) النور، الآية ٣٠.
(٥) الوسائل، ج ١٤، ص ١٣٨.

عزّ وجل لا لغيره اعقبه الله امناً وايماناً يجد طعمه[١].

وعنه ايضاً قال: النظرة بعد النظرة تزرع في القلب الشهوة وكفىٰ بها لصاحبها فتنة[٢].

وعنه ايضاً قال: من نظر الىٰ امرأة فرفع بصره الىٰ السماء أو غض بصره، لم يرتد اليه بصره حتىٰ يزوجه الله من الحور العين[٣].

وعن سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: من صافح امرأة حراماً جاء يوم القيامة مغلولاً ثم يؤمر به الىٰ النار[٤].

وعنه صلوات الله عليه قال: من فاكه امرأة لا يملكها حبسه الله بكل كلمة كلّمها في الدنيا الف عام[٥].

وعن امير المؤمنين علي (عليه السلام) قال: لا يخلو بامرأة رجل، فما من رجل خلا بامرأة الّا كان الشيطان ثالثهما[٦].

وعن الامام موسىٰ عليه السلام عن آبائه عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يبيت في موضع يسمع نفس امرأة ليست له بمحرم[٧].

---

(١) المصدر السابق، ص ١٣٩.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.
(٤) المصدر السابق، ص ١٤٣.
(٥) المصدر السابق.
(٦) مستدرك الوسائل، ج ٢، ص ٥٥٣.
(٧) الوسائل، ج ١٤، ص ١٣٤.

الاسئلة

١ ـ ما هي فلسفة الحجاب؟

٢ ـ ما هي عواقب السفور؟

٣ ـ هل السفور في مصلحة المرأة؟

٤ ـ هل يتنافىٰ الحجاب مع حرّية المرأة؟

٥ ـ ما هو دور المرأة في سلامة المجتمع اخلاقيا؟

٦ ـ هل يشكل الحجاب عائقاً في وجه المرأة عن العمل؟

الزواج وفوائده

الاسرة وحدة اجتماعية صغيرة تبدأ مع اقتران الرجل بالمرأة، ثم تنمو ويشتد عودها بمجيء الابناء.

والزواج حاجة طبيعية وتتم باجراء عقد شرعي بين المرأة والرجل. ولقد اولىٰ الاسلام تشكيل الاسرة اهمية فائقة واعتبرها شأنا مقدساً، ووصفتها الاحاديث بانها اعظم بناء في الاسلام.

عن الامام الباقر (عليه السلام): ما بني بناء في الاسلام احبّ الىٰ الله عزّوجل من التزويج[1].

وعن الامام الصادق (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ما حق شيء احب الىٰ الله عزّ وجل من بيت يعمر في الاسلام بالنكاح وما من شيء ابغض الىٰ الله من بيت يخرب في الاسلام بالفرقة يعني الطلاق[2].

والزواج سنّة اسلامية مقدسة.

قال امير المؤمنين (عليه السلام): تزوجوا فان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: من احب ان يتبع سنتي فان من سنتي التزويج[3].

---

(١) وسائل الشيعة، ج ١٤، ص ٣.
(٢) المصدر السابق، ص ٥.
(٣) المصدر السابق، ص ٦.

وعن سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: النكاح سنتي فمن رغب عن سنتي فليس مني[١].

والاسلام لا يعدّ الزواج عملاً حيوانياً ولا يأمر اتباعه بالرهبانية بل العكس انه طريق لتهذيب النفس وصيانتها من الآثام والذنوب.

قال سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم): ركعتان يصليهما المتزوج افضل من رجل عزب يقوم ليله ويصوم نهاره[٢].

وعن الامام الصادق (عليه السلام) قال: ركعتان يصليهما المتزوج افضل من سبعين ركعة يصليها العزب[٣].

وعن الصادق (عليه السلام) ايضاً: اراذل موتاكم العزاب[٤].

وينطوي الزواج وتشكيل الاسرة علىٰ منافع كبرىٰ؛ منها:

■ انه طريق للاستقرار والطمأنينة. فالمرء يحتاج الىٰ واحة يستريح فيها ويلجأ اليها من متاعب الحياة، يحتاج الىٰ من يشاركه همومه واحلامه وأمانيه، يحتاج الىٰ رفيق درب يطمئن اليه ويبثّه لواعجه ويستأنس به، يحتاج الىٰ من يقف الىٰ جانبه في منعطفات الحياة ليأخذ بيده إذا كبا ويسهر عليه اذا مرض، يحتاج الىٰ من يشاركه حياته في حلوها ومرّها وتقلباتها، وهل هناك ما هو اسمىٰ من دفء الاسرة وعش الزوجية.

قال تعالىٰ: «ومن آياته أن خلق لكم من انفسكم ازواجاً لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودّة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون»[٥].

■ انه طريق للطهر والعفاف. فالانسان تموج في اعماقه غريزة الجنس وهو يسعىٰ الىٰ اشباعها وارواء عطشه الجنسي. فاذا اخفق المرء في ذلك بالطريقة

---

(١) بحار الانوار، ج ١٠٣، ص ٢٢٠.
(٢) الوسائل، ج ١٤، ص ٧.
(٣) المصدر السابق ص ٦.
(٤) المصدر السابق، ص ٧.
(٥) الروم، الآية ٢١.

المشروعة، صعب عليه السيطرة علىٰ نفسه وضبطها وصيانتها من الانحراف والسقوط في حمأة الاثام، ومن هنا يكون الزواج هو الطريق الوحيد لحماية الانسان من مخاطر الوقوع في الذنوب.

قال سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم): من احب ان يلقىٰ الله طاهراً مطهّراً فليلقه بزوجة[١].

وعن الامام الصادق (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): من تزوّج احرز نصف دينه[٢].

وعن الامام الكاظم (عليه السلام) عن آبائه عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: ما من شاب تزوّج في حداثة سنة الا عج شيطانه: يا ويلاه، يا ويلاه، عصم مني ثلثي دينه. فليتق الله العبد في الثلث الباقي[٣].

■ انه طريق لسلامة الجسم والروح. فممارسة الجنس وارواء الغريزة الجنسية حاجة طبيعية لدىٰ الانسان، وهي ضرورية لسلامة الجسم والاعصاب، وان كبتها او الاستغراق فيها اكثر من الحدّ المطلوب له آثار سلبية مدمّرة ينجم عنها العديد من الامراض النفسية؛ من قبيل: الكآبة، اليأس، القلق، الخوف، التشاؤم، الوهم، انعدام الثقة، وغير ذلك من الامراض العصبية، وهنا يبرز الزواج كطريق امثل لارواء العطش الجنسي بصورة مشروعة تجنِّب الانسان مهالك هذه الامراض وغيرها.

قال سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم): زوّجوا اياماكم فان الله يحسن لهم اخلاقهم ويوسع لهم في ارزاقهم ويزيد في مرواتهم[٤].

▣ الاسهام في نظافة البيئة اجتماعياً. فمبادرة الشباب الىٰ الزواج مبكراً

---

(١) الوسائل، ١٤، ص ٦.
(٢) المصدر السابق، ص ٥.
(٣) البحار، ج ١٠٣، ص ٢٢١.
(٤) المصدر السابق، ص ٢٢٢.

وتشكيل اسرة والحياة في جوّ عائلي دافئ سوف يجنبه مخاطر الضياع والانحراف والتسيب، والتفكير في العنف، وخداع الفتيات، والزنا، واللواط، وممارسة العادة السرية، والادمان، بل وحتىٰ القتل، واللصوصية.

علىٰ هذا فان الزواج سيكون له دوره في الحفاظ وصيانة المجتمع اخلاقياً واجتماعياً.

فالاسلام يحث الشباب علىٰ الزواج مبكراً من اجل تحصينهم وحمايتهم من الانحراف.

قال تعالىٰ: «وانكحوا الايامىٰ منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم[١].

وقال سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم): من حق الولد علىٰ والده ثلاثة: يحسن اسمه، ويعلّمه الكتابه، ويزوجه اذا بلغ[٢].

▣ التكاثر والانجاب: يولي الاسلام هذا الجانب اهمية فائقة ويعدّه من اهداف الزواج.

عن الامام الباقر (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ما يمنع المؤمن ان يتخذ اهلاً لعل الله يرزقه نسمة تثقل الارض بـــلا اله الا الله [٣].

وعن سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ايضاً قال: تناكحوا تكثروا فاني اباهي بكم الامم يوم القيامة ولو بالسقط[٤].

▣ الاستمتاع واللذة: من منافع الزواج ومكاسبه العامّة تلك اللذة التي يشعر فيها المرء وهو يمارس الجنس بطريقة مشروعة، فاللذائذ الجنسية هي أعلىٰ متع

---

(١) النور، الآية ٣٢.
(٢) مكارم الاخلاق، ج ١، ص ٢٥٣.
(٣) الوسائل، ج ١٤ ص ٣.
(٤) البحار، ج ١٠٣، ص ٢٢٠.

الحياة، ويعدّها الاسلام لذة مشروعة. واذا مارسها المرء بقصد القربة كان لها من الثواب ما يجعلها عملاً عبادياً.

وهي في بعض الاحيان تكون من الواجبات.

واخيراً فالزواج عهد مقدس يتحقق بأمور عديدة:

ـ رضا المرأة والرجل

ـ اذن الاب او الجد اذا كانت الفتاة بكراً

ـ تحديد المهر، ولا فرق بين ان يكون مالاً نقداً او ملكاً او نسيئة

ـ قراءة صيغة العقد، بمباشرة الطرفين أو من ينوب عنهما بوكالة، وتكون القراءة باللغة العربية.

بعدها يمكن للرجل والمرأة أن يعيشا تحت ظل سقف واحد وبدء حياة زوجية مشتركة، حياة جديدة لها مسؤوليتها المتعددة.

الاسئلة

١ ـ ما هو رأي الاسلام في الزواج؟

٢ ـ ما هي مكاسب الزواج؟

٣ ـ اذكر حديثاً لسيدنا محمد عن منافع الزواج.

٤ ـ ما هو دور الزواج في حماية الجسم والروح من الامراض؟

٥ ـ كيف يتحقق الزواج؟

الحقوق والواجبات المتبادلة بين الزوجين

تعدّ الاسرة في ضوء الاسلام وحدة اجتماعية صغيرة، وهي الاساس في تشكل المجتمع، والاسرة بطبيعة الحال تتألف من رجل وامرأة ينتج عن اقترانهما ابناء، وهي تنمو بهم وتزداد بهم تماسكاً. وتنشأ للاسرة بطبيعة الحياة المشتركة وما يسودها من حب اهدافٌ مشتركة ومصالح مشتركة، وتصبح مسألة السعادة هدفاً للجميع، فكل عضو فيها يسعىٰ الىٰ تحقيق سعادته من خلال اسعاد الذين يعيشون معه. واذا كان الرجل والمرأة قبل الزواج يفكران بنفسيهما **فقط فان** الحياة المشتركة الجديدة تجعل هذا الهدف مشتركاً، ويضمحلّ **التفكير الاناني** امام تفكير عائلي عام يذوب فيه الافراد، لتصبح الاسرة كياناً متوحداً؛ ذلك ان العلاقة التي تربط الرجل بالمرأة في ظلال الزوجية لا تشبه ابداً علاقة الجار بالجار ولا الصديق بصديقه. انها اسمىٰ بكثير حتىٰ لتصل الىٰ درجة التوحد والذوبان التام.

قال تعالىٰ: «ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجاً لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودّة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون»[1].

والتأمل في المقطع «خلق لكم من انفسكم ازواجاً» ليلقي الضوء علىٰ مدىٰ

---

(١) الروم، الآية ٢١.

التوحّد بين الرجل والمرأة في ظل الزواج.

وهناك اشارة قرآنية تصوّر هذا التوحّد بطريقة اخرىٰ، وذلك في قوله تعالىٰ: «هنّ لباس لكم وانتم لباس لهن»[١].

وهل هناك ارتباط اوثق للمرء من ثيابه التي يرتديها. انها اقرب شيء لجسم الانسان تحفظه من البرد وتخفف عنه غلواء الحر، وتستر عيوبه وتكسبه جمالاً، وتسهم في ابراز شخصيته الانسانية. ومن هنا ندرك ان الزواج ينهض بهذه المهمة فيكسب كلاً من الرجل والمرأة ذلك الوقار والسكينة والهدوء في ظلال علاقة روحية مفعمة بالمودة والمحبة والسلام.

ولقد أولىٰ الاسلام الاسرة عناية بالغة وشرّع لذلك واجبات وحدّد حقوقاً متبادلة بين الزوجين من اجل تعزيز الاسرة وبنائها علىٰ اسس متينة.

وفي الاسلام واجبات مشتركة تشمل كلا الطرفين، كما توجد واجبات **تخص كل** طرف تجاه شريك حياته.

الواجبات المشتركة

▣ **حسن المعاشرة:**

يلزم الاسلام الطرفين بحسن المعاشرة. قال تعالىٰ: «وعاشروهن بالمعروف»[٢].

والمعروف هو نقيض المنكر، فالعشرة بالمعروف هي السلوك الذي يرتضيه العقل والشرع. وبالرغم من ان الخطاب القرآني موجه للرجال فانه يشمل النساء ايضاً، فالعلاقات الزوجية التي يسودها الصدق والحب والاحترام والادب هي التي تجعل من الاسرة سعيدة وقوية.

---

(١) البقرة، الآية ١٨٧.

(٢) النساء، الآية ١٩.

▣ التزيّن:

يتوجب علىٰ الرجل والمرأة ـ سواء ـ الاعتناء بالمظهر، وارتداء الثياب النظيفة، ورعاية نظافة الجسم، والتطيّب. والمرأة بشكل خاص هي المخاطب في هذا الجانب.

عن الامام الصادق (عليه السلام) قال: جاءت امرأة الىٰ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقالت: يا رسول الله ما حق الزوج علىٰ المرأة (في حديث الىٰ ان) قال: وعليها ان تتطيب باطيب طيبها وتلبس احسن ثيابها وتتزيّن باحسن زينتها وتعرض نفسها عليه غدوة وعشية، واكثر من ذلك حقوقه عليها[١].

واذا كان من واجب المرأة ان تتزين لزوجها، فان من واجب الرجل ذلك ايضاً. عليه أن يكون نظيفاً في جسمه وثيابه تفوح منه رائحه العطر، لان ذلك شعور متبادل بين الطرفين.

عن الامام الصادق عن آبائه (عليهم السلام) قال: قال رسول الله: ليتهيأ احدكم لزوجته كما تتهيأ زوجته له، قال الامام (عليه السلام) يعني يتهيأ بالنظافة[٢].

وعن سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ايضاً قال: حق المرأة علىٰ زوجها أن يسدّ جوعتها وان يستر عورتها ولا يقبح لها وجهاً، فاذا فعل ذلك فقد والله ادّىٰ حقها[٣].

وعن الحسن بن الجهم قال: رأيت ابا الحسن (عليه السلام) اختضب فقلت:

---

(١) الوسائل، ج ١٤، ص ١١٢.
(٢) المستدرك، ج ٢، ص ٥٥٩.
(٣) بحار الانوار، ج ١٠٣، ص ٢٥٤.

جعلت فداك اختضبت؟ فقال: نعم، ان التهيئة مما يزيد في عفّة النساء، ولقد ترك النساء العفّة بترك ازواجهن التهيئة، ثم قال: ايسرّك ان تراها علىٰ ما تراك عليه اذا كنت علىٰ غير تهيئة؟ قلت: لا. قال: فهو ذلك[١].

▣ الارضاء الجنسي:

بالرغم من ان ارضاء الغريزة الجنسية لا يشكل الهدف الاساس من وراء الزواج، ولكن دوره في تعزيز أواصر المحبّة بين الزوجين غاية في التأثير.

واذن فالارضاء الجنسي مسؤولية مشتركة، فالمرأة والرجل موظفان عند ميل احدهما الىٰ ممارسة الجنس ان يلبي رغبته ويشاركه الرغبة متىٰ شاء.

عن سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) انه قال للنساء: لا تطولن صلاتكن لتمنعن ازواجكن[٢].

وعن الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): اذا اتىٰ احدكم امرأته فلا يعجلها[٣].

وعن الامام الرضا (عليه السلام) في حديث له... الىٰ ان قال: واشتهت منك الذي تشتهيه منها[٤].

▣ تربية الابناء:

تربية الجيل جسماً وروحاً وتعليمه واجب مشترك يقع علىٰ عاتق الاب والام، فالاب يتحمل مسؤولية اعداد ابناء صالحين، وللام دورها الحساس والبنّاء في ذلك.

---

(١) الوسائل، ج ١٤، ص ١٨٣.
(٢) الوسائل، ج ١٤، ص ١١٧.
(٣) المستدرك، ج ٢، ص ٥٤٥.
(٤) المصدر السابق.

واجبات خاصّة

▣ وظائف الرجل:

اضافة الىٰ الواجبات المشتركة التي مرّ ذكرها، فان علىٰ الرجل وانطلاقاً من طبيعته الخاصّة وظائف وواجبات خاصّة؛ منها:

ـ مسؤولية الاسرة: يتحمل الرجل ووفقاً للمنهج الاسلامي ورؤيته، مسؤوليته الاسرة وادارتها.

قال تعالىٰ: «الرجال قوّامون علىٰ النساء بما فضل الله بعضهم علىٰ بعض وبما انفقوا من اموالهم، فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله»[1].

وبالطبع فهذا لا يعد امتيازاً بقدر ما هو مسؤولية يتعين علىٰ الرجل فيها اذا أراد النجاح ان يشاور الطرف الآخر ويحترم رأيه وتكون قراراته صادرة عن روح التفاهم والانسجام واحترام الآخر، ولأن الله سبحانه وتعالىٰ هو خالق الرجل وخالق المرأة، محيط بطبيعتهما، فقد جعل قيمومة الاسرة وادارتها بيد الرجل لأنه اكثر تعقّلاً في قراراته ومواقفه، في حين ان المرأة جعلت مخزناً للعاطفة لوظائف اخرىٰ يعجز عنها الرجل.

ونؤكد مرّة أخرىٰ أن هذا لا ينبغي ان يكون مدعاة للاستبداد ومصادرة الرأي الآخر، لان الاسرة السعيدة هي الاسرة التي يسودها التفاهم والاحترام والانسجام، حيث تطرح الامور للحوار؛ فيما تبقىٰ الكلمة الاخيرة للرجل في حال الاختلاف لانه الاكثر تعقلاً والاقل اندفاعاً وراء العواطف.

وتتجلىٰ مسؤولية الرجل في ثلاثة محاور:

الاول: الانفاق علىٰ الاسرة والتخطيط لاسلوب حياتها بعد مشاورة افراد

---

(١) النساء، الآية ٣٤.

الاسرة.

الثاني: الدفاع عن كيان الاسرة.

الثالث: الاشراف علىٰ الوضع الثقافي والاخلاقي للاسرة.

ـ الانفاق:

حيث يتحمل الرجل مسؤولية ذلك كاملة.

سأل اسحاق بن عمار ابا عبد الله (عليه السلام) عن حق المرأة علىٰ زوجها؟ فقال: يشبع بطنها ويكسوها وان جهلت غفر لها[١].

ـ الاحترام والمداراة:

يتوجب علىٰ الرجل أن يقدّر زوجته ويعرف حقها ويحترمها ويعدّها نعمة من نعم الله، فيغفر لها اذا اخطأت في حقه، ولا يعاندها أو يضيق عليها في حياتها.

عن الامام السجاد (عليه السلام) قال: واما حق الزوجة فأن تعلم ان الله عزّ وجل جعلها سكناً وانساً فتعلم ان ذلك نعمة من الله عليك فتكرمها وترفق بها، وان كان حقك عليها أوجب فان لها عليك ان ترحمها لانها اسيرك وتطعمها وتكسوها واذا جهلت عفوت عنها[٢].

ـ المسؤولية الاخلاقية والدينية:

يتوجب علىٰ الرجل رعاية زوجته اخلاقياً ودينياً، ومساعدتها في ذلك وتوفير مستلزمات تعليمها، فهو مسؤول عن اخلاق زوجته وسيرتها، يحثها علىٰ عمل الخير وينصحها في الابتعاد عن مواطن الشر؛ وخلاصة القول زحزحتها عن الجحيم يوم القيامة، وهذه في طليعة مسؤوليات الرجل الذي جعله الله قيماً علىٰ

---

(١) مكارم الاخلاق، ج ١، ص ٢٤٨. (٢) بحار الانوار، ج ٧٤، ص ٥.

الاسرة. قال تعالىٰ: «يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم واهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة»[١].

▣ واجبات المرأة تجاه زوجها:

تحمل المرأة مسؤوليات كبيرة تجاه زوجها؛ يمكن تلخيصها في الحديث المروي عن امير المؤمنين علي (عليه السلام) حيث يقول فيه: جهاد المرأة حسن التبعّل[٢].

وهذه العبارة علىٰ اختصارها تنطوي علىٰ معانٍ واسعة، حيث يتجلىٰ فيها الاعتراف بقيمومة الرجل ومساندته في ذلك لتكون له هيبة بين ابنائه، فلا تقطع امراً دون رضاه، وتطيعه عند امره لها. واذا كان يرىٰ صلاحاً في عدم خروجها من المنزل احياناً سلّمت له بذلك، وهي خلال كل ذلك تعاشره بالتي احسن وتدخل الفرحة في قلبه. فالمرأة هي مصدر الدفء العائلي، بما اودعه الله في فطرتها من مخزون العواطف ونبل المشاعر. تتطيب وتتزين له وتمكنه من نفسها اذا اراد، تعنى بأبنائها وتربيهم علىٰ احترامه وحبّه، وفي مثل هذه الحالة تكون المرأة مصداقاً للحديث في حسن التبعل الذي يعدّ جهاد المرأة الحقيقي.

ان جميع الاحاديث التي تتحدث عن واجبات المرأة تدور حول المحاور التالية:

- طاعة زوجها في الاطار الشرعي.
- تلبية رغبته في الاستمتاع الجنسي، الا في ما نهىٰ الشرع عنه.
- الامانة وحفظ امواله عند غيابه.
- العفة وطهارة الثوب.

---

(١) التحريم، الآية ٦.

(٢) البحار، ج ١٠٣، ص ٢٥٢.

ـ الخروج من المنزل باذنه.

عن الامام الصادق (عليه السلام) عن آبائه عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: ما استفاد امرؤ مسلم فائدة بعد الاسلام افضل من زوجة مسلمة تسرّه اذا نظر اليها وتطيعه اذا امرها وتحفظه اذا غاب عنها في نفسها وماله[١].

وعن الامام الباقر (عليه السلام) قال: جاءت امرأة الىٰ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقالت: يا رسول الله ما حق الزوج علىٰ المرأة؟ فقال: ان تطيعه ولا تعصيه ولا تتصدّق من بيته الّا باذنه ولا تصوم تطوعاً الا باذنه ولا تمنعه نفسها وان كانت علىٰ ظهر قتب ولا تخرج من بيتها الا باذنه[٢].

الاسئلة

١ ـ ما هو المراد من الآية الكريمة «هن لباس لكم وانتم لباس لهن»؟

٢ ـ ما هي الواجبات المشتركة لكل من الرجل والمرأة في ظل الزواج؟

٣ ـ ما هي واجبات الرجل الخاصّة؟

٤ ـ ما ذا تعني قيمومة الرجل في الاسرة؟

٥ ـ ما هي واجبات المرأة تجاه زوجها؟

٦ ـ ماذا يعني حسن التبعل؟

---

(١) الوسائل، ج ١٤، ص ٢٣.

(٢) المصدر السابق، ص ١١٢.

فلسفة المهر

يتضمن عقد الزواج تقديم الرجل لزوجته لشيء وهو ما يعرف بالمهر أو الصداق. لم يرد المهر في القرآن الكريم وورد تحت اسم آخر هو الصداق. قال تعالىٰ: «وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً»[1].

وليس هناك ما يحدد مقدار المهر أو نوعه، وهو يتوقف علىٰ اتفاق الطرفين ورضاهما.

قال الامام الباقر (عليه السلام): الصداق ما تراضيا عليه من قليل أو كثير فهذا الصداق[2].

كما لم يرد في الاحاديث حدّ ادنىٰ للمهر.

عن الامام الصادق (عليه السلام) عن آبائه قال: اني اكره ان يكون المهر اقل من عشرة دراهم لئلا يشبه مهر البغي[3].

كما لم يُحدد سقف اعلىٰ للمهور، وان كان النهي عن الغلاء قد ورد صراحة. قال امير المؤمنين علي (عليه السلام): لا تغالوا بمهور النساء فتكون عدواة[4].

---

(١) النساء، الآية ٤.
(٢) الوسائل، ج ١٥، ص ٢٣.
(٣) المصدر السابق، ص ١١.
(٤) المصدر السابق.

واذن فان المهر ينبغي ان يشق طريقه متخذاً الجادة الوسط، فلا إفراط ولا تفريط، وان يكون ذلك في امكانات الطرفين وما يمليه الجوّ العام اجتماعياً.

وليس هناك من شكل معين للمهر، فيمكن ان يكون ذهباً او فضة او نقداً متداولاً او املاكاً أخرىٰ، علىٰ ان مصلحة المرأة تكمن في ما يمكن ادخاره لها من قبيل الذهب والاشياء التي لا تفقد قيمتها بمرور الايام.

واذا كان المهر نقداً، يمكن للمرأة المطالبة به قبل الدخول. ويتعين علىٰ الرجل دفعه، فاذا امتنع جاز لها ان لا تمكّنه من نفسها، ولا تعدّ عند ذاك ناشزاً ولا تسقط نفقتها.

واذا كان المهر نسيئة (مؤخرا) حق للمرأة المطالبة به في تاريخه اذا كان له تاريخ محدد، فاذا لم يكن له تاريخ محدد جاز للمرأة المطالبة متىٰ شاءت.

ويعتبر المهر ملكاً خالصاً للمرأة نقداً أو غير نقد، ولا يحق لاحد التصرّف فيه دون رضاها حتىٰ ابويها وزوجها.

قال سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم): «ان الله ليغفر كل ذنب يوم القيامة الا مهر امرأة، ومن اغتصب اجيراً اجره، ومن باع حرّاً»[١].

سئل الامام الكاظم (عليه السلام) عن الرجل يزوج ابنته، ألَهُ ان يأكل صداقها؟ قال: لا، ليس ذلك له[٢].

واذا كان الصداق نسيئة فانه يعدّ قرضاً تطالب به المرأة متىٰ تشاء. قال الصادق (عليه السلام) في الرجل يتزوج المرأة ولا يجعل في نفسه ان يعطيها مهرها فهو زنا[٣].

وعنه ايضاً (عليه السلام) قال: من امهر مهراً ثم لا ينوي قضاءه كان بمنزلة

---

(١) الوسائل، ج ١٥، ص ٢٢.
(٢) المصدر السابق، ص ٢٦.
(٣) المصدر السابق، ص ٢١.

السارق[١].

وعنه ايضاً عن آبائه عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في حديث المناهي قال: من ظلم امرأة مهرها فهو عند الله زانٍ. يقول الله عزّ وجل يوم القيامة: عبدي زوجتك أَمتي علىٰ عهدي فلم توفِ بعهدي، وظلمت امَتي، فيؤخذ من حسناته فيدفع اليها بقدر حقها، فاذا لم تبق له حسنة امر به الىٰ النار بنكثه للعهد، ان العهد كان مسؤولا[٢].

فلسفة المهر

قد تثار اسئلة حول المهر كتشريع اسلامي؛ تتلخص في معنىٰ المهر ما دام مشروع الزواج يأتي من خلال حاجة الجنسين معاً الىٰ حياة مشتركة تتكامل فيها حاجات وتلّبىٰ رغبات، وهي حياة مشتركة في كل شيء؛ في المكان والشعور والمصير.

فيا ترىٰ ما معنىٰ المهر هنا، الا يعدّ تشريعه مساساً بكرامة المرأة؟ الا يجعل منها سلعة، حيث يقدم الرجل مهراً معيناً كثمن للمرأة فيمتلكها؟!

وفي معرض الجواب عن هذا التساؤل، فان الاسلام لا يعتبر المرأة سلعة بأي حال من الاحوال ويرفض ذلك تماماً. انها تتمتع بانسانيتها اسوة بالرجل وقد بحثنا ذلك فيما مضىٰ.

وما المهر الا هدية يقدّمها الرجل الىٰ المرأة تعبيراً عن اكرامها وتقديراً لموافقتها لان تحيا معه، ولا يخفىٰ ما في هذه الهدية من دور في تعزيز اواصر المحبّة بينهما.

واذا اردنا ان نفلسف المهر، فيمكننا الاشارة الىٰ نقطتين:

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٢.

الاولىٰ: انه بالرغم من حاجة الزوجين الىٰ الجنس، الا ان هناك اختلافاً في طبيعة كل منهما.

فالمرأة تكويناً تتمتع بجاذبية خاصّة ولطافة وجمال يغزو قلب الرجل، ومن هنا نرىٰ انصراف المرأة الىٰ الجمال والتجميل والزينة لكي تبدو بأبهىٰ شكل.

ومن طبيعتها ايضاً أنه ومع رغبتها في ممارسة الجنس فانها تتمتع وتُظهر في ذلك مقاومة وهي في هذا تتمتع باقصىٰ درجات ضبط النفس امام غريزتها الجنسية، وتفضل في مقابل ذلك تسخير قلب الرجل ليكون هو المبادر دائماً، فيما تقوم هي بدور الغنج والدلال. انها تنشد العشق اذا صح التعبير.

اما الرجل فانه يقف عاجزاً امام غريزته الجنسية، ولا يمكنه ضبط نفسه أو التغطية علىٰ ما يموج في اعماقه، واذن اصبحت من طبيعته ان يبادر هو في طلب المرأة، وهو يدرك ان المرأة وبحكم طبيعتها كانثىٰ تميل الىٰ أن يكون الرجل هو البادئ في اظهار حبّه وهيامه بها، ويحاول من خلال تقديم هدية أو كلمة لطيفة أو باقة ورد النفوذ الىٰ قلب المرأة.

ومن هنا فان الاحتفال والمهر جزء من مواقف الرجل في تعزيز علاقته مع زوجته وكسب ودّها.

ولقد عبر القرآن الكريم عن الصداق ووصفه بانه نحلة اي هدية.

الثانية: ان المهر يمنح المرأة شعوراً نسبياً بالاطمئنان علىٰ مستقبلها، وضمان وفاء زوجها. فبالرغم من أن عقد الزواج نفسه يتضمن ذلك اجمالاً كاقتسام هموم الحياة وتربية الابناء، ولكن من يدري فقد لا يفي الرجل بتعهداته ويتصرف كما يشاء بعيداً عن روح المسؤولية.

فالرجل في كل الاحوال ما هو الا مزارع، فيما تبقىٰ المرأة بمثابة الحقل. انه ينثر بذرته وانتهىٰ الامر، ولكن ما هو موقف المرأة وهي التي ستتحمل عناء

الحمل والوضع ؟

وبالطبع هذه ليست قاعدة؛ لان الرجال ليسوا كلهم سواء، ولكن الاحتياط في ضمان مستقبل المرأة والجنين امر ضروري. اليس من رحمة السماء وسماحة الاسلام أن يجعل للمرأة ضماناً فيما لو فر الرجل أو تنكّر لزوجته، فلا تبقىٰ وحيدة تعاني مشاق الحمل والوضع والارضاع؛ وهي الام التي لا يمكنها أن تتخلىٰ بحكم غريزة الامومة عن طفلها حتىٰ لو كلفها ذلك حياتها.

واذن فمن المحتمل أن يكون المهر هو نوع من تبديد مخاوف المرأة عمّا ستواجهه في المستقبل. انه نوع من الضمان يمكنها المطالبة به متىٰ شعرت بضرورته.

وهي في كل الاحوال عنوان لاعتزاز الرجل وتعبير عن حبّه.

عن الامام الصادق (عليه السلام) قال: انما صار الصداق علىٰ الرجل دون المرأة وان كان فعلهما واحداً لان الرجل اذا قضىٰ حاجته منها قام عنها ولم ينتظر فراغها، فصار الصداق عليه دونها لذلك[1].

---

(١) الوسائل، ج ١٥، ص ٢٣.

الاسئلة

١ ـ هل وردت الاشارة الىٰ المهر وبأية صيغة ؟

٢ ـ ما هي الاشياء التي يمكن أن تكون مصداقاً للمهر ؟

٣ ـ ما هو موقف الاسلام من المهر ؟

٤ ـ هل يجوز للرجل أن يمنع زوجته المهر ؟

٥ ـ ما هي فلسفة المهر ؟

النفقة وفلسفتها

الانفاق علىٰ الاسرة وتغطية متطلباتها اقتصادياً من مسؤولية الرجل، اذ يتوجب علىٰ الرجل توفير مستلزمات زوجته حتىٰ لو كانت ثرّية. والنفقة من احكام الاسلام القطعية، وتعدّ حقاً من حقوق الزوجة، فاذا قصّر الرجل في ذلك اعتبر دَيناً يحق للمرأة المطالبة به. ولو امتنع عن ادائه حق للحاكم الشرعي أن يطلّقها رغم انفه.

عن الامام الباقر عليه السلام: من كانت عنده امرأة فلم يكسها **ما يواري** عورتها ويطعمها ما يقيم صلبها كان حقاً علىٰ الامام ان يفرّق بينهما[1].

وعن اسحاق بن عمار قال: قلت لابي عبد الله (عليه السلام): ما حق المرأة علىٰ زوجها الذي اذا فعله كان محسناً؟ قال: يشبعها ويكسوها وان جهلت غفر لها[2].

والنفقات عبارة عن جميع المستلزمات العائلية، مع الاخذ بنظر الاعتبار الامكانات والعرف زماناً ومكاناً؛ وهي من قبيل:

١ ـ الطعام من فاكهة وغيرها وحسب ما يحدّده العرف.

٢ ـ كسوة للشتاء وأخرىٰ للصيف وحسب ما تقتضيه ظروف الاسرة.

---

(١) الوسائل، ج ١٥، ص ٢٢٣.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٢٤.

٣ ـ فراش المنزل.

٤ ـ وسائل الطبخ واعداد الطعام.

٥ ـ وسائل التدفئة والتبريد.

٦ ـ منزل للسكنىٰ ملكاً أو اجارة يؤمّن الهدوء والراحة.

٧ ـ ادوات الزينة وغيرها من مستلزمات الحياة الاخرىٰ.

اشكال:

يشكل البعض علىٰ مسألة النفقة في التشريع الاسلامي ويعدّونها ايضاً اهانة للمرأة باعتبارها مجرّد اجير يعمل في المنزل مقابل مبلغ معين أو كسوة أو طعام.

والجواب عن ذلك ان هذا الاشكال ينظر الىٰ ظاهر القضية دون الغوص في اغوارها. فالاسلام لا يعتبر العمل داخل المنزل الزاماً للمرأة، بل وحتىٰ تربية **الابناء أو** ارضاع الصغار. فمن حقها الامتناع عن كل ذلك والمطالبة بتوظيف **مستخدم لكل** هذه الاعمال، أو المطالبة عن كل ذلك باجرة مقابل انجازها هذه الاعمال. وفي مقابل كل ذلك فان النفقة اصلاً هي علىٰ عاتق الرجل.

فكيف يشكل هذا اهانة للمرأة؟

اسئلة اخرىٰ:

اذا كانت الحياة المشتركة بين الرجل والمرأة تعني تساوي الطرفين في ارضاء الجانب الجنسي والاشتراك في انتاج النسل وتربية الابناء، فلماذا يتحمل الرجل وحده تغطية نفقات المنزل؟لماذا يتعين علىٰ الرجل وحده ان يعمل؛ فيما تبقىٰ المرأة تأكل وتشرب وتنام، ولا يجب عليها انجاز اعمال المنزل، اليس هذا ظلماً للرجل؟ ولماذا يتوقف اقتصاد المرأة علىٰ الرجل حتىٰ تضطر الىٰ طاعته وتحمله؟ اليس من الافضل ان يعمل كلا الطرفين لتغطية نفقات الاسرة معاً؟

وفي الجواب عن هذه التساؤلات ينبغي الاشارة الىٰ عدّة نقاط هامّة:

ـ ان المرأة تتحمل مسؤوليات كبرىٰ لا مناص منها وهي الحمل، الولادة، الارضاع، ورعاية الصغار وتربيتهم. وأمام هذا كلّه لا يتبقىٰ وقت لكي تعمل المرأة خارج المنزل.

ـ ان العادة الشهرية التي تعتور المرأة بانتظام تجعلها بحاجه الىٰ الاستراحة التامة.

ـ بالرغم من ان الشريعة لا تلزم المرأة بانجاز اعمال المنزل وحضانة الاطفال لكنها تجد نفسها ملزمة ادبياً بالقيام بها لانها من ضرورات الحياة المشتركة والتي تجعل من ذلك عشاً دافئاً.

ـ ان المرأة وكما ذكرنا آنفاً مخلوق لطيف وجميل وان ما يجذب الرجل فيها هو عنصر الجمال واللطافة، وأن العمل خارج المنزل سيوجه ضربة الىٰ هذا الجانب مما يضعف جاذبيتها لدىٰ الرجل، وهو امر يضرّ بالطرفين معاً.

لقد رسم الاسلام صورة منطقية وجميلة في نفس الوقت لحياة **اسرية ليس** فيها اي انحياز لاي من الطرفين.

فهو يلزم الرجل بتحمل مسؤولياته في تغطية نفقات البيت، فيما تنصرف المرأة مرتاحة البال الىٰ مسؤولياتها التي تنسجم مع طبيعتها، فتجعل من المنزل واحة تنبض بالحياة والدفء والعاطفة. فاذا عاد الرجل وجد له سكناً يلوذ به من ضوضاء الحياة.

وعندها يندفع الرجل وهو يرىٰ كل هذا الاخلاص والحبّ الىٰ العمل اكثر فاكثر من اجل توفير لقمة العيش في ظلال حياة مشتركة كريمة مفعمة بالمحبة والسلام، وهو سيقوم بذلك عن طيب خاطر زيادة في توثيق أواصر الاسرة وصوناً من عاديات الزمن.

وفي الختام نذكر ان الاسلام لا يقف سدّاً امام عمل المرأة خارج المنزل اذا ارادت ذلك، وكان ينسجم مع طبيعتها. انه يرفض اجبارها علىٰ ذلك، فاذا كان هناك اتفاق عن رضا فمن حقها ان تعمل وأن تتصرف في مرتبها كما تشاء؛ لأنه ملك خالص لها الّا اذا ارادت ان تقدّمه لأسرتها عن طيب خاطر، لتكون عوناً لزوجها في تحمل اعباء الحياة. وفي هذه الحال فان ذلك سوف يجعل من بيت الزوجية عشاً دافئاً مفعماً بالامل، طافحاً بالحياة.

الاسئلة

١ ـ علىٰ من تقع مسؤولية الانفاق؟

٢ ـ ما هو الواجب من الانفاق؟

٣ ـ هل تعد مسؤولية الرجل في الانفاق اهانة للمرأة؟

٤ ـ لماذا جعلت النفقة من مسؤولية الرجل؟ وهل يعدّ ذلك ظلما؟

ميراث المرأة في الاسلام

تتمتع المرأة اسوة بالرجل في ضوء الاسلام بحقوق متساوية؛ من قبيل حقها في العمل، حقها في التملك، وحقها في الميراث. فالمرأة ترث الرجل كما ان الرجل يرث المرأة.

قال تعالىٰ: «للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قلّ منه أو كثر نصيباً مفروضاً»[1].

وتصرح هذه الآية بأن المرأة لها نصيبها في الميراث شأنها في ذلك شأن الرجل، وقد نزلت هذه الآية في زمن لم تكن للمرأة منزلة ولم يكن لها اعتبار وما تزال الاعراف الجاهلية مترسخة لدىٰ الكثير من الناس، في زمن كان الرجل والىٰ وقت قريب آنذاك اذا ما بُشّر بالانثىٰ ظل وجهه مسوداً وهو كظيم.

وكانت الاموال تنتقل اذا مات صاحبها الىٰ أولاده أو ابنه الاكبر، ولم يكن للبنات نصيب ابداً، الا اذا أوصىٰ والدهن قبل موته بشيء أو تنازل الاخوة شفقة عن جزء من الميراث لأَخواتهم.

ولهذا فقد اصيب البعض بالدهشة اثر نزول هذه الآية.

وجاء في التفاسير عن ابن عباس أن أوس بن ثابت الانصاري توفي وترك

---

(١) النساء، الآية ٧.

مالاً وكان له ابنتان فجاء ابنا عمه سويد وعرفجة وهما عصبته وأخذا كل ما ترك، فانطلقت زوجته الىٰ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تعرّفه ذلك وأنها وابنتاها قد حرمن من الميراث، فأمرها الرسول بالعودة وانتظار حكم الله فنزلت الآية[١].

ومن هنا فان هذا التشريع يعدّ آنذاك قفزة بشأن المرأة ومنزلتها، اعاد لها كيانها وشخصيتها؛ لتقف مع اخيها الرجل علىٰ قدم سواء.

ثم اعقب ذلك تفصيل في مسألة الميراث، وذلك في قوله تعالىٰ: «يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وان كانت واحدة فلها النصف ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد فان لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمّه الثلث فان كان له اخوة فلأمه السدس من بعد وصية يوصي بها أودين آباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعاً فريضة من الله ان الله كان عليماً حكيما[٢]».

وهنا يثار سؤال: اليس هناك تمييز في حق المرأة من الميراث؟ اليس أخذها نصف حصّة الذكر حيفاً بها؟

وفي الجواب عن هذا التساؤل نقول: ان مسألة الارث يجب ان تدرس ضمن الاطار العام للتشريع الاسلامي، لا ان تدرس علىٰ حدة.

ولقد لاحظنا سابقاً وعرفنا ان الشريعة الاسلامية انما جاءت علىٰ اساس طبيعة كل من الرجل والمرأة وحاجاتهما وقابلياتهما، وبشكل عام ما ينطوي عليه تكوين كل منها.

ودرسنا مسألة المهر في الزواج وأنه حق طبيعي للمرأة، وعرفنا ان الانفاق

---

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي، ج ١، ص ١٩٤.
(٢) النساء، الآية ١١.

من مسؤوليات الرجل، وفلسفنا كل ذلك في ضوء الاسلام.

فاذا كانت المرأة معفاة من العمل قبل الزواج حيث يتحمل الاب مسؤولية الانفاق عليها، وبعد الزواج حيث الزوج هو المسؤول عن إعالة الاسرة، ادركنا الحكمة في جعل نصيب المرأة في الميراث نصف نصيب الرجل.

فالمرأة زوجة، وعلاوة علىٰ نصيبها في الميراث، فانها شريك للرجل في ما يملكه أو يرثه، فيما يبقىٰ ميراث المرأة في حرز حصين. واذن فليس هناك ظلم للمرأة في الميراث، وقد اشارت الاحاديث الىٰ هذه المسألة ايضاً.

عن الامام عليه السلام قال: علّة اعطاء النساء نصف ما يعطىٰ الرجال من الميراث؛ لان المرأة اذا تزوّجت اخذت والرجل يعطي، فلذلك وفّر علىٰ الرجال، وعلّة أخرىٰ في اعطاء الذكر مثلي ما تعطىٰ الانثىٰ لان الانثىٰ في عيال الذكر ان احتاجت، وعليه أن يعولها، وعليه نفقتها، وليس علىٰ المرأة ان تعول الرجل ولا تؤخذ بنفقته ان احتاج، فوفّر علىٰ الرجل لذلك، وذلك قول الله عزّ وجل: «الرجال قوامون علىٰ النساء بما فضل الله بعضهم علىٰ بعض وبما انفقوا من اموالهم»[1].

وعن هشام بن سالم قال: ان ابي العوجاء قال للاحول:

ما بال المرأة الضعيفة لها سهم واحد وللرجل القوي الموسر سهمان؟ قال فذكرت ذلك لابي عبد الله (عليه السلام) فقال:« ان المرأة ليس عليها عاقلة ولا نفقة ولا جهاد ـ وعدّ اشياء غير هذا ـ وهذا علىٰ الرجال. فلذلك جعل له سهمان ولها سهم»[2].

---

(١) البحار، ج ١٠٤، ص ٣٢٦.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٢٧.

الاسئلة

١ ـ حاول ان تشرح ظروف المرأة عند نزول آية الميراث؟

٢ ـ ما هو نصيب المرأة من الميراث في ضوء الاسلام؟ ولماذا؟

٣ ـ هل يشكل قانون الارث في الاسلام ظلماً للمرأة؟

الاسلام وتعدد الزوجات

بشكل عام يمنح الاسلام الرجل الحق في الزواج باكثر من واحدة وفق شروط محدّدة، حيث يحق له الجمع بين اربع زوجات في آن واحد.

وفي البدء يمكن القول أن الاسلام لم يبتدع هذه الظاهرة، فلقد جاء الاسلام وكان الشرق يعتبرها أمراً عادياً، وكان دور الاسلام اجراء اصلاحات واضافة شروط، وكان اول اجراء تحديده بأربع زوجات، فأقر بذلك مسألة التعدد من حيث المبدأ.

فتشريعياً لايهدف الاسلام من وراء ذلك الىٰ دفع الرجال الى ما يسمىٰ بحياة الحريم والاستغراق في لذائد الجنس، وسحق حقوق المرأة بالأقدام، بل العكس تماماً؛ لقد أراد الاسلام من وراء ذلك توفير فرص الزواج للمرأة كحق طبيعي ينبغي أن تستمتع به.

ومن جانب آخر يعدّ هذا دفاعاً عن بعض حقوق الرجل، فالتشريع جاء وفق ضرورة اجتماعية عامّة هي في صالح قطبي المجتمع؛ وهما المرأة والرجل.

ومن اجل القاء الضوء علىٰ هذه المسألة نشير الىٰ نقطتين:

الاولىٰ: ان الاحصاءات العامة تشير الىٰ تفوّق ملحوظ في نسبة الاناث علىٰ الذكور، وهذا ايضاً يعود الىٰ مجموعة عوامل؛ منها ان الذكور وخاصّة

الشباب معرّضون للوفيات اكثر من الاناث بحكم ما تمليه الظروف من حروب وحوادث في المناجم والغرق وحوادث المرور، وهذا ما تؤيده الاحصاءات ايضاً.

ولعلّ آخر الشواهد الحروب الاخيرة التي اندلعت بين ايران والعراق، وحرب النفط اثر احتلال الكويت من قبل العراق، والحرب الدائرة في افغانستان منذ الاحتلال الروسي وحتىٰ الآن، والعدوان الصربي علىٰ البوسنة، واحتلال الشيشان وغيرها من المآسي الانسانية الاخرىٰ، والتي يذهب ضحيتها في الغالب الرجال وخاصّة الشباب.

كما يؤكد بعض العلماء من أن مقاومة المرأة للامراض تفوق مقاومة الرجل، اذ تدلّ الاحصاءات علىٰ أن متوسط عمر النساء يفوق متوسط عمر الرجال، حيث يلاحظ نسبة النساء الارامل اكثر منها لدىٰ الرجال.

الثانية: ان من حق كل انسان ان يشكل اسرة، وهو حق يشترك فيه الجميع نساء ورجالاً، فالحياة العائلية هي حلم وهدف انساني نبيل. واذن فمن الضروري أخذ هذا الحق بنظر الاعتبار في التشريعات الاجتماعية. فالمرأة هي ركن اساسي في المجتمع، ومن الضروري جداً ضمان حقوقها كاملة؛ ومنها: حقها في الزواج والحياة الاسرية.

وبالنظر الىٰ ما تقدم في تفوق نسبة الاناث، فمن المنطقي جداً ان يكون تعدد الزوجات هو الحل العملي الوحيد، اضافة الىٰ مشكلة الارامل ,اللاتي لا يجدن من يتقدم عليهن؛ لأن الشاب انما يولّي وجهه شطر الفتاة البكر لدىٰ تفكيره بالزواج، فما هو الحل اذن لمشكلة نساء ينشدن حقهن في الحياة الاسرية والاستمتاع بلذائذ الحياة المشتركة.

فهل أن الحلّ في الاباحة الجنسية والفوضىٰ التي يحياها الغرب الآن؟

ان تعدد الزوجات في ظل حياة اسرية تحقق حلم الجميع.

وهناك جانب آخر للمسألة يكمن في ضمان حقوق الرجل أيضاً الذي يشكل ايضاً ركنا اساسياً في المجتمع. ترىٰ ما هو ذنبه اذا كانت زوجته عقيماً أو اصيبت بمرض عضال يعجزها عن الحمل، اليس من حقه اذن وهو يحلم بالذرّية ان يجرّب حظه مرّة أخرىٰ في زوجة ثانية.

وربّما كانت الزوجة عاجزة جنسياً، فما هو مصير الرجل وكيف يتسنىٰ له ارواء ظمئه الجنسي؟

فهل الحل يكمن في التخلي عن زوجته والتزوج من أخرىٰ.

ام الاحتفاظ بها وإكرامها وتحقيق هدفه بشكل مشروع.

وأخيراً نذكّر أن الاسلام يحبذ مبدئياً اكتفاء الرجل بزوجة واحدة، وأن يأخذ بنظر الاعتبار دائماً طموحات زوجته، وبقاء اسرته تنعم بالسعادة والهدوء والحياة المطمئنة، وألاّ يقدم علىٰ الزواج من أخرىٰ في كل الظروف الاّ بعد التشاور معها وكسب رضاها وإقناعها، وإلا فان علىٰ الرجل التضحية من اجل الحفاظ علىٰ كيان الاسرة من التفكك والانهيار.

شروط التعدد

وضع الاسلام مجموعة شروط لتعدد الزوجات يجعل الايفاء بها عملاً صعباً للغاية وهي:

- الامكانات الاقتصادية التي تغطي نفقات اسرتين.
- القدرة علىٰ الارضاء الجنسي.
- رعاية المساواة والعدالة في حياته الزوجية.

قال تعالىٰ: «فانكحوا ما طاب لكم من الناس مثنىٰ وثلاث ورباع فان خفتم

أن لا تعدلوا فواحدة»[١].

والآية الكريمة تشير الىٰ حساسية المسألة وصعوبة تحقيقها، فالرجل هنا وفي حالة التعدّد عليه أن يساوي بين أزواجه تماماً رغم كل الاختلافات بينهن علىٰ صعيد السن والجمال. فالرجل هنا ملزم بأن يكون تعامله ثابتاً في جميع الاحوال.

ومسألة كهذه ليست يسيرة علىٰ الرجل. ومن هنا نفهم الآية التي تحبذ الاكتفاء بواحدة في حالة خوف الرجل من عجزه عن رعاية العدل والمساواة بين ازواجه.

الاسئلة

١ ـ ما هو هدف الاسلام من وراء تجويزه تعدد الزوجات؟

٢ ـ هل هناك حلّ غير تعدد الزوجات لمشكلة تفوّق نسبة الاناث علىٰ الذكور في المجتمع؟

٣ ـ ما هي شروط التعدّد؟

٤ ـ ما هي بواعث الاقدام علىٰ الزواج مرّة أخرىٰ لدىٰ الرجل؟

---

(١) النساء، الآية ٣.

الطلاق في الاسلام

«ابغض الحلال عند الله الطلاق» لعلّ هذه العبارة تلخص موقف الاسلام من مسألة الطلاق، فلم تصور الاحاديث مسألة حلالاً بـهذا الشكـل الذي يـجعلها ابغض الاشياء في حياة المسلم.

عن الامام الصادق (عليه السلام) قال: ان الله عزّ وجل يحبّ البيت الذي فيه العرس ويبغض البيت الذي فيه الطلاق، وما من شيء ابغض من الطلاق[1].

وعنه عليه السلام ايضاً قال: ما من شيء احله الله ابغض اليه من الطلاق، وان الله يبغض الطلاّق الذوّاق[2].

وعنه ايضاً قال: بلغ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أن ابا أيوب يريد أن يطلق امرأته، فقال رسول الله: ان طلاق ام ايوب لحوب أي اثم[3].

وعن الامام الباقر (عليه السلام): قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): اوصاني جبرئيل (عليه السلام) بالمرأة حتىٰ ظننت انه لا ينبغي طلاقها الاّ من فاحشة مبينة[4].

وعن الصادق (عليه السلام) قال: تزوجوا ولا تطلقوا فان الطلاق يهتز منه

---

(١) الوسائل، ج ١٥، ص ٢٦٧.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.
(٤) مكارم الاخلاق، ج ١، ص ٢٤٨.

العرش[١].

وعن سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: ما احب الله مباحاً كالنكاح وما ابغض الله حلالاً كالطلاق[٢].

ومن هنا فان الطلاق يعدّ من ابغض الامور المشروعة في الاسلام، وهو آخر ما ينبغي أن يفكر فيه المسلم. وهل هناك ما هو ادقّ في التصوير من اهتزاز العرش له، غير أن مجموعة من العوامل هي التي أملت مشروعيته باعتباره آخر العلاجات بكل ما يحمله الدواء من مرارة في بعض الاحيان.

وهناك مجموعة عوامل تؤدي بشكل أو آخر الىٰ الطلاق، ولذا نجد الشريعة قد وضعت حلولها لتفادي بروزها واستفحالها؛ ومن هذه العوامل:

■ انصراف الرجل عن زوجته الشرعية وتعلّقه بما يصادفه من نساء في الشارع، وهذه نتيجة ايضاً لاسباب أخرىٰ تعود الىٰ عدم الالتزام بالحجاب الشرعي، فقد يصادف الرجل في طريقه امرأة حسناء قد اظهرت بعض مفاتنها فيبهره جمالها ويتحرك قلبه باتجاهها، فاذا عاد الى المنزل وجد زوجته وقد بدت اقبح ما يكون فيختلق الشجار معها لسب أو آخر، وهذه البداية سوف تتطور بمرور الايام، خاصّة اذا لم نجد وعياً لدىٰ الزوجة يجعلها تبادر الىٰ علاج المسألة من الجذور.

فالاسلام قد وضع يده علىٰ اصل الداء عندما يوصي النسوة بالتزام الحجاب وعدم عرض مفاتنهن الّا لازواجهن. ومن جهة أخرىٰ قد أوصىٰ الرجال بغض الطرف وضبط النفس في مثل هذه المواقف.

■ ومن عوامل الطلاق: البرود الجنسي لدىٰ أحد الزوجين، حيث يجد أحدهما نفسه ظامئاً امام انسان لا يعي اهمية هذا الجانب في الحياة الاسرية.

---

(١) المصدر السابق، ص ٢٢٥.

(٢) مستدرك الوسائل ج ٣، ص ٢.

وللاسلام في هذه المجال وصايا عديدة، فهو من طرف يوصي المرأة بالتزين وارتداء احلىٰ واجمل ثيابها لزوجها، ومن طرف آخر يوصي الرجل بالنظافة دائماً، كما يذكّره بعدم الغفلة عن اشباع زوجه جنسياً في حال المضاجعة ومغادرة الفراش في وقت تكون المرأة في ذروة الرغبة والهياج.

■ ومن عوامل الطلاق ايضاً سوء المعاشرة والعناد واثارة المعارك والشجار لأتفه الاسباب، وهذا العامل تؤكد الاحصاءات انه في طليعة العوامل التي تؤدي الىٰ الطلاق وانهيار البناء العائلي.

ومن هنا نجد الاسلام قد وضع معادلات للحقوق والواجبات المتبادلة بين الزوجين، وعلىٰ ضوئها يحدد كل من الرجل والمرأة حقه وواجبه تجاه الآخر، وحثّ كلا الطرفين علىٰ روح التسامح والايثار والصبر والتحمل، ونجد كتب الاخلاق زاخرة بالوصايا في هذا المضمار.

■ وفي حالة اشتداد النزاع والاختلاف ولكي لا يتدهور وضع الاسرة باتجاه الطلاق، يطرح الاسلام مسألة التحكيم كحل، والتحكيم هيئة تتألف من شخصين يمثلان طرفي النزاع.

قال تعالىٰ: «وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من اهله وحكماً من اهلها ان يريدا اصلاحاً يوفّق الله بينهما ان الله كان عليما خبيرا»[1].

ويتم بحث مسائل الاختلاف بحضور الزوجين، ثم اتخاذ ما من شأنه ان يؤدي الىٰ الاصلاح وعودة الحياة الىٰ مجاريها. فالهدف ليس معرفة المخطئ وتحديد جزائه. المهم هو بقاء الاسرة واستمرارها، وتطويق مسائل الخلاف التي تؤدي الىٰ النزاع وتفكك الاسرة، اذ يذكّر الطرف المخطئ بما ينبغي فعله، ويذكر الطرف الآخر بضرورة التسامح وتحمل الطرف الآخر.

---

(١) النساء، الآية ٣٥.

وتختلف مسألة الحكمية قانونياً عن غيرها من المسائل التي يتم الفصل فيها في النزاعات بين شريكين او جارين، حيث يُلزم الطرف المعتدي باجراءٍ ما محدود يكفل حقوق الطرف المعتدى عليه؛ لان الهدف من الحكمية في فض النزاعات العائلية هو الاصلاح بأي ثمن، ولكن اذا ما تعذر ذلك بسبب عمق الاختلافات وانطفاء شعلة المحبّة وعدم استعداد كلا الطرفين عن التنازل أو التراجع فهنا ليس امام الحكمين سوىٰ الانسحاب او التوصية بآخر الدواء وهو الطلاق، وبالطبع فان هذه المسألة تستغرق وقتاً طويلاً تعالج خلاله بالحكمة والموعظة الحسنة.

■ وهناك عامل قد يمنع الطلاق أو يؤخره، وهو الصداق أو المهر، اذ يتعين علىٰ المرأة التي تواجه مصير الطلاق ان تطالب بمهرها كاملاً ويتوجب علىٰ الرجل تسليمه اليها دون قيد أو شرط.

قال تعالىٰ: «وان اردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احدا قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً أتأخذونه بهتاناً واثماً مبينا. وكيف تأخذونه وقد افضىٰ بعضكم الىٰ بعض واخذن منكم ميثاقاً غليظاً»[1].

ومن هنا فقد يكون المهر اذا لم تستلمه المرأة عند الزواج عاملاً من عوامل تأخير الطلاق، وبالتالي خفوت حدّة النزاع والاختلافات.

■ وللاطفال دور في تعزيز أواصر المحبّة بين الزوجين كما يعتبرون عاملاً هامّا يدفع التفكير بهم وبمصيرهم الىٰ تريّث كلا الطرفين، وخاصّة الرجل في مسألة الطلاق.

فالاطفال يحتاجون الىٰ رعاية الأم وإلىٰ حضنها الدافئ.. الىٰ قلبها الذي يتفجر عاطفة ورحمة، ثم ان الرجل سيواجه احراجاً في حال طلاق زوجته

---

(١) النساء، الآيتان ٢٠ و ٢١.

ويكون مجبراً علىٰ رعاية اطفاله، وهي مسؤولية غاية في الصعوبة؛ لأنه ملزم من جهة أخرىٰ بالعمل والكدح خارج المنزل.

■ وختاماً نشير الىٰ عامل آخر قد يلعب دوراً في بعض الاحيان في عرقلة قرار الطلاق وانهيار البناء الاسري وهو لزوم حضور شاهدين عدلين، وسماعهما صيغة الطلاق. وكثيراً ما نشاهد مبادرة الناس لاعمال الخير وحضورهم الاعراس واحتفالافات الفرح، ونفورهم من الحضور في مواطن الشؤم وخراب البيوت. وهل هناك ما هو اشأم من الطلاق وانهيار الاسر وضياع الاطفال وتحطم القلوب. وهكذا فان لهذا العامل دوراً في تأخير وقوع الطلاق؛ وهو يحتاج الىٰ زمن قد يتراجع فيه الرجل عن قراره ويفكّر خلاله بهدوء.

كما نشاهد المتصدّي الذي يؤيد وقوع الطلاق لا يستجيب فوراً بل يردهما المرّة بعد الأخرىٰ للتصالح وحل النزاع بطريقة ترضي الطرفين.

■ وهناك ما يمكن أن يدعىٰ بالفرصة الاخيرة وهي عدّة الطلاق، وهي محدّدة بزمن معين (ثلاثة قروء) حيث يمكن للرجل خلاله العودة **الىٰ زوجته**، فيسمىٰ الطلاق عندها طلاقاً رجعياً، وعودة المرأة الىٰ المنزل لا **يلزمها حينئذ** عقد ولا مهر.

الاسئلة

١ ـ ما هو موقع الطلاق في الشريعة الاسلامية؟

٢ ـ «الطلاق ابغض الحلال» لماذا؟

٣ ـ ما هي اجراءات الاسلام في الحؤول دون وقوع الطلاق؟

٤ ـ ما هي اجراءات الاسلام في تأخير الطلاق ولماذا؟

فلسفة تشريع الطلاق

ربّما يثير احدهم اشكالاً حول تشريع الطلاق، فاذا كان ابغض الحلال فلماذا لم يحرّمه الاسلام؟ بل كيف نجمع بين الحلّية في الطلاق ومبغوضيته؟؟ وما هي الفلسفة من وراء جواز الطلاق في الاسلام؟

وفي معرض الجواب عن هذا الاشكال نقول: ان الطلاق امر مبغوض في الاسلام، وهو في الوقت نفسه ضرورة اجتماعية تفرض نفسها ولا يمكن **تفاديها** ابداً، فكما ان بتر عضو فاسد في الانسان عملية مؤلمة ولكنها لا تلغي **ضرورتها** لحياة الانسان، فهكذا الطلاق اجراء مرّ ولكنه ضروري اجتماعياً، بعد ما تغدو حياتهما في ظل سقف واحد جحيماً لا يطاق.

فعندما تصبح الحياة المشتركة متعذرة، وعندما تنطفئ شعلة الحب ويضرب الصقيع عش الزوجية، وعندما يتحول البيت الىٰ ساحة للقتال والصراع والنزاع الذي لا نهاية له، يكون الطلاق هو الطريق الوحيد للخلاص.

ان عقد الزواج ميثاق بين قلبين، وهو يختلف عن سائر العقود القانونية الاخرىٰ. انه ليس شركة ما ولا اتفاقاً للايجار ولا حلفاً سياسياً ولا حتىٰ صداقة. انه اتحاد قلبين في بوتقه الحب المقدّس، اتحاد يكفل التكامل بين زوجين ويرقىٰ الىٰ درجة التوحّد في كيان جديد هو الاسرة.

وفي غياب الحبّ ذلك السر الالهي المودع في القلوب، وفي غياب الانسجام والتفاهم، وفي غياب الصبر والتسامح تغدو الحياة المشتركة جحيماً مستعرة، يهدد في كل لحظة عش الزوجية بحريق كبير.

ان الزواج ينهض علىٰ مجموع القيم الانسانية المثلىٰ؛ وفي طليعتها: الحب، والتضحية والايثار والتسامح والصبر، والاخلاص والوفاء و... وفي غياب كل هذه الفضائل ينهار البناء الاسري ويغدو مجرّد انقاض وركام. والحياة في مثل هكذا مناخ صعبة اذا لم نقل مستحيلة. وهنا يبرز الطلاق كالكي الذي هو آخر الدواء.

فالطلاق رغم كل مراراته هو ضرورة اجتماعية تفرضها طبيعة الحياة الاجتماعية نفسها، جاء الاسلام ليكبح جماحها قليلاً، وحسب ما تقتضيه مصلحة المجتمع، او بتعبير ادق مصلحة الرجل والمرأة معاً.

قد يثار اشكال آخر وهو: اذا كان الطلاق ضرورة اجتماعية فلماذا هذا **الاطلاق** في جوازه مما يفتح الباب أمام الرجل اللعوب الذي يبحث عن ذريعة ما لطلاق زوجته بعد ان امضت قدراً من شبابها أو كل شبابها معه، فتجد نفسها في لحظةٍ طريدةً من عش الزوجية؟

والجواب علىٰ هذا الاشكال: ان الاسلام يرفض بشدّة اتخاذ الطلاق وسيلة يستغلها الرجل من اجل لذائذه، ومن اجل هذا وضع كثيراً من العراقيل في طريقة تحول دون وقوع الطلاق ما امكن.

ولكن ما هو الحل؟ اذا ما شعرت المرأة نفسها انها لم تعد شيئاً ذا بال في عين زوجها بل ان هذا الزوج قد حوّل حياتها الىٰ جحيم لا يمكن تحمّله، ان المرأة مخلوق مرهف الحس تتأثر لأبسط كلمة تصدر عن زوجها، فكيف بها اذا قضت حياتها متعرّضة لسيل من الاهانات، هل بامكان القانون أن يتدخل في

هذا الجانب. ان كل ما بوسعه ان يمنع الطلاق فقط. وعندها يتحول البيت الىٰ مجرّد سجن رهيب تتلقىٰ المرأة فيه قسطاً من التعذيب كل لحظة.

ولعل قائل يقول: اذا كان الطلاق ضرورة اجتماعية وطريقاً للحل في بعض الاحيان، فلماذا اختص به الرجل دون المرأة؟ فكل ما يعتور الرجل من مشاعر تجاه زوجته، له نظيره لدىٰ المرأة، فهناك من لا تحب زوجها ولا ترغب في استمرار العيش معه، ولما كان الحب هو الملاك في الحياة المشتركة؛ وانطفاؤه هو إيذان بالنهاية، فان للمرأة الحق في الاستمتاع بهذا الحق وهو الطلاق.

وفي الجواب عن هذا الاشكال: ان غياب حبّ المرأة لزوجها لا يمكن ان يكون اساساً في انتهاء الحياة المشتركة، لأنه نتيجة لتقصير الرجل في النهوض ببعض مسؤولياته الزوجية، ذلك ان مفاتيح قلب المرأة هي لدىٰ الرجل نفسه، فاذا كان الزوج يحب زوجته حقاً وأصلح من معاملته لها، فان المرأة سرعان ما تستجيب ـ وبحكم عاطفتها ـ اليه، فتشعر بالامل ويتدفق حبه في قلبها.

واذن فكل ما يطرأ من برود في حياة المرأة تجاه جدوىٰ استمرار الحياة المشتركة هو مؤشر علىٰ تقصير أو قصور الرجل في واجباته. واذن فالطلاق لا يمكن وفي مثل هذه الحالة ان يكون حلاً، بل ان الحل يكمن في مراجعة الزوج لنفسه ومن ثم الولوج الىٰ قلب زوجته لتشعر بالامل والحب من جديد.

وهنا قد ينبري من يقول: واذا كان الزوج لا يكف عن اضطهاد زوجته في كل شيء فهو يضربها باستمرار، يمتنع عن الانفاق عليها، ولا ينهض بمسؤوليته كرجل في الفراش، ويؤذيها ويحقد عليها بل ويمتنع حتىٰ عن تطليقها، فيا ترىٰ ما ذا سيكون موقف المرأة ومصيرها، هل تصبر علىٰ كل هذا الهوان والعذاب حتىٰ يأتيها اليقين؟ اليس من المنطقي ان تمنح حق الطلاق للخلاص من هذا السجن الرهيب؟

والجواب عن هذا التساؤلات هو ان الاسلام دين العدل والانصاف وهو يرفض الظلم بكل اشكاله وألوانه، ومن هنا فهو يستنكر سلوك الرجل بشدة ويقف الىٰ جانب المرأة. وفي مثل هذه الحالة يتعين علىٰ المرأة أن تطلب من هيئة حكمية التدخل وتقديم النصح الىٰ زوجها فقد يرعوي ويعود الىٰ جادة الصواب ويكف عن اذىٰ زوجته، فاذا لم يفعل حقّ لها ان تشكوه الىٰ الحاكم الشرعي الذي يتقصىٰ بدوره الحقائق، فاذا ثبت عدوانه وأذاه ولم يصغ الىٰ قول الحق طلّقها رغم انفه واستوفىٰ للزوجة جميع حقوقها.

الاسئلة

١ـ اذا كان الطلاق ابغض الحلال فلم لا يحرّمه الاسلام؟

٢ ـ متىٰ يكون الطلاق افضل الحلول؟

٣ ـ ما هو موقف الاسلام من الرجل اللعوب؟

٤ ـ ما هي بواعث برود المرأة تجاه زوجها؟

٥ ـ ما هو مصير المرأة التي تتعرض الىٰ اذىٰ زوجها دائماً؟

مصادر الكتاب

١ ـ القرآن الكريم

٢ ـ نهج البلاغة ـ من كلمات امير المؤمنين (ع)، صبحي الصالح ـ ايران دار الهجرة.

٣ ـ الكامل في التاريخ ـ ابن الاثير ـ بيروت، ١٣٥٨ هـ

٤ ـ انساب الاشراف ـ احمد بن يحيى البلاذري ـ بيروت مؤسسة الاعلمي

٥ ـ السيرة النبوية ـ اسماعيل بن كثير ابو الفداء ـ بيروت دار المعرفة ـ ١٣٩٦ هـ

٦ ـ السيرة النبوية ـ ابن هشام ـ مصر، مصطفىٰ الباني ١٣٥٥ هـ

٧ ـ البداية والنهاية ـ ابو الفداء ـ دار احياء التراث العربي الطبعة الاولىٰ

٨ ـ اسد الغابة ـ ابن الاثير ـ طهران، انتشارات اسماعيليان

٩ ـ تاريخ ايران من السلوكيين حتىٰ الدولة الساسانية

١٠ ـ تاريخ ايران ـ قسم البحوث في جامعة كامبريج

١١ ـ تاريخ الحضارة ـ ويل دورانت ـ طهران، الطبعة الثانية

١٢ ـ صحيح مسلم ـ مسلم بن حجاج النيسابوري ـ بيروت، دار احياء التراث العربي

١٣ ـ الطبقات الكبرى ـ ابن سعد ـ بيروت، دار صادر

١٤ ـ وسائل الشيعة ـ محمد بن الحسن الحر العاملي ـ طهران، المكتبة الاسلامية

١٥ ـ تحف العقول ـ الحسن بن علي بن الحسين ـ بيروت، الاعلمي

١٦ ـ الكافي ـ محمد بن يعقوب ـ طهران، دار الكتب الاسلامية

١٧ ـ بحار الانوار ـ محمد باقر المجلسي ـ طهران، دار الكتب الاسلامية

١٨ ـ مناقب آل ابي طالب ـ ابن شهرآشوب ـ قم، المطبعة العلمية

١٩ ـ عيون الاثر ـ ابن سيد الناس ـ بيروت، دار المعرفة

٢٠ ـ الاتقان في علوم القرآن ـ عبد الرحمن السيوطي ـ بيروت، دار المعرفة

٢١ ـ التراتيب الادارية ـ شيخ عبد الحي ـ بيروت، دار احياء التراث العربي

٢٢ ـ تاريخ اليعقوبي ـ احمد بن ابي يعقوب ـ بيروت، دار صادر

٢٣ ـ الفهرست ـ ابن النديم ـ القاهرة، المكتبة التجارية الكبرىٰ

٢٤ ـ جامع الاصول ـ محمد بن الاثير ـ دار الفكر، الطبعة الثانية

٢٥ ـ مكارم الاخلاق ـ الحسن بن الفضل الطبرسي ـ كربلاء، مؤسسة الاعلمي

٢٦ ـ جامع احاديث الشيعة ـ برعاية واشراف آية الله البروجري / الطبعة الاولىٰ

٢٧ ـ المفردات ـ الراغب الاصفهاني ـ طهران، المكتة المرتضوية

٢٨ ـ مجمع البيان ـ الشيخ الطبرسي ـ طهران / اسلامية

٢٩ ـ غرر الحكم ـ عبد الواحد الآمدي ـ دار الكتب الاسلامية

٣٠ ـ صحيح البخاري ـ محمد بن اسماعيل البخاري ـ دار احياء الكتاب العربي

٣١ ـ المستدرك على الصحيحين ـ الحاكم النيسابوري ـ بيروت مكتب المطبوعات الاسلامية
٣٢ ـ مسند احمد بن حنبل ـ بيروت، دار صادر
٣٣ ـ تاريخ بغداد ـ احمد بن علي الخطيب البغدادي ـ بيروت دار الفكر
٣٤ ـ مجمع الزوائد ـ علي بن ابي بكر الهيثمي ـ بيروت، دار الكتاب
٣٥ ـ الصواعق المحرقة ـ احمد بن حجر ـ مكتبة القاهرة الطبعة الثانية
٣٦ ـ فرائد السمطين ـ ابراهيم بن محمد بن المؤيد ـ بيروت، مؤسسة المحمودي
٣٧ ـ المناقب ـ الخوارزمي ـ النجف المكتبة الحيدرية ١٣٥٨
٣٨ ـ قاموس الرجال ـ الشيخ محمد التستري ـ طهران، مركز نشر الكتاب
٣٩ ـ بهجة المقال ـ ملا علي العلياري ـ قم، المطبعة العلمية
٤٠ ـ لغتنامه ـ علي اكبر دهخدا ـ طهران
٤١ ـ فرهنگ فارسي ـ محمد معين ـ طهران، مكتبة امير كبير
٤٢ ـ الحقائق ـ الفيض الكاشاني ـ النجف، المكتبة الحيدرية
٤٣ ـ مشكاة النور ـ علي الطبرسي ـ النجف، المكتبة الحيدرية
٤٤ ـ مستدرك ميرزا حسن النوري ـ طهران المكتبة الاسلامية
٤٥ ـ مجمع الرجال ـ على القهپائي ـ اصفهان، ١٣٨٧ هـ.
٤٦ ـ الوافي ـ محمد محسن الفيض الكاشاني ـ اصفهان، مكتبة امير المؤمنين
٤٧ ـ سنن الترمذي الجامع الصحيح ـ محمد بن عيسى سورة ـ بيروت دار احياء التراث العربي
٤٨ ـ الميزان في تفسير القرآن ـ سيد محمد حسين الطباطبائي ـ طهران دار الكتب الاسلامية، الطبعة الاولىٰ
٤٩ ـ تفسير نور الثقلين ـ عبد العلي بن جمعة العروسي ـ قم، مطبعة حكمت
٥٠ ـ التفسير الكبير ـ الفخر الرازي ـ طهران دار الكتب العلمية